

جامعة مصرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية - العظمى  
جامعة التحدي - سرت  
كلية الآداب والتربية  
شعبة الدراسات العليا  
قسم التاريخ

الفاطميون في مصر ونفوذهم في المشرق  
358 - 567 هـ / 968 - 1171 م

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية  
( الماجستير ) في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة  
هند إبراهيم علي  
إشراف الأستاذ الدكتور  
صالح مصطفى مفتاح المزيني

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي - سرت

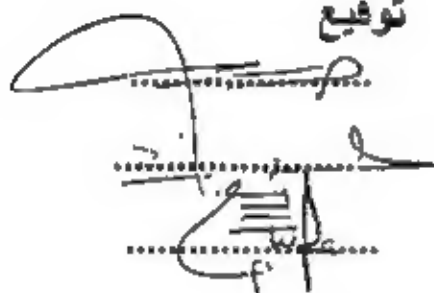
قسم التاريخ /شعبة الاسلامي

كلية الآداب والتربية

" الفاطميون في مصر ونفوذهم في المشرق 358 - 567 هـ  
968 - 1171 ف"

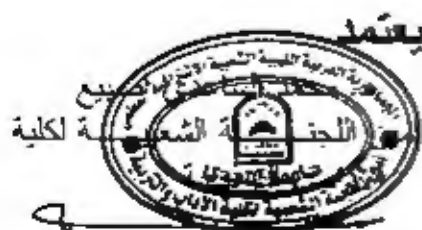
إعداد:- هند ابراهيم علي الصادق .

توقيع



أعضاء لجنة المناقشة:-

- 1- د. صالح مصطفى المزيني .
- 2- د. عبد الحكيم غنتاب الكعبي .
- 3- د. عبدالواحد عبد السلام شعيب .



بسم الله الرحمن الرحيم

( قل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا  
كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ  
النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ )

صدق الله العظيم

سورة العنكبوت الآية (19)

## الإهداء

إلى من كان رضاها زاداً لي في حياتي ودعوتها نوراً  
لي في طريقي .

والدتي العزيزة

إلى بصحة فؤادي وبصحة أيامي ، إلى الزهور التي تملأ  
حياتي بالأمل والسعادة إلى الضمير التي تنير دربي ،  
إلى من عاشوا معي أجمل وأصعب اللحظات .

إخوتي الأعزاء

إلى من رافقوني في رحلتي العلمية هذه وفرحوا  
لفرحي وتمنوا لي النجاح والتوفيق ، إلى من هانت  
بوجودهم أصعب اللحظات ، إلى من سطرته معصم على  
جدران الزمن أجمل الذكريات .

أصدقائي الأحياء

أحال الله التوفيق

## شكر وتقدير

في البدء أتوجه بواجب الشكر إلى الله العلي  
القدير على توفيقه لي وإتمام هذا البحث  
وبالشكل الذي هو عليه .

وكذلك إلى الذي كان سبباً وراء ظهور هذا  
العمل إلى حيز الوجود إلى الدكتور الفاضل (   
صالح مصطفى المزيني ) له مني جميل الشكر  
وفائق التقدير والاحترام.

الطالبة

## قائمة المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
ب	الآية القرآنية
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	قائمة المحتويات
1	المقدمة
الفصل الأول: انتقال الفاطميين إلى مصر	
9	المبحث الأول: أحوال مصر خلال حكم الطولونيين والاختشيديين
22	المبحث الثاني: غزو مصر وإنشاء مقر للخلافة
38	المبحث الثالث: دخول المعز لدين الله مصر
الفصل الثاني: النفوذ الفاطمي في العراق	
43	المبحث الأول: مقاومة العباسيين لدعوة الفاطميين
49	المبحث الثاني: موقف البويهيين من الفاطميين (البساسيري)
59	المبحث الثالث: تأييد الفاطميين للفقهاء العباسيين المنشقين عن الدولة
الفصل الثالث: النفوذ الفاطمي في الشام والحجاز	
68	المبحث الأول: الوجود الفاطمي في بلاد الشام
83	المبحث الثاني: الوجود الفاطمي في الحجاز
95	المبحث الثالث: سياسة الفاطميين في زمن الظاهر والمستنصر
الفصل الرابع: النفوذ الفاطمي في اليمن والخليج العربي	
109	المبحث الأول: الوجود الفاطمي في اليمن
120	المبحث الثاني: انتشار النفوذ الفاطمي في عمان والهند
131	المبحث الثالث: جهود اليمن في عودة النفوذ الفاطمي
137	الخاتمة
139	قائمة المصادر والمراجع

## المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإخلاص إلى يوم الدين .

هذه الدراسة تتناول موضوع ( الفاطميون في مصر ونفوذهم في المشرق 358-567 هـ / 968 - 1171 م ) .

تعتبر الفترة التي ظهر فيها الفاطميون من أكثر فترات التاريخ الإسلامي جودة من حيث المصادر والوثائق التاريخية ، غير أن العديد من هذه المصادر قد فقد وأتلف أغلبها ، اللهم بعض المصادر التي حفظها المؤرخون المتأخرون والذين من خلالها نعرفنا على التاريخ الفاطمي ، ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على جانب كبير مما لخصته لنا نظرة هؤلاء المؤرخين .

ومما لا شك فيه أن الدولة الفاطمية قامت على أساس مبدأ واحد وهو الادعاء بنسبهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق السيدة فاطمة والإمام علي . لذلك ركزت على الانتقال الجذري للفاطميين إلى مصر لكي تكون بداية الدراسة والتحليل ويكون الجانب السياسي للدولة الفاطمية هو الانطلاق الأول الذي سرت عليه لأنه الجانب الأساس وهو الذي غطى على كافة الجوانب الأخرى ، منها الجانب الاقتصادي والاجتماعي والذان لم أستطع أن أتجنبهما في دراستي هذه لما لهما من أهمية وهما مكملين للجانب السياسي .

وفي هذا النوع من الدراسة كان لابد أن لا أهمل الموقع الجغرافي الذي مرت به الدولة الفاطمية . إذ عني الباحث التاريخي التعرف على جغرافية منطقة المراد دراستها ، فالتاريخ دراسة تقوم على أساس الزمان والمكان ، فالموقع الجغرافي له دور في انتقال الفاطميين من المغرب الأقصى إلى مصر .

وعلى ذلك تهدف الباحثة من وراء هذه الدراسة إلى بيان الأحدث دون إهمال جانب المكان وتعريفه وإبراز موقعه .

ومن ذلك فإن تتبع أحوال الفاطميين السياسية الجدير بالدراسة : تحليل فكان من البديهي أن تكون هناك حالة متكررة من الانتقال من مكان إلى آخر ، غير أن

الموقع المستهدف هو بلاد مصر إلا أنه من خلال ما سنتبعه سنجد أنها لم تكن إلا جسراً ملكياً للوصول إلي ما بعدها .

وتسعى الباحثة من وراء هذه الدراسة إبراز العامل السياسي الذي كان أساس لانطلاق للفاطميين في تغلغل نفوذهم في المناطق التي وضعوا أيديهم عليها ، فالمغرب العربي كان البداية الأولى لتكوين النواة الفاطمية ، ثم جاءت مصر التي انتقلوا إليها بذريعة دينية ، وبعد تكوين دولتهم فيها أدركوا أن مصر بوابة للمشرق الإسلامي الذي ظل هاجساً سياسياً لهم ، ومن خلال إرساء قواعدهم وتنظيم صفوفهم وتغلغل نفوذهم إلى المشرق فكانت الشام وفلسطين أبرز ولاياتهم ثم جاءت بلاد الحجاز واليمن وأبرزت الجانب الديني للدولة الفاطمية لما لها من أهمية دينية في العالم الإسلامي ، كما اشتملت الدراسة على دور الفاطميين في نشر مذهب الشيعة خصوصاً في عمان والهند اللتين أصبحتا ركيزة فاطمية سياسية ودينية .

كما لا يخفى إن العامل السياسي وتجده من سنة إلى أخرى وهو دور الخلفاء الفاطميين الذين توالوا على الخلافة الفاطمية وما استخدموا من سياسة القتال تارة والحنكة والدهاء تارة أخرى ، وكذلك ما شهدته سياستهم القوية لبسط نفوذهم على الشعوب أحياناً على مدى التأثير الذي أحدثته هذه السياسة على بسط نفوذهم في المشرق وما أوجدته من اضطراب سياسي للدولة العباسية المعادية للفاطميين من خلال ما تظهره الدراسة من موالاة القواد المنشقين عن الدولة العباسية وسياسة الالتفاف التي اتبعها الدعاة الفاطميون في الجزيرة العربية والتي ساعرضها في فصول القادمة .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا وستكون الإجابة عليه من خلال هذه الدراسة هو هل كانت هذه الثورة والقتال الفاطمي هو سياسة من أجل إثبات النسب الفاطمي ؟

وهل هو نزوع سياسي من أجل نشر المذهب الشيعي الذي يعتنقه الفاطميون ؟ وتوضح الباحثة بأن هذه الدراسة لهذه الفترة الزمنية من العالم العربي الإسلامي لا تعد تجزئة وانقساماً عن بقية الفترات السابقة واللاحقة بقدر ما هي رتباط لهما ومرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي .



ونحن في التاريخ الإسلامي محتاجون إلى إعادة إبراز أحوال الفاطميين في مصر والمشرق الإسلامي وإظهار جوانبهم المختلفة سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية أو الثقافية ، لأن الفاطميين تاريخهم مليء و زاخر بالإحداث التي كان لها دور في إرساء قواعد التاريخ الإسلامي وقد كانت هناك بعض الدراسات في هذا الموضوع ، إلا أنها لم تلمس جانبه السياسي وتغلغل نفوذ الفاطميين في المشرق مثل يحيى بن سعيد الإنطاكي (458هـ/1066 م ) تاريخ الإنطاكي .

كما نرغب الباحثة أن تلتفت النظر لسياسة الخلفاء الفاطميين ودورهم الأساسي في بناء دولة كبيرة مترامية الأطراف ، ومحاولة لتوضيح الارتباط الذي بني ما بين الولايات في المشرق و مصر ، إبرازها إلى حيز الوجود .

ويمكن القول إن هذه الدراسة توضح الظروف المحيطة بالدولة الفاطمية وكيفية تكوينها منذ البداية في المغرب إلى مراحل الانتقال إلى مصر والتأسيس الفعلي لها ، كما يتطرق البحث بشكل كبير إلى الجانب الأبرز في البحث وهو تأثير الفاطميين على الدولة العربية في المشرق الإسلامي ، وبيان مواقف السياسيين فيه .

والأسباب التي دفعت الباحثة إلى اختيار مثل هذا الموضوع يمكن حصرها في الآتي :

- التعريف بتاريخ الفاطميين ، والعلاقات التي ربطتهم مع جيرانهم والتأثيرات التي تركتها هذه العلاقات على الفاطميين في مصر .

- رغبة الباحثة في دراسة التاريخ السياسي للفاطميين خاصة إن هذا العامل له دور أساسي في تقديم واستمرار دولتهم .

- ومن بين الأسباب التي دعيتي لدراسة هذا الموضوع هو إظهار دور الفاطميين في نشر الإسلام في المنطق البعيدة والسعي إلى المحافظة على إبقاء الإسلام فيها من خلال علاقاتهم الخارجية ببلدان أخرى .

وعند الإعداد لهذه الدراسة واجهت العديد من الصعوبات منها قلة المصادر والمراجع التي عنت بهذه الفترة ، وإن وجدت فإنها تتناول حياة الفاطميين بشكل عام دون تركيز على جانب معين ، بالإضافة إلى عدم توفر الكتب في مكتبتي في الجامعة خصوصاً ، أميات الكتب والمصادر مما اضطرني إلى البحث في الجامعات الأخرى والمكتبات الخارجية .

أما عن المنهجية المتبعة في هذه الدراسة فهي تعتمد على عرض وتحليل بعض النصوص التاريخية وإيجاد الرابط منها في الحالات التي تحتاج إلى ذلك ، مع محاولة مني لإظهار رأيي المتواضع والبسيط .

باعتبار أن هذه الدراسة جمعت بين مناطق مختلفة دون تحديد الإطار المكاني لها وإن كانت مصر بوابة للدراسة الأولى حيث تركزت الدولة على التكوين الأول للفاطميين ، ثم يأتي الانتشار في بقية الولايات العربية، كما أن هذا الحد ما بين المناطق يتطلب جهداً في تحليل الأحداث وإبرازها مما يضيف جهداً أكبر في البحث.

إما بالنسبة للفترة الزمنية للدراسة فهي القرنين الرابع والسادس الهجريين (358-567 هـ / 968-1171 م ) .

وتميزت هذه الفترة بالفتوحات الإسلامية والانتشار الإسلامي وتكوين الدويلات الصغيرة في المشرق والمغرب مثل فتح الأندلس (92 هـ / 711 م ) كذلك فتح صقلية (212 هـ / 827 ) .

وقد اعتمدت الباحثة خطة بحثية تقوم على مقدمة وخاتمة وأربعة فصول على النحو الآتي :

## **الفصل الأول :**

### **انتقال الفاطميين إلى مصر**

يتناول هذا الفصل أوضاع مصر قبل غزو الفاطميين ، حيث يذكر فيه الولاة الذين حكموا مصر وأوضاعهم السياسية والدينية والاقتصادية ، كما يتناول الفصل فتح الفاطميين لمصر وتأسيس عاصمتهم فيها ، والظروف التي ساعدتهم للانتقال والتكوين ، كما سيتم إعطاء لمحة عن دور الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في ذلك ، من خلال اختياره لأهم القواد خاصة جوهر الصقلي الذي أكمل الدور الذي بدأه الخليفة ، وهذا تستعرض الطالبة في هذا الفصل دخول المعز لدين الله إلى مصر وإنشاء مقر الخلافة فيها . وبه يختم الفصل .

## **الفصل الثاني**

يحتوي على النفوذ الفاطمي بالعراق ، ففيه تستعرض الطالبة الأحداث المتسلسلة التي تعرض إليها الفاطميون ، متطرفة لتوضيح الكيفية التي تم بها دخولهم إلى العراق من خلال التركيز على ثورة النعمان السعدي .

كما يتناول الفصل موقف البويهيين من الفاطميين والأعمال التي قاموا بها في سبيل إثبات وجودهم في العراق ، كما يتناول للخلفاء العباسيين وأوضاعهم ، كذلك سيتطرق إلى التعزيزات التي قام بها الخليفة الفاطمي العزيز بأمر الله من أجل بسط عودته على بغداد والعراق كافة .

### الفصل الثالث :

حيث يتضمن هذا الفصل وجود الفاطميين في أهم ولاياتهم وهي الحجاز والشام ، وفيه سنتعرف على العلاقة التي ربطت ما بين الحجازيين وبلاد مصر ، ونوع هذه العلاقة السائدة فيما بينهم ، وهل كانت هذه العلاقة سبباً في وجود الفاطميين وإعلان الخطبة لهم على منابر الحجاز ؟

كما ستركز الطالبة في هذا الفصل على استيلاء الفاطميين على الشام وبسط نفوذهم عليها باعتبارها منطقة نافذة بمساحتها الشاسعة والمترامية الأطراف وستعطي صورة دقيقة لأوضاع العرب فيها ومقاومتهم الشديدة للفاطميين ، والكيفية التي رضخوا بها ؟

ونتهي الفصل بالأوضاع التي سادت داخل وخارج الدولة الفاطمية في عهد الخليفة الظاهر وعهد الخليفة المستنصر، وإبراز مميزات عهد كل منهما والسياسات التي حدثت للدولة الفاطمية في عهدهم من ظروف اجتماعية واقتصادية ودينية والتغيرات التي حدثت خصوصاً الظروف السياسية للدولة وما عانته من جراء ذلك.

### الفصل الرابع :

يحتوي هذا الفصل بين طياته على الوجود الفاطمي في اليمن والخليج العربي ، حيث يتناول بداية الدعوة الفاطمية وتشيطها في الركن الجنوبي للحررة العربية ، والدور الذي لعبه الصنحيون الذين أسهموا في ربط الصلة ما بين اليمن ومصر . بالإضافة إلى التركيز على الظروف المحيطة بالدعوة في اليمن والتي ساعدت على نجاحها ، إلى عمان والهند واختيار الدعاة من قبل الفاطميين في مصر ، وينتهي الفصل بالحيدود التي بذلها اليمنيون في عودة النفوذ الفاطمي للحجاز .

وقد جاءت بعد هذه الفصول خاتمة تشمل النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة، ووضع قائمة بالمصادر والمراجع وذلك بعون الله ونصله، وما

استطاعت الطالبة الحصول عليه من مادة علمية على قدر المستطاع وأقصى جهد  
متدول لإخراج الأفضل والأصح تاريخياً .

وسيتّم الاعتماد في إعداد هذه الدراسة على الكثير من المصادر الأصلية ،  
والتي ، ستفيد في الكشف عن الكثير من موضوعات البحث غير أن الاعتماد الرئيسي  
سوف يكون على مصادر معينة ، ومن هذه المصادر ما يلي :

كتاب المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار تقي الدين أحمد المقريري  
ت(845هـ / 1441 م ) فيأتي في مقدمة الكتب التي اعتمدت عليها الطالبة في هذه  
الدراسة ، ويعتبر من أهم الكتب التي تعرضت لتاريخ العاطميين والأحداث السياسية  
والاقتصادية التي مرت في عهدهم ، وهو بحق موسوعة علمية حيث أفادت الباحثة  
من تسلسل المعلومات والأحداث التاريخية وهو من الكتب التي أعطت صورة كاملة  
عن أوضاع الفاطميين في المغرب والمشرق .

كما اعتمدت الباحثة على كتاب الكامل في التاريخ عز الدين أبي الحسن بن  
الأثير: ت(630هـ / 1232 م ) ويعتبر من أهم المصنفات للمشرقية التي تناولت التاريخ  
الإسلامي في المشرق والمغرب ، وجاء كتابه بمعلومات وافية عن الفاطميين وهو  
أكثر الكتب دقة من حيث ترتيب السنين ، كما احتوى على نظريات تاريخية لها دور  
في تحديد مسار بعض الأحداث التاريخية في الدراسة .

كما تم تزود ببعض الكتب الجغرافية أهمها كتاب البلدان لليعقوبي : أحمد بن يعقوب  
اليعقوبي: ت (292هـ / 897 م ) والذي كان غنياً بالإضافة إلى ذكر الأماكن وتحديد  
موقعها الملم بأخبار الفتح للأقاليم والولايات الإسلامية .

ولقد تم الإطلاع على بعض الكتب الحديثة خاصة التي تناول نفود الفاطميين في الشام  
والجزيرة العربية، وقد أسهمت في توضيح وإثراء عدة موضوعات، منها حسن  
إبراهيم حسن وكتابه تاريخ الإسلام السياسي ، الذي يعتبر من المراجع الأساسية  
ويرجع له الفصل في تحقيق الكثير من المعلومات والأحداث العالقة في تاريخ

كما اعتمدت الطالبة على مراجع المؤلف محمد جمال الدين سرور كتبه  
المعددة ، منها الدولة الفاطمية في مصر وكتابه مصر في عصور الربة الفاطمية،  
وكتبه نفود الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، حيث أسهمت كتبه بشكر كبير في

ايضاح الكثير من المعلومات التاريخية في سرد الأحداث التي قام بها الفاطميون في ولاياتهم .

واستعانت الطالبة ببعض كتب المستشرقين وأهمهم مورييس لومرد في كتابه الإسلامي في محله الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس، والتي اتاحت أكثر للاطلاع على نظرة المؤرخين الأجانب للتاريخ الإسلامي الوسيط ، خصوصاً في تاريخ الدولة الفاطمية من ناحية العظمة والانتشار والاستقرار السياسي ، ومن ناحية نظرتهم المحيطة للدين الإسلامي واستمراره في الجزيرة العربية .

وفي الختام أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفقت في اختيار المصادر المطلوبة لهذه الدراسة كما التمس العذر مسبقاً عما قد تظهر فيها من أخطاء وقصور وأسأل عز وجل أن يكون جهدي هذا منفعة لغيري من الباحثين وأن يال الرضي والاستحسان .

**والله موفق الجميع**

**الطالبة**

## الفصل الأول

### انتقال الفاطميين إلى مصر

- المبحث الأول:- أحوال مصر خلال حكم الطولونيين والاشيدين.
- المبحث الثاني:- غزو مصر وإنشاء مقر الخلافة.
- المبحث الثالث :- دخول المعز لدين الله مصر.

## المبحث الأول

### أحوال مصر خلال حكم الطولونيين والاختشيديين

دخلت مصر في حوزة العرب والإسلام في النصف الأول من القرن الأول الهجري<sup>(1)</sup> وتطورت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولما تولى العباسيون الخلافة الإسلامية لم يستثنوا مصر من بسط نفوذهم عليها، ففي سنة 254 هـ // 868 م عين الحليفة العباسي المعتز الأمير التركي باكباك والياً على مصر<sup>(2)</sup> ونظراً لالتحاق هؤلاء الأمراء ببغداد حيث توجد أملاكهم ومصالحهم ومركز قوتهم كان من الصعب الاعتماد عنها، كان أغلبهم يعيّنون نواباً عنهم في الولايات التي تكون من نصيبهم وهذا ما فعله أغلب الأمراء<sup>(3)</sup>

أرسل أحمد بن طولون ليكون نائباً عن الأمير باكباك ومن طموحات ابن طولون أنه لم يرضى أن يكون مجرد نائب عن غيره، ويرجع ذلك لكونه رحلاً ترقى على الطريقة العسكرية والدينية في عدة مناطق في العراق<sup>(4)</sup> حيث نشأ في بغداد، وأثر ذلك في تفكيره في الاستقلال بمصر، ونفذ ما جال في فكره وانتقل إليها وأصبح أول والياً في تاريخها ينتقل إليها، ولم يضيع الوقت فبدأ في إدارة وتنظيم شئون مصر من جميع النواحي خصوصاً العسكرية والاقتصادية والسياسية، حيث ركز منذ البداية على الناحية العسكرية وكون جيشاً ضخماً وأسطولاً عظيماً كما لم يهمل النواحي المادية والأدبية، وقام بتحصين مصر من النواحي الحدودية حيث حفر خنادق للمياه، كما حرص على حماية شواطئ البحرين الأبيض والأحمر وعمل على وضع نقاط حراسة ليلية لحمايتها من الأعداء<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> حس، محمد غواد، تاريخ الاسكندرية وحضارتها (ب 2)، الاسكندرية 1963 ط 1، ص 218

<sup>(2)</sup> /العمادى حمد مختار، في التاريخ العثماني والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1978، ط 2، ص 1

<sup>(3)</sup> /الحافظي محمد عبد المعز، الحصار الاول لمصر في مصر من ارسنال سدوت، دار الكتب الوطنية، القاهرة 1893، ط 1، ص 110

<sup>(4)</sup> كاشف: سيدة مصر في عصر الطولونيين و الاختشيديين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1970، ط 1، ص 1

<sup>(5)</sup> شريبي، براهيم، التاريخ الاسلامي في حلال 14 قرناً، مؤسسة الجامعة للنشر، القاهرة، 1971، ط 2، ص 166

وتدريجياً ارتفع شأن الدولة الطولونية سياسياً ، وأصبحت محط أنظار المسلمين كافة، ومند أن دخلها ابن طولون ، أصبحت مصر مركزاً ثانياً للمسلمين بعد بغداد وهذا أسس دولة استمرت سبعة وثلاثين عاماً، حافلة بالنشاط في جميع المجالات، وفي أيامه تحسنت أوضاع مصر الاقتصادية ، وذلك لما قام به ابن طولون من بناء الحسور والقناطر، والمساكن المنظمة لسكان البلاد وخصوصاً داخل المدن الرئيسية وفي مجال التجارة أصبحت مصر من المعابر الرئيسية للتجارة العالمية وحصة بين الشرق والغرب، وقد جعلتها تلك المكانة ، إحدى المراكز التجارية الهامة، تنقضي فيها الضرائب الجمركية، على البضائع المارة بها. (1)

وفي مجال الصناعة فقد اشتهرت الدولة الطولونية في عهد أحمد بن طولون بصناعة النسيج، والورق، والصابون والسكر والخزف، إضافة إلى مصانع الأسلحة (2). ولم تقتصر اهتمامات ابن طولون على النواحي السالفة الذكر، بل قام ببعض الإجراءات التي من شأنها تدعيم مركزه، فقام بوضع اسمه في الخطبة بعد اسم الخليفة مباشرة، وأضاف اسمه على النقود، واتخذ الحجاب، والكتاب والموائد، والمواكب كمظهر من مظاهر الاستقلال.

وبذلك منح ابن طولون مصر عصرأ جديداً اختلف عما سبقه من حيث الجانب الاقتصادي الذي كان غير مهتم به في عصر التبعية العباسية (3).

أصبحت مصر في عهده دولة تمتد من العراق إلى أقصى برقة بما في ذلك آسيا الصغرى والشام وفلسطين، إلا أنه لا يمكن أن نقول إن عهد ابن طولون عهد سلام دائم واستقرار سياسي فقد قامت ضده عدة ثورات حاولت أن تطيح به، كما له عدااء طويل مع ولي العهد العباسي أحمد الموفق (4). بسبب احتواء ابن طولون الخليفة المعتمد الذي حاول نقل الخلافة إلى مصر ، ويبدو أن الموفق لم يكن يرغب أن يصل العداء بينهما إلى ذلك الحد من القطيعة فحاول تحميم علاقاته بابن طولون ومال إلى مصالحته. فوافق ابن طولون مسروراً بذلك ، وأرسل إليه مؤكداً له أنه أحد مواليه ودعيه (5).

(1) ابن أبياس محمد بن أحمد مدافع الزهور في وقائع الدهور دار المعارف، القاهرة، ط. 1، ج. 1، ص 173.

(2) شبيب أحمد تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، القاهرة 1967، ط. 1، ص 87.

(3) ساجد، عبد الله، ظهور خلافة الموحدين وسقوطها في مصر دار المعارف، الاسكندرية 1968، ط. 1، ص 69.

(4) عظم الله حصر أحمد، الحياة الفكرية في مصر، دار الفكر العربي، بيروت، 1997، ط. 1، ص ٦٠.

(5) جميل رشيد عبد الله، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، 1984، ط. 1، ص 348.



وبعد أن توفي أحمد بن طولون في سنة 270 هـ / 883 م على أثر مرض ألم به في إحدى غروقه في الشام، تولى ابنه خمارويه شئون مصر<sup>(1)</sup>، ورغم صغر سنه إلا أن الحليفة العباسي وافق على توليته، وعلى الرغم من أن والده ترك له ميراثاً يقدر بعشرة ملايين دينار، إلا أن عهده تميز بسوء الأحوال في مصر وانتشار العوضى، وتدد الثروة بسبب انغماسه في الفساد<sup>(2)</sup>، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع خمارويه أن يستعيد سلطانه على بلاد الشام.

ولم يكن خمارويه يرغب في استمرار علاقات الجفاء والقطيعة بينه وبين الخلافة فسعى لطلب الصلح، والواقع أن للموفق لم يكن بأقل رغبة في إقرار الصلح وإنهاء الخلاف ولقد استجاب لهذه الدعوة وأرسل له شروط الصلح وذلك في رجب سنة 273 هـ / 886 م،<sup>(3)</sup>

وكانت نهاية خمارويه اليمه، فلم يلبث أن قتل بالسنة 282 هـ / 885 م<sup>(4)</sup> وخلفه ابنه أبو العساكر، حيث انصرف عن تدبير شئون الحكم وأقبل على الشرب واللهو<sup>(5)</sup> وقد اتبع سياسة جديدة وهي قتل أحد لقاربه فغضب عليه قواده، وخرجت بلاد الشام عن طاعته وانتهى الأمر بخلع وسجنه وتولية أخيه الأصغر هارون<sup>(6)</sup> ولكن نتيجة للخلاف بين هارون بن خمارويه والحليفة العباسي<sup>(7)</sup> ونتيحته أن سير المكتفي جيوشه الحربية إلى مصر سنة 292 هـ / 904 م وذلك بغرض القضاء على الحكم في مصر والاستيلاء عليه نهائياً. وتعتبر الحيوش التي جلبها أضخم الجيوش العربية في عصره<sup>(8)</sup>. وعلى رأس قيادتها القائد العسكري محمد بن سلسن الذي تمكن من احتلال القسطنطينية، وتراجعت جيوش المصريين تراجع لم يتوقعه أحد.

بعد أن دخل العباسيون مصر قاموا بإحراق القطنع ونهبها لدرجة أن أصبحت خالية تماماً من ممتلكاتها التي عرفت بها في عهد خمارويه. وبعد تسير القسطنطينية تمكنوا من الاستيلاء على نور الطولونيين وأموالهم التي كانت لا تحصى. وبدأ

<sup>(1)</sup> المقريزي: نفى الدين أحمد، المعواظ والاعتدال لفكر الخطوط والأثر، ج 1، مؤسسة حلب وشر، نشر والتوزيع، القاهرة، 1967، ص 221، 316.

<sup>(2)</sup> ابن عري النيردي: جمال الدين أبو المحسن: التحويم الزاهرة في ملوك مصر، ج 3، (بين) القاهرة، 1933، ط 1، ص 49.

<sup>(3)</sup> حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السلسي، مكتبة النهضة، القاهرة، 1967، ط 1، ص 130.

<sup>(4)</sup> عبد المنعم ماحد: المرجع السابق، ص 71.

<sup>(5)</sup> البرعوثي: عد الطيف، تاريخ تبيين الإسلام، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1971، ط 1، ص 194.

<sup>(6)</sup> النعادي: أحمد محسن، في تاريخ العباسي والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ط 1، ص 138.

<sup>(7)</sup> الكشاف: المرجع السابق، ص 82.

<sup>(8)</sup> الحسيني: أبو العلاء بن نصر، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 2، دار المعارف، القاهرة، ص 209.

العباسيون وعلى رأسهم محمد بن سلمان يرسل للخائز والأموال إلى القيادة المركزية في بغداد مما أدى إلى هروب هارون بن خمارويه إلى مدينة العباسية، وهناك قتله عماء شيان وعدي في سنة 292 هـ / 904 م ثم خلفه أحد أعمامه وهو شيان ابن أحمد بن طولون، إلا أن الأمور لم تستقر له فتار عليه الجند ولم يعترفوا بولايته مما زادت من الفوضى في ذلك العصر<sup>(1)</sup>.

ولقد تلت عهد خمارويه تقلبات سياسية كان فيها البقاء للأقوى وليس للأفضل بفصل النظرة عن الحكمة السياسية أو عدمها بتلك الفترة من زمن للولاة .

كما قبض محمد بن سلمان على من تبقى من آل طولون ، وأرسل إلى بغداد يشر الخليفة العباسي بفتح مصر .<sup>(2)</sup>

بعد انتهاء الأسرة الطولونية ، أخذ نواب الولاة العباسيين يتعاقبون على حكم مصر ولا يلبث الواحد منهم في الحكم فترة وجيزة حتى يقتل أو يعزل ، ليتولي مكانه آخر ،<sup>(3)</sup> وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على ضعف واضطراب الخلافة العباسية في بغداد الذي أدى بدوره إلى عدم الاستقرار في مصر، ولهذا عانى أهالي مصر الكثير وخاصة من عبث الجند الذين أودهم للخليفة العباسي إلى مصر، وازدادت الأحوال الاقتصادية سوءاً نتيجة للنفقات الباهظة من قبل هؤلاء الجند، وهكذا سقطت الدولة الطولونية بعد أن حكمت مصر سبع وثلاثين عام ، وكان لها الأثر في ازدهار الحضارة المصرية حيث كان الطولونيون وخصوصاً أحمد ابن طولون الذي عمل من البداية على ازدهار العمراني والذي لم يركز عليها من جاء من بعده معتمدين على التركة الطولونية التي خلفها لهم أبوه مما كان لها نتيجة عكسية سواء على الخلفاء الطولونيين أو الأهالي في مصر .<sup>(4)</sup> وما أن عين محمد بن طنج التركي والياً على مصر سنة 323 هـ / 934 م حتى عاد النظام والهدوء إلى البلاد تدريجياً من خلال الإصلاحات التي قام بها في الدولة المصرية ففي بداية عهده تمكن من الوقوف في وجه الغارات الفاطمية التي استطاعت دخول الإسكندرية والتي حاولت لتغلل داخل مصر فوصلت منطقة الصعيد الخالي من التحصين.

<sup>(1)</sup> الجوري : أبو الفرج عبد الرحمن . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ( ب . ن ) حيدر اباد 1955 . ج 6 ، ط 1 ، ص 50 .

<sup>(2)</sup> عبد السلام مازح ، المرحع السلف ، ص 71 .

<sup>(3)</sup> شافعي ، فريد ، العصابة العربية في مصر الإسلامية . القاهرة 1970 . ط 1 . ص 513 .

<sup>(4)</sup> سرور ، محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي القاهرة . 1970 ، ( ب ط ) ص 52 .

ولولا وقوف محمد بن طنج في وجههم لما عادوا لأدراجهم إلى أفريقيا حيث أظهر  
شجاعة كبيرة.

وتقديرًا لما قام به محمد بن طنج من قوة وشجاعة في صد غارات الفاطميين ،  
فقد كافأه الخليفة العباسي الراضي بأن أعنق عليه لقب الأخشيد ، الذي أعلن علي  
المنابر المصرية ومنذ ذلك أصبح يعرف بالأخشيد<sup>(1)</sup> كانت العلاقة التي تربط طنج  
مع العباسيين في بادئ الأمر تتطوي علي الصداقة واللود، وما لبث أن تعيرت صيلة  
المودة بينهما حين بلغ الأخشيدي إزدياد نفوذ محمد بن رائق الخزري أمير الأمراء في  
بغداد وأطماعه في ولاية الشام ، مما دعا الأمير إلى خروج الأخشيد وإعداد العدة  
لمحاربته في سنة 328 هـ / 939 م حيث التقى الطرفان في منطقة العريش، وحلت  
الهزيمة بابن رائق غير أنه لم يستسلم فبعد استقراره في الرملة\* رجع مع جيشه إلى  
الأخشيدي الذي لقي مقاومة عنيفة وانتهى النزاع بينهما بعقد صلح ينص علي حكم  
بن رائق للولايات الشامية شمال الرملة وأن يدفع للأخشيد جزية سنوية<sup>(2)</sup> ويعتبر هذا  
الصلح مهما للطرفين وذلك لأن ابن رائق استنفذ قواته الحربية نتيجة توسعاته، أما  
الأخشيدي فكان مهتما بتوطيد أركان دولته.

وبعد أن رطد الإخشيدي دولته واستطاع أن يعيد بلاد الشام إلى حوزته ، استقر  
حكمه وأصبحت له قوة قتالية جعلت العباسيين يخشونه<sup>(3)</sup>، وتوجه الإخشيدي بجيوشه  
إلى سيف الدولة الحمداني معتمدا علي قائده كافور الحبشي وانتهى الخذف بعقد صلح  
مع سيف الدولة الحمداني الذي تعهد بالجزية أيضا<sup>(4)</sup> ثم بدأت المراسلات بين  
الفاطميين والأخشيد، وقد ظهر ذلك واضحا في المراسلات الموحية من ثاني خلفاء  
الفاطميين في بلاد المغرب " القائم " إلى الأخشيد والتي يحثه فيها علي شر الدعوة  
الفاطمية في مصر ، كما يبدو أن الرسائل الفاطمية إلي الأخشيد كانت من ضمن  
الوسائل المتبعة لاستدراج الأخشيد إلي مذهبهم ، ثم الانقصاص علي مملكته هذه  
راجعا إلي خشية الأخشيد من غضب الخليفة العباسي الراضي ، أو أنه مصر يدرك

<sup>(1)</sup> أحمد العبادي التاريخ العباسي والأخشيد ، ص 140  
\* الرملة هي منطقة تقع ما بين الشام وقلسطين وينكر أن أسسها سليمان بن عبد الملك . انظر ابن بزرغة حفة الشار في  
غريب الامصار ، دار الكتب العلمية . بيروت 1987 . ط 1 . ص 81  
- محمد سرور تاريخ الدولة الفاطمية . ص - ص 54 ، 55  
<sup>(2)</sup> سرور محمد جمال الدين ، مصر في عصور الدولة الفاطمية . دار الفكر العربي . القاهرة 1970 . ص 55  
<sup>(3)</sup> أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي . ص 143

أطماع القائم العاطمي في مصر<sup>(1)</sup> إلا أن تصرفات الخليفة وعلاقته بأس رائق عكر الصورة مابين الأخشيد والخليفة العباسي ، فبمجرد سماع الأخشيد ثارت ثائره وأمر بإلغاء الخطبة للخليفة العباسي ، وإحلال اسم الخليفة للفاطمي بدلاً منه ، ونتيجة لذلك بدأت علاقات الود تنمو بين الأخشيد والفاطميين ، مما أدّى إليّ ظهور فريق في مصر يدعو إليّ المذهب الشيعي الفاطمي ، وكان ظهور الدعاة للفاطميين في مصر يمثل ضغطاً من الإخشيد عليّ العباسيين<sup>(2)</sup> لعلّ العباسيين يحسنون علاقاتهم مع الأخشيد الذي يأمل في تجديد العلاقة معهم ، فقد كان الأخشيد يستمد قوته وسياسته الحربية من دعم العباسيين له والذين كانت لهم أطماع من وراء ذلك .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظلّ الأخشيد عليّ إخلاصه للخلافة في بغداد ، بعد أن أدرك أنه من الأفضل أن تكون علاقاته طيبة معها ولم يقطع علاقته بالفاطميين<sup>(3)</sup> ، فقد عرض الأخشيد ابنته عليّ القائم لتكون زوجة لإبنه وولي عهده المنصور ، وهدفه من ذلك التقرب إليّ الفاطميين وتأمين شرهم ، أما بالنسبة للفاطميين فقد كانوا يأملون من هذا الزواج فتح للطريق لمبادئهم الشيعية في مصر ، إلا أن العلاقات عادت إليّ التوتر بين الأخشيد والفاطميين ، عليّ إثر وفاة الخليفة الفاطمي القائم في سنة 334هـ / 945م وتوليّ ابنه المنصور الذي انشغل بالقضاء عليّ الثورات في بلاد المغرب وصرف النظر عن بلاد مصر وأحوالها.<sup>(4)</sup>

اصطربت الأحواز في مصر عليّ إثر وفاة الأخشيد في سنة 334هـ / 945م وتوليّ من بعده ابنه أبو القاسم المعروف بأنجور .<sup>(5)</sup> ولأن أنجور كان صغير السن ، فقد تولّى تدبير أمور الدولة أستاذه كاهور حيث استطاع أن يكون نفوذاً في بلاد مصر ، وقد تمّ ذكر اسمه في الخطبة ، ودُعيّ له عليّ المنابر بجانب اسم أنجور.<sup>(6)</sup>

وبعد وفاة أنجور ومن بعده أخيه عليّ، استقلّ كاهور بالحكم رسمياً ، وأصبح والي مصر الأول ، فقد كن كريماً يعتق الأموال والعطايا فأحبه قادة حنّده وكبار موظفيه بما

(1) محمد سرور مصر في عصور الدولة الفاطمية . ص 30

(2) عليّ إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى . ص 262

(3) سيدة الخاشف - مصر في عصر طغوتيين والإخشيديين . ص 275

(4) عليّ إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى . ص 263

(5) بن شعريّ: سجون القاهرة . ج 1 ، ص 1

(6) سيدة الخاشف المرجع السابق ص 10

أولاهم من اهتمام ورعاية شديدين كان لها نتائج إيجابية على مصر<sup>(1)</sup>، ولم يستعد كل الأهالي في مصر من غرق كافور فقد كان المستفيد الأكبر التابعين له من كبار الموظفين والقضاة في دولته أما البقية الباقية فقد ظلت كادحة في عصره كما ينسب إلى كافور عنايته الخاصة بالمساجد، حيث أنفق عليها أموالاً طائلة وأهم هذه المساجد الفقاعي الذي أنشئ في سفح جبل المقطم، وينسب إليه أيضاً بناء مارستان في القسطنطينية، كما ازدهرت الصناعات والفنون، فقد عرفت في عصره صناعة النسيج الذي كان يختم بختم رسمي من الدولة، كما ارتفعت أسعار الذهب الذي أخذ طريقه في التجارة المصرية<sup>(2)</sup> ومما لا شك فيه أن كافور من محبي الخزف المعدي فقد أولى اهتماماً به وشجع العاملين بمعرفة الأساليب المتطورة عن العهد الطولوني أي الطراز العباسي المعروف، ولما تارت زخارف عهده بحفر منحرف الجوانب تتكون فيه الزخرفة من بضعة فروع وخطوط حلزونية تغطي الأرضية كلها، و أدخلوا في هذه الخطوط رسماً تخطيطياً محوراً عن الطبيعة لحيوان أو طائر، كما كانت تصنع من الخشب ألواح صغيرة تحفر فيها كتابات لتسجيل ما يملكه الأفراد من العقار في عبارات قانونية محددة<sup>(3)</sup>، كما امتاز بحبه للعلم والعلماء، وزار بلاطه عدد كبير من فحول الشعراء في ذلك العصر وأهمهم القائل الرومي أبو شجاع فاتك الذي كان زميلاً لكافور في الخدمة على عهد الإخشيد، والذي كان يرى أنه أحق من كافور في حكم مصر، لهذا كان كافور يلاطفه ويدنيه كما زاره الشاعر المتنبّي في إقطاعه، إلا أن كافور لم يحقق للمتنبّي مطالبه الخاصة بمنحه ولاية من الولايات المصرية، مما جعله يغضب عليه وانقلب مديحه لكافور إلى هجاء وذهب بعد هروبه من مصر خوفاً من بطشه وفتكه<sup>(4)</sup> ونرى أن كافور كان رجلاً منفتحاً على العلوم والفنون، ومحباً لدينه لاهتمامه ببناء المساجد التي كثر عددها في عصره، كما جسد إلى كافور دخول صناعة الخزف التي ازدهرت على مر العصور بفضل تشجيعه منذ بداية طيور هذه الصناعة، ومن ثم جاء التقليد الرسمي من الخليفة العباسي المطيع في سنة 355هـ / 965 م بتوليته، كما وصلته الخلع والهدايا من بغداد ثم هو الحال

(1) ابن شكري: شعوب القاهرة، ج 4، ص 2

(2) سيدة الكاشف: مصر في عهد الطولبيين والإخشيديين، ص 137-138

(3) حسر ركي محمد، الفن الإسلامي في مصر، دار الآثار العربية، القاهرة، 1935، ص 100-101

(4) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 136-137

في مثل هذه المناسبات فقد كان عندما يتم تقليد والٍ من قبل الخلافة العباسية يتم حلب الهدايا له من أموال وخدم، وعتاد حربي، وإعلان اسمه في مركز الخلافة في بغداد. أصبح كافور والياً على مصر، وما يليها من مناطق متجاورة بمصيبتها مناطق الشام\* التي ارتبط اسمها على مر العصور بولاية مصر<sup>(1)</sup>، وظل كافور في الحكم أكثر من سنتين عانت فيها مصر كثيراً من المشاكل والصعوبات السياسية<sup>(2)</sup> ومهما يكن فإن عهد كافور كان منعشاً في بعض جوانبه، بذل كافور جهداً في سبل إنعاش أحوال مصر الاقتصادية<sup>(3)</sup>، فكان يهدف إلى تأمين حدود بلاده، ففي منطقة الشمال حارب الحمدانيون الذين تطلعوا إلى الاستيلاء على الشام\* وانتزاعها من الإخشيديين مستغلين الظروف التي تمر بها من انتقال الخلافة، ففي سنة 333 هـ/944م نجح سيف الدولة في الاستيلاء على حلب وخطب فيها، مما حفرهم إلى التقدم نحو حمص، إلا أن الحمدانيين تقابلوا مع الجيوش الإخشيدية بقيادة كافور في أواخر سنة 333 هـ/944م وانتهى الأمر بانتصار الحمدانيين بقيادة سيف الدولة الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بالإخشيديين، وانتهت هذه الحرب بعقد صلح بين الطرفين في منطقة قنسرين، هذا كما حارب كافور القرامطة الذين أغاروا على جنوب الشام، وهددوا قوافل التجارة والحجاج المتجهة إلى الحجاز، وانتهت هذه الحرب أيضاً بصلح فيما بينهما<sup>(4)</sup>، ولقد كثرت حروبه مع الطامعين للاستيلاء على الأراضي التي بسط نفوذه عليها.

كما حارب كافور أهل النوبة في الجنوب الذين تكررت غاراتهم على أسوان وغيرها من مدن الوجه القبلي، وكانت نهاية هذه الحرب خضوع النوبيين وتقديم الجريسة والرقيق إلى مصر كل سنة. ونتج عن ذلك كثرة الجنود السود في الجيش الإخشيدي<sup>(5)</sup>، وفي ذلك الوقت كان يصد غارات الفاطميين خاصة في مناطق الواحات الغربية<sup>(6)</sup> وعلى الرغم من تولي الفاطميين العدائية نحو كافور الإخشيدي، إلا أنه

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السني، ج 3، ص 130.

(2) علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، ص 97.

(3) رشيد عبد الله لخميس: دراسة في الخلافة العباسية، ص 366.

\* الشام: تقع الشام في قلب الشرق الأوسط القديم على أبواب آسيا الغربية وشواطئ البحر المتوسط وهي سهل ساحلي وتضم سوريا الحديثة ولبنان وفلسطين وشرق الأردن. انظر: ضيف: شوقي - عصر النول والادب، دار المعارف، القاهرة 2003، ط 9.

(4) محمد محسن العادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص 145.

(5) أحمد مختار العادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 145.

(6) حسن إبراهيم حسن: في تاريخ الإسلام السني، ج 3، ص 141.

استقبل الدعاة الذين أرسلهم الخليفة المعز إلى مصر في محاولة منه لإقناع كافور بالدخول في طاعته وللتوصل من العباسيين، ولم تكن هذه هي المحاولة الأولى من المعز للاتصال بكافور، فقد سبق له أنه أرسل رسلة إلى مصر أثناء وصايته على أولاد الإخشيد متعظراً بطلبه أن يمر بأسطول حربي، مما جعل كافور يرد عليه بالرفض لطلبه.<sup>(1)</sup> ومن جهة أخرى فقد تبادل كافور الهدايا مع المعز لدين الله، وفي نفس الوقت كان يظهر الود للعباسيين، كما أن كافور سهل أمور الحجاج المعارضة أثناء مرورهم بالأراضي المصرية في الذهاب والعودة<sup>(2)</sup>، وهذا ما جعل المعز يؤجل غزوته لمصر لحين عودة الحجاج، وعندما علم كافور أن أم الخليفة المعز، في ركب حجاج المعارضة، قام بزيارتها وقدم لها كثيراً من الهدايا وسهل لها أمورها، وهذا الأمر دل على فطنة وذكاء كافور السياسي كما دل على الكرم الذي امتاز به، فقد كان سخياً معطاءً وكان يحرص على إعداد موائد الطعام، سواء أكانت للمارين على أراضيه أم للفقراء الذين كثروا في عهد الإخشيديين وكافور<sup>(3)</sup> ونرى أن تصرفات كافور دائماً تدل على حنكة سياسية لديه، فقد دلت على خبرة وفطنة وذكاء من خلال محاباته لقوى دولتين (العباسية والفاطمية) في آن واحد، فقد حرص على مهادنة المعز لدين الله الفاطمي صاحب المغرب، وحاول أن يظهر له ميله واحترامه له ويظهر لبني العباس الطاعة، وعلى الرغم من أنه كان يخادع، إلا أن السياسة في ذلك العصر كانت تتطلب ذلك، وقد كان دعاة المعز في مصر يحاولون نشر المذهب الشيعي بين المصريين ويمهدون الطريق للمعز، فقد كانوا يعمون الناس فيها بالرحاء والازدهار إذا رحبوا بالفاطميين في ديارهم<sup>(4)</sup>، وربما كان سماح كافور لهؤلاء الدعاة بالاستمرار يعود إلى ما كنت تعانيه دولة بني العباس من ضعف في بغداد<sup>(5)</sup> وأصبحت مصر في عهد كافور تعج بكثير من المتشيعين، الذين يندفون لتوثيق مذهبهم الجديد على حساب السنيين.<sup>(6)</sup>

<sup>(1)</sup> النعماني، أحمد إبراهيم، الأساطيل العربية في البحر الأبيض، دار المعارف، القاهرة 1957، ص 123-124.

<sup>(2)</sup> عبد الحميد ماجد، ظهور خلافة العظميين وسقوطها، ص 102.

<sup>(3)</sup> أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 146.

<sup>(4)</sup> بن نوري، انجوسم الزاهرة، ج 4، ص 71.

<sup>(5)</sup> جلال، إبراهيم، المعز لدين الله الفاطمي وتشييده مدينة القاهرة، القاهرة 1963، ط 1، ص 47.

<sup>(6)</sup> سيدة كاشف، مصر في عصر الفاطميين والإخشيديين، ص 275.

ويمكن القول أن كافور لم يترك الوضع على حاله مع هؤلاء الدعاة، لو الدين ساروا في ركابهم من المصريين بعد أن تمادوا في دعوتهم، وبدأوا في لستمالة كبار القادة والوزراء في الدولة، فتراه في مناسبات عدة يقف في وجوههم أحياناً، ويتشدد معهم عندما يقفون على المنابر لصلاة الجمعة<sup>(1)</sup>. وربما كان تآرجح سياسة كافور الإخشيد في ولائه للفاطميين والعباسيين قد أملتأ عليه الظروف العامة المحيطة به في ذلك الوقت، فالخلافة العباسية لا تستطيع حتى حماية نفسها من الأخطار المحيطة بها سواء أكانت قامت ضدها نتيجة لما مرت به من ضعف، أم خطر الفاطميين القادم من المغرب.

توفي كافور بعصر في شهر جمادى الأول سنة 357 هـ/968م بعد أن تولى حكم إمارة مصر، وبعد وفاته حمل تابوته إلى القدس ودفن بها،<sup>(2)</sup> وكان عصر كافور متقلباً منذ بداية حكمه، فعلى الرغم مما كان يتميز به هو شخصياً من تشجيعه للعلم والعلماء. وبذخه لبناء المنابر والبرمستينات والمساجد، إلا أن مصر في عصره ضعفت من الناحية الاقتصادية، وهذا هو الأمر الذي أثقل كاهلها وأصبحت دولة طالبة للعون من قبل الدول المجاورة لها، مما فتح العيون عليها وشجعهم لمحاولة الاستيلاء و الانقضاض عليها.

وبعد وفاة كافور اضطربت أحوال مصر السياسية،<sup>(3)</sup> وانقسمت الأسرة الإخشيدية على نفسها، فاختار رجال القصر أبا الفوارس أحمد حفيد الإخشيد الذي كان صغير السن، لا يتجاوز عمره الحادية عشر، ووضعوا وصياً له،<sup>(4)</sup> واتفق الجميع على أن يكون أبو محمد الحسن ابن عبيد الله أخ الإخشيد الذي جاء إلى مصر تاراً من وجه القرامطة، إلا أنه استند بالأمر وقبض على الوزير جعفر بن الفرات، واستولى على أمواله، ثم عاد بعد ذلك إلى الشام.<sup>(5)</sup>

ولم يلبث أن تولى أمر البلاد الوزير جعفر بن الفرات الذي سرعان ما استأن بحكمه في مصر، وكان ابن الفرات ذو شخصية قوية، يشتهر بقسوته وخشوته القذرية وقد قام بعدة خطوات حطت المحيطين به بنفرون منه، منها تنكيته بالموظفين الذين يعملون

(1) على إبراهيم حسن مصر في تصور الوسطى ص 265

(2) ابن شكري الحوه القاهرة ج 4 ص 41

(3) ابن أبيس بدائع الزهور ج 1 ص 41

(4) محمد سرور مصر في عصر الدولة الفاطمية ص 32

(5) حسن على إبراهيم تاريخ جوهر الصقلي مكتبة النهضة القاهرة (ب ت) ط 3 ص 24



لدى الدولة ومصاهرة أموالهم<sup>(1)</sup>، وكان أبرز للمتضررين يعقوب بن كلس الذي هرب إلى بلاد المغرب، واتصل بالمعز لدين الله الفاطمي الذي جعله تحت حمايته حتى أنه أدخله لعساكره، وأصبح أحد القواد الذين يعتمد عليهم<sup>(2)</sup>.

وزدادت الأوضاع سوءاً من حراء ظلم ابن للفرات، فقد بدأ تأخير صرف رواتب الجنود، سبب قلة الأموال وإفلاس الخزينة، مما دعا الحند إلى التمرد، والت البلاد إلى حالة من الفوضى والاضطراب لا مثيل لها، وزاد من حدتها ارتفاع الأسعار وكثرة الفتن، وانتشار الفساد في مصر والشام بأكملها،<sup>(3)</sup> وتوالى الكهبات في ذلك العهد، حيث وقعت بمصر زلازل، وشبت نيران دمرت آلاف المنازل في القسطنطينية، وأغار ملك النوبة على صعيد مصر، وعاث فساداً في صعيد مصر وانخفض ماء النيل بصورة سببت القحط والجوع<sup>(4)</sup> ولم يفعل ابن للفرات ما يجب عليه فعله، فازدادت الأحوال سوءاً.<sup>(5)</sup>

وبذلك ظلت مصر على هذا الحال عدة أشهر، كانت فيها خاضعة للسلطة الإخشيدية الإسمية، وصلت فيها إلى حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب، ولم يستطع العباسيون أن يقبضوا على زمام الأمور، لو بعيدوا الأمن إلى نصابه، وذلك لأن الخليفة العباسي وصل إلى درجة من الضعف لم يحاول معها استعادة نفوذه في مصر<sup>(6)</sup>.

ونتيجة لما تقدم سارع أعيان مصر إلى مكتبة للخليفة المعز لدين الله بالمغرب طالبين منه التوجه بسرعة نحو مصر، التي أصبحت لا تطلق لسكانها سواء الأهالي أم للجنود<sup>(7)</sup>، لانتشارها من الفوضى التي انتشرت فيها<sup>(8)</sup>.

وكان الفاطميون قد عمدوا في بداية دعوتهم إلى تعيين دعاة مستقرين، ينشروهم في الأقاليم ذات المواقع المهمة، فيما عرف بجزر الدعوة، وكانت مصر من هذه الجزر، فقد استقر فيها أبو علي انداعي، الذي أسس مدرسة عرفت بإخلاصها للفاطميين.

<sup>1</sup> محمد سرور، ص 32.

<sup>2</sup> ابن شكري النجوم الزاهرة، ج 4، نفس المصدر، ص 21.

<sup>3</sup> أبو عبيد الله البلاغي: مرآة الحقائق وعبرة اليقظين دار الكتب الوطنية، بيروت، 1970، ط 2، ص 2.

<sup>4</sup> جمال الدين عبد الله محمد، في تاريخ مصر الإسلامية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ط 1، ص 72.

<sup>5</sup> ساجي، عبد الجبار وآخرون: التولية العربية الإسلامية في العصر العباسي، مركز الاسكندرية، كتاب الاسكندرية.

2003، ط 1، ص 299.

<sup>6</sup> علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، ص 100.

<sup>7</sup> ابن أبيس، يدمع الزهور، ج 1، ص 44.

<sup>8</sup> سيد الكاشف: مصر في عصر الفاطميين والإخشيديين، ص 277.

والتي كانت تشجع تلاميذها على غزو هذا البلاد، و بفضل هؤلاء الدعاة أضحى في مصر عدد غير قليل من الأنصار، الذين شجعوا بنورهم للمعز على غزو مصر و الاستيلاء عليها<sup>(1)</sup>، ومما سهل مهمة الدعاة ميل المصريين إلى المذهب العلوي بسبب ميلهم إلى علي بن أبي طالب والتفافهم قبلاً حول الوالي محمد بن أبي بكر وكان الدعاة يعملون في مصر منذ سقوط الدولة الطولونية وزاد اتصالهم بوحوه مصر منذ قيام الدولة الإخشيدية، وبما أن للقضاة في عهد الإخشيديين لهم مكانة في الدولة حاولوا استدراج ميل أبا الطاهر الزهلي، الذي تولى قضاة مصر والذي باطر رسول الفاطميين حين وصل مدينة القسطنطينية من أجل عرض سياسة الفاطميين ومد نفوذهم في مصر على حساب الإخشيديين، وتعتبر هذه الفترة حالة سياسية انتقالية من وضع سياسي إلى آخر أي من دولة حكمت مصر سنين عدة إلى دولة جديدة تغرس جذور دولتها على أنقاض هذه الدولة القديمة، والمقصود عصر الطولبيين والإخشيديين إلى الدولة الفاطمية الجديدة. ومن هنا نرى أن حالة الضعف واليأس التي وصلت إليها مصر، وعجز العباسيين عن إرسال الجيوش لصد الأعداء عنها فمهد السبيل أمام الفاطميين وقائدهم المعز لدين الله لفتح مصر<sup>(2)</sup>، ويتضح لنا من هذا مدى تأثير الدولة الفاطمية في مصر على الصعيدين الحكومي والشعبي، كما يتضح أن التغلغل الفاطمي في صميم الحياة المصرية قد هيا الجو لحدوث اضطرابات بين أنصار الفاطميين حيث كان الجنود المصريون من أصول سودانية وتركية السنة يسألون من يقابلونه (من ذلك)، فإن لم يقل معاوية، ضربوه وطاف أحد المتحمسين من سودان في الطرقات. وهكذا فإن الأخطار الخارجية التي واجهتها مصر، والاضطراب السياسي وسوء الحالة الاقتصادية وانتشار الدعوة الفاطمية كل ذلك حمل أول الرايات في البلاد على الكفاية إلى المعز لدين الله الفاطمي يطلبون منه القدوم إلى مصر بإقازها من الفوضى التي دبت فيها منذ أن اختفت شخصية كافور عن الحكم في مصر<sup>(3)</sup> وهكذا زال سلطان الإخشيديين والعباسيين جميعاً عن مصر وأصبحت هذه البلاد هدف الدولة الفاطمية<sup>(4)</sup> التي كانت تسعى لتحقيقه، وهو إقامة حرفة جديدة تحل

(1) طغوش محمد سهيل. تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر، دار التفات، بيروت، 2005، ط2، ص 185.

(2) عيسى إبراهيم حسي. تاريخ جوهر لخطي، ص 25.

(3) محمد طغوش. تاريخ الفاطميين، ص 187.

(4) سيدة كاشف تاريخ الطولبيين والإخشيديين في مصر، ص 119.

حل الخلافة العباسية وترثها في حكم العالم الإسلامي، فبعد أن نجح الفاطميون في إقامة دولتهم في بلاد المغرب، أخذوا يعدون العدة لتحقيق هذا الهدف، فوجهوا أنظارهم نحو مصر لعلهم يحققون حلمهم فوق أرضها وتحت سمائها، معدين العدة من الأموال والجيوش والجنود المقاتلة للذين بدأوا يجمعونهم تحت ألوية مقاتلة.

وينصح لنا من العرض السابق للأوضاع في شمال أفريقيا ومصر، أن ضعف الخلافة العباسية في بغداد، نتج عنه ظهور دويلات مستقلة في أنحاء الدولة الإسلامية خاصة في بلاد المغرب ومصر، وأن هذه الدويلات امتلكت أسباب القوة والمنعة المتمثلة في تكوين الجيوش وإقامة العمران، وكذلك في التقدم الاقتصادي، كما هو الحال في دولة الأغالبة في أفريقية، غير أن هذه الدولة أصابها الوهن في آخر أيامها، بسبب انغماس آخر أمرائها في المذلات وانصرافهم عن شئون الحكم، مما جعل دولة الأغالبة تقع لقمة سائغة في يد أبي عبدالله الشيعي داعية الفاطميين في أفريقيا.

وكذلك الحال في العهد الإخشيدي، الذي ظهرت فيه ملامح النهضة، أو التي تمثلت في آثارهم وفنونهم، وازدهار حياتهم الثقافية، خاصة في عهد الإخشيد وكافور، اللذين استطاعا القضاء على الفوضى والاضطراب اللذين سادا مصر بعد زوال دولة الطولوبيين، ونعمت مصر في عيدهما بقسط من الهدوء والاستقرار، إلا أن الإخشيديين كسابقهم انتكسوا في آخر أيامهم بسبب تنازعهم على السلطة وانقسامهم فيما بينهم، وتعاونهم مع أعداء العباسيين وأعدائهم أي الفاطميين في الشمال الأفريقي، حيث سهلوا لدعاتهم من الشيعة التسرب إلى الديار المصرية حيث عملوا على نشر مذهبهم، وبالتالي زعزعة الأوضاع السياسية في مصر.

## المبحث الثاني

### غزو مصر وإنشاء مقر الخلافة

أدرك الفاطميون أن مهمتهم في القضاء على الوجود العباسي صعبة عسكرياً، وأن بقاءهم في ركنهم المنعزل في المغرب أصعب، لذا اتجهت أطماعهم نحو عرو مصر، إذ لم يعيب عنهم أن فتحها مضاه فتح الشام والسيطرة على الحجاز، كمب أنها الطريق الوحيد للوصول إلى العراق، فضلاً على أن غنى مصر وثروتها يساعدهم في تحقيق أهدافهم للخروج من منطقة المغرب، التي أصبحت تضيق عليهم، فقد كانوا على خلاف مع الدولة العلوية في المغرب الأقصى، ومع الدولة الرستمية في المغرب الأوسط، كما كان وجود قبائل البربر يهدد سلامتهم.

لذلك قرر عبيد الله أن يضرب الدولة العباسية في هذا البلد، والاستيلاء عليها، فجهز لذلك حملات ضخمة لدق تحصيناتها، فكانت الحملة الأولى في سنة 302هـ/915م بقيادة القائد الفاطمي حباسه بن الكامي، الذي خرج من قاعدته وخرج إلى برقة ومنها إلى مصر لملاقاة القائد العباسي أبي النمر أحمد بن صالح الذي أجبر الحملة الفاطمية إلى التراجع لفترة ثم تقدم الفاطميون باتجاه مصر وواصلوا مسيرهم حتى وصلوا إلى الإسكندرية، وتوغلوا في الوحه البحري، مما أدى إلى اشتباك الفريقين في معركة قوية بمدينة مشول، على مقربة من الجيزة، ونتج عن ذلك انهزام الحملة الفاطمية ورجوعها إلى المغرب<sup>(1)</sup>

أما بالنسبة إلى الحملة الثانية فكانت في سنة 306هـ/921م، فقد امتزجت بالرفض من قبل أهالي مدينة برقة بعد عودة الحملة الأولى للحكم الفاضلي، والقبول من قبل المغاربة الطامحين لدخول بلاد جديدة، ونتج عن ذلك أن أخضع الفاطميون البرقة وبن لسيطرتهم وأخضعوا المنطقة، وأصبحت مركزاً للانطلاق إلى مصر، وأرسل عبد الله الميدي ولي عيذه القائم إلى مصر للمرة الثانية للاستيلاء عليها، وأمه بالقوة البحرية مسندة له حيث دخلها دون مقاومة تذكر<sup>(2)</sup> وقبل مائة الرحف

<sup>(1)</sup> محمد سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص 68.

<sup>(2)</sup> ابن عذاري: أبو العباس أحمد، السنن المغرب في حلى الانس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، ج 11، ص 181.

إلى القسطنطين توقف القائم في الإسكندرية لكي يتمكن من جمع قلوب قواته من ناحية واستظاراً لوصول الأسطول القادم لمساعدته من ناحية أخرى ولهذا اكتفى بإرسال طليعة من جيشه بقيادة سلمان بن كافي الذي استولى على الفيوم والأشمونيين، وكان رد الفعل العباسي على هذه الحملة سريعاً وقوياً، فأرسل الخليفة العباسي قوة بحرية بقيادة ثمال الحادم اصطدمت بالأسطول الفاطمي في السواحل المغربية، ولقد أثرت هذه الهزيمة على الفاطميين من الناحية النفسية خصوصاً على الجيش البري الذي كان مرابطاً بالإسكندرية، مما أجبر القائم على مواجهة الجيش العباسي القادم من الولايات الأخرى إلى مصر بقيادة مؤنس الخادم، واستقر في الجزيرة، حيث أرسل قواته لمواجهة الجيش الفاطمي الذي انهزم وأجبر على الرحيل من الإسكندرية. (1)

ولقد عمد مؤنس الخادم القضاء على الحامية الفاطمية في الإسكندرية بقيادة ثعلبة، مما جعل موقف القائم الفاطمي من أثر هذه التطورات السلبية محرجاً، واضطر بذلك إلى الانسحاب إلى برقة و العودة إلى أفريقية والوصول إلى المهدي في سنة 309هـ/921م، وكان انتصار للعباسيين فقد قتلوا واسروا من الفاطميين لكثير، كما انتهت المعارك البرية لصالح العباسيين.

أما الحملة الثالثة فكانت بقيادة حبشي بن أحمد واستمرت ثلاث سنوات 321هـ/933م تخللها عقد معاهدة صلح بين المصريين وحبشي بن أحمد، وبعد محاولات، لم يستطع للمرة الثالثة من الاستيلاء على مصر (2) وكانت الخطوة التالية للفاطميين هي جمع الأموال لفرض تحقيق الهدف الفاطمي الأكبر وهو إخضاع العالم الإسلامي إلى الخلافة الفاطمية بغض النظر عن الطريقة المتبعة في تحصيل تلك الأموال، فبدأ الفاطميون وقائدهم بفرض الضرائب والحزى المتقنة على الأهالي في كافة المغرب خصوصاً المناطق الواقعة تحت سيطرتهم. (3)

ولقد رادت شدة الفاطميين في أفريقيا بعد هزيمتهم في الحملات الثلاثة على مصر، وما أهدم أعفوا على هذه الحملات أموالاً طائلة، كان لابد لهم من استرجاع تلك الأموال بأي طريقة، وكانت أول هذه الأمور هي استحداث دواوين حربية ومخصصة

1 محمد طغوش: تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا، ص 108

2 رزق الله: إبراهيم، التاريخ السياسي والفاطمي، منشورات جامعة سيها، 1996 ط 1 ص 29، 28

3 محمد حبيب يوسف: الإدارة الفاطمية في بلاد المغرب، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، 1980 ص 38

4 ابن عذاري: البيان المغرب في حلى الانحس، ج 1 ص 181

في جمع الأموال، وترتب لوجه نفقتها المختلفة، لذلك كان من الطبيعي أن يستحدث أيضاً أنواعاً جديدة من الضرائب، يمدد بها حاجات بيت المال مثل ضريبة التصنيع، التي فرضت في سنة 305هـ/917م على ضياع أفريقيا وضريبة الأرض.<sup>(1)</sup>

ومن أهم الضرائب المستحدثة أيضاً ضريبة الحج، التي قررها المهدي في سنة 309هـ/921م أمر بأن تكون الطريق إجبارياً على المهدية، حيث تم التوقف لأداء ضريبة تسمى السطور علماً أن الطريق المختصرة هي طريق مصر<sup>(2)</sup>

نتيجة لذلك أثرت عدة فتن واضطرابات في الحكم الفاطمي في المغرب، أن هذه الإجراءات جعلت الأمر أشد من الناحية المادية، فقد كانت هناك حالة من الضغط المالي على المغاربة، حيث قامت عدة ثورات على سياسة الفاطميين منها ثورة أبي بن كيداد النكاري في سنة 316هـ/928م، وكذلك ثورة الشاكر لله وهو محمد بن الفتح بن ميمون، وهي حركة حضرية وهدفها الانفصال عن الحكم الفاطمي وطاعتهم وبسط نفوذه على المناطق التي يقيمون فيها.<sup>(3)</sup>

ولما ولي المعز لدين الله الفاطمي الحكم بعد أبيه، حاول تأديب لشكر لله بعد أن استفحل أمره في هذه المنطقة وأصبح يشكل خطراً على الوجود الفاطمي في المغرب، وأصبح من المعوقات للفاطميين وبجحوا في ذلك بعد محاولات عدة.<sup>(4)</sup>

وبعد أن امتد نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب كافة، رأوا أن هذه البلاد لا تصلح لكي تكون مركزاً لدولتهم، وذلك بسبب ضعف مواردها، إضافة إلى الاضطراب الذي كان يسودها من وقت إلى آخر، وعدم الإحساس بالأمان من جهة البربر. لذلك اتجهت أنظارهم إلى مصر ثغورة ثروتها، وقربها من بلاد المشرق ولكونها تحت سيطر العالم الإسلامي، الأمر الذي جعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة تنافس العباسيين<sup>(5)</sup>، كما كان لضعف الدولة العباسية واشغالها بدفع البيزنطيين عن بلادها دوراً مهماً. أصب إلى ذلك تأييد الشيعة في مصر لدعوة الفاطميين، حتى أنهم كتبوا إلى السعير يطلبون منه إرسال جيش لفتح هذه البلاد. وكان ليعقوب بن كلسر، الذي استوزرة كغيره ثم هرب

<sup>(1)</sup> عبد الحميد سعد رغلون، تاريخ المغرب العربي، جنتشة المعارف، الاسكندرية، 1997، ج 3، ط 1، ص 133

<sup>(2)</sup> عطية ويسر عمر، الجودية والخراج في المغرب العربي من الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة الفتح، 2005، ص 131

<sup>(3)</sup> نفاصي المعالي من حيون: المعالي والمسائير، مخطوط جامعة القاهرة، رقم (26060)، ص 26

<sup>(4)</sup> محمد سرور، الدولة الفاطمية في مصر، ص 61

إلى بلاد المغرب، واتصل بالمعز أثر كبير في بيان حالة الضعف التي سالت مصر على أثر وفاة كافور، وحثه للخليفة على المبادرة بإرسال جيوشه إليها. وبعد ثلاث محاولات فاشلة لفتح مصر قام بها عبيد الله المهدي، جاء عصر المعز لدين الله الفاطمي الذي كان فيه فتح لمصر بسبب عدة عوامل، منها ضعف

الحلقة العباسية صاحبة السيادة على مصر، وضعف الدولة الإخشيدية (323/358هـ) صاحبة السلطان الفعلي فيها.<sup>(1)</sup>

وقيل أن يقرر المعز التوجه إلى المشرق ركز وتوجيه اهتمامه الفعلي إلى تحقيق هدف الفاطميين، فقد كل قوته في مغامرة عسكرية للاستيلاء على الشمال الأفريقي، وليختبر عن طريقها القوة العسكرية لجيشه الذي سيبحث به لفتح مصر، وعهد المعز مهمة تثبيت سلطة الفاطميين ومد نفوذهم في المغرب الأقصى إلى القائد الفاطمي جوهر الصقلي، الذي قاد في سنة 347هـ/958م حملة عسكرية ناجحة صد البربر التآثرين على الخلافة الفاطمية، وخاصة في إقليم سحلماسة وتاهرت وبذلك تمكن من هزيمة مراكز مقاومة الفاطميين فيما عدا المراكز التابعة لأمويين الأندلس في سبتة<sup>(2)</sup> بدأ التقدم الفاطمي نحو مصر بعد أن كون المعز لدين الله الفاطمي دولته في المغرب، ثم حول قوته التي كون بها إمارته نحو الشرق، ونراه في إحدى رسائله يقول (لنملكن أنا و ولي بن العباس و لتوسن خيولي بطونهم) وبدأ في جمع الحنود من كتامة وزريلة، بعد أن أغدق عليهم الأموال والمطايا حتى بلغ نصيب الفرد الواحد من ألف إلى عشرين ألف دينار.<sup>(3)</sup>

أضف إلى ذلك الأخبار التي كانت تأتي إلى المعز تنبؤ بتخني الأوضاع في الدولة العباسية، مما يجعلها عاجزة عن صد أي تحركات عسكرية ينوي القيام بها ضد مصر، فالخلافة العباسية في بغداد تعاني من الوهن والشيخوخة، نتيجة تدخل العصر الأحنسي في شئونها لدرجة أن أصبح الأثرأك حكاماً حقيقين في الدولة العباسية يتصرفون فيها كما يشاؤون.<sup>(4)</sup>

<sup>(1)</sup> سالم - حميد عبد العزير خارج مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي مؤسسة شيد حنعة لاسكرية 2003، ط 1، ص 154.

<sup>(2)</sup> سيد - إيمان عواد الدولة الفاطمية في مصر، الدار المصرية اللبنانية تنشر، القاهرة، 1992، ط 1، ص 63.

<sup>(3)</sup> ابن أبي دينار - محمد بن أبي القاسم - المونس في أخبار إفريقية و تونس، (د.ن)، تونس، 1967، ص 64.

<sup>(4)</sup> مشرفه - عطية مصطفى، نظم الحكم في عصر الفاطميين، (د.ن)، القاهرة، 1948، ط 1، ص 313 324.

ولم تكن حالة الضعف التي انتابت الخلافة العباسية في بغداد ذات أسباب سياسية فقط، ولكنها كانت تعود من جهة أخرى إلى أسباب دينية، فقد ظهرت فيها مذاهب دينية كان من أهمها، أنصار ابن حنبل وغيرهم الذين بثوا الدعايات المعرصة ضد العباسيين وظنوا بهم للظنون السيئة فاتهموهم بالانغماس في الملذات وشرب الخمر، إضافة إلى استهتارهم بالدين وخروجهم عن قواعده<sup>(1)</sup>، هذا من الداخل، أما من الخارج، فقد أدرك الحليفة المعز لدين الله الفاطمي أن مصر أصبحت سهلة المنال بسبب ارتباط الدولة العباسية نتيجة لاستيلاء الدولة البيزنطية على كريت وقبرص، واقتطاعهما من الدولة العباسية، في الوقت الذي عقد فيه للمعز صلحاً مع البيزنطيين بعد أن كبدهم خسائر فادحة في مضيق سيناء عام 245هـ/859م وحطم أسطولهم الذي حاول الاستيلاء على قبرص، كل ذلك هياً للمعز الفرصة وبدأ الاستعداد للسير نحو مصر.<sup>(2)</sup>

ولهذا أصدر المعز أوامره للقواد الفاطميين بالاستعداد للخروج إلى مصر، وفي سنة 355هـ/965م أمر المعز بحفر الآبار على طول الطريق المؤدية إلى مصر، كما أمر الجنود بأن يبنوا له قصراً في كل مكان يحطرون فيه<sup>(3)</sup> فقام بجمع الضرائب والرسوم التي كانت على القبائل والتي بلغت خمس مائة ألف دينار و أضاف ما يقرب من خمسمائة حمل من الذنابير.<sup>(4)</sup>

بعد أن أعد المعز لدين الله للعدة لفتح مصر، بجمع الأموال الوفيرة التي يقال أنها بلغت أربعاً وعشرين مليون دينار، كما قضى سنتين في حفر الآبار وإقامة منازل في الطرقات المؤدية بين المغرب ومصر، وأعد جيشاً ضخماً بلغ مائة ألف مقاتل، حتى وصف بأنه جمع يشبه جمع عرعات من كثرتة<sup>(5)</sup> وأمد المعز لدين الله هذا الجيش بأموال وفيرة وصعيا في صناديق بلغ مجموعها ألفاً ومائتي صندوق حملها على الجمال، وجمع رجال الجيش من قبيلة كقائمة إحدى قبائل البربر التي سُميَ رجالها بالشحاعة العائقة، حين عيد إليها إخضاع المغرب لسلطان المعز لدين الله. ولقد حظ

(1) تلمس عارف، المعز لدين الله الفاطمي، دار الكتب الوطنية، بيروت، 1982، ط2، ص 103.

(2) ارشيبالد لويس، الفلوة البحرية في حوض البحر المتوسط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960، ط1، ص 297، 298.

(3) انحصلي شدرات الذهب في أخبار الذهب، ج3، ص 53، مكتب المحامي: محمد فريد بك، تاريخ الدولة، عهد العثمانية، مطبعة التقدم للنشر، القاهرة، 1912، ط3، ص 22.

(4) ابن حنبل، شمس الدين، وصلة الأعيان وأنباء الرمان، دار الصادر، بيروت، 1948، ج5، ص 226.

(5) ابن فو، السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 251.



ال خليفة في رجال كثامة قبل رحيلهم إلى مصر خطبة طويلة، هي في الواقع وثيقة تاريخية تتضمن الخطبة التي اعتزم المعز نهجها من النواحي السياسية والدينية، إذ انتهر الخليفة هذه الفرصة و أوضح لأتباعه أنه يعيش عيشة زهد وتشف كي يحصل حصص هبته و وقته لبلوغ غايته، وهي تعمير البلاد وصيانة أرواح رعاياه وإحصاء أعدائهم، و يحقق للمعز المثل المشهور (العدل أساس الملك) <sup>(1)</sup> ولقد كان بحاجة إلى قائد قوي يكون على قدر من المسؤولية لهذا الجيش العظيم، وقد لفت أنظاره قائد له كثير من الشجاعة والبسالة وهو جوهر الصقلي، الذي تدرج في السلطة الفاطمية وتحكم في الجيش وفي شهر ربيع الأول سنة 358هـ/969م وبذلك وضع المعز على رأس هذا الجيش جوهر الصقلي فخرج من القيروان أكبر مدن بلاد المغرب في 14 ربيع الثاني من سنة 358هـ/969م ووصل إلى رقادة التي تبعد عن القيروان بأربع أميال، فاستقبله فيها الخليفة المعز لدين الله و حياه تحية بالغة وكشف عن مبلغ ثقته بنجاحه في مهمته، فقال له أمام جنده "والله لو خرج جوهر وحده لفتح مصر،" ومنها سار جوهر إلى برقة \* فترجل له صاحبها وقبل يده وهي التحية التي أمره المعز بأدائها لجوهر وكان قد كبر هذا على اللوالي بوبذل مائة ألف دينار على أن يعفى من أداء التحية على هذا النحو، ولكن المعز لم يجبه إلى طلبه ثم وصل جوهر في النهاية إلى الإسكندرية فسلمت له، ثم سار بعد ذلك إلى الفسطاط حيث وصل الحيزة وأخضعها له وعبر وادي النيل إلى الفسطاط. <sup>(2)</sup>

وأدرك المسؤولون في مصر وعلى رأسهم الوزير جعفر بن الفرات أنه لا طاقة لهم بمقاومة الجيش الفاطمي الجرار، فجمع هذا الوزير وجوه القوم لتناول في الأمر، وكانت في ذلك الوقت وفود جوهر الصقلي ترد إليهم، وانفق الجميع على عدم اتخاذ أي موقف معي، والميل إلى التفاوض في شروط التسليم وطلب ضمان لأرواح المصريين و أملاكهم، فشكلوا وفدًا من أهل هذه العاية على رأسه أبو جعفر المسلم. وقد احتاروه بفعل قرابته من الأسرة الفاطمية، وقد دل هذا الاحتيار على الحكمة السياسية، لأن ذلك من العوامل التي أدت إلى إجابة جوهر الصقلي لتسليم <sup>(3)</sup>، وكان هذا رد فعل طبيعي، فلم يكن المصريون سعداء في ظل ولاية العنانيين، وكانوا

<sup>(1)</sup> علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، ص 116-117.

<sup>(2)</sup> ابن حنكل: وفيات الأعيان، ج 1، ص 148.

<sup>(3)</sup> محمد طفرش: تاريخ الفاطميين، ص 191.

يرغون في تحسين مركزهم بمحيي الفاطميين، بحيث أن كثيراً من المؤرخين كسابوا  
 يذكرون أن مجيء الفاطميين إلى مصر كان بناء على دعوة المصريين، فقد وقعت  
 مجاعات وتعدّ وجود الأقوات، وكان جند العباسيين للترك يتحاربون فيما بينهم، فقتل  
 خلق كثيرون، ونهبت الأسواق والبيوت، وأحرقت وضاعت الأموال، كما أن شيعة  
 المعز بمصر وحدوا الفرصة سانحة فطلبوا منه إنقاذ العسكر<sup>(1)</sup>، وقالوا له (إذا زال  
 الحجر الأسود ملك مولانا للمعز لدين الله الأرض كلها) والمقصود بالحجر الأسود\*  
 كافور، وبذلك رالت مخاوف الأهالي بصحبة رسول جوهر، يحمل علماً يحمل اسم  
 الخليفة المعز وأمن الناس من جديد، وهذا من روعهم بأن أعلن عدم مطالبتهم بأية  
 كلفة أو مؤنة يطلبها منهم أو إجبارهم على دفع رسوم من مزارعهم ومحاصيلهم أو  
 تجارتهم أو من الصنائع التي يمتنعونها، بذلك زال سلطان الإخشيديين والعباسيين عن  
 مصر وأصبحت هذه البلاد ولاية فاطمية، وغدت سريعاً الدولة الفاطمية تمتد من  
 المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً، وبعد أن ساعدتهم الظروف المحيطة.  
 وقد كانت تتمتع بمزايا سياسية وحربية خاصة وأن بلاد الشام والحجاز تخضعان لولاية  
 مصر، بمعنى أن امتلاك مصر هو في ذات الوقت سيطرة على الشام والحجاز، ومن  
 جهة أخرى فإن امتلاك البلاد المصرية يفتح الطريق إلى عاصمة الخلافة العباسية  
 بغداد<sup>(2)</sup> ناهيك عن أن موقع مصر الجغرافي الممتاز، الذي يتوسط للقارنين الأفريقية  
 والآسيوية<sup>(3)</sup> يساعد على قيام الحياة في يسر ورخاء في السهول والواديان وحول  
 موارد المياه العذبة، إن هذا الموقع سيجعل الفاطميين قريبين من المركز الإسلامية  
 القديمة التي يسعون إليها مثل المدينة المنورة ودمشق وبغداد<sup>(4)</sup> ومن أجل ذلك كتب  
 جوهر الصقلي أماناً لأهل مصر أعلن فيه عن البرنامج الإصلاحية التي سيسير عليه  
 في سياسته المستقبلية، مثل تأمين الناس على أنفسهم وأموالهم وتركهم حراً على  
 مذاهبهم الدينية المختلفة، ورفع الظلم وإلغاء الضرائب الحائرة، وإصلاح الطرق<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> عبد السعد ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص 191.

\* الحجر الأسود وهو حجر موجود في الكعبة وهو قريب من نصف دائرة وطوله من حذو البيت الشريف إلى آخر حواف  
 الحجر على خط استواء وعرض الحجر من الحجر الميمار من الشرق إلى الغرب أربع وعشرون درجاً ومن أجل الدبرة  
 سبع وأربعون وقال تعالى "ولقد كتب أصحاب الحجر المرسلين" الآية (80) سورة الحجر. المسمى: يوسف المحيبي  
 مستفاد الرحمة والاعتقاد، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت)، (د.ط)، ص 280.

<sup>(2)</sup> حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ص 147.

<sup>(3)</sup> انجربوطني: علي حسني، التعزيز بالله الفاطمي، جريدة الثقافة، نشر، القاهرة، 1986، ط 1، ص 18.

<sup>(4)</sup> شافعي: فريد الصارة العربية في مصر الإسلامية، جامعة القاهرة، 1970، ج 1، ص 284.

<sup>(5)</sup> أحمد مختار العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص 250.

كما أقر هذا البرنامج إقامة شعائر الحج والعمل على استتباب الأمن، وتوفير الأوقات وإصلاح العملة، وبشر العدل، ووعد بدفع رواتب للمؤذنين والأئمة من بيت المال، وأن يحري الأذان، وللصلاة وصيام شهر رمضان وقطرة والزكاة والحج والجهاد على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله وتعهد جوهر الصقلي في كتاب الأمان بتأمين المصريين على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم<sup>(1)</sup>.

ولقد برهن جوهر على حسن سياسته حين لجأ إلى الوسائل السلمية في نشر المذهب الفاطمي، ولم يلجأ إلى العنف والشدة، فاعتمد على المساجد التي اتخذها كمدارس يتلقى فيها الأهالي تعاليم هذا المذهب، دون أن يفرض اعتقاده كرهاً بيد أن هذا لم يمنعه من تحقيق الغرض الأول من سياسة الفاطميين، وهو تعميم هذا المذهب بين المصريين وذلك بإسناد مناصب الدولة الهامة إلى معتقي هذا المذهب مصريين كانوا أو مغاربة<sup>(2)</sup>، وقد قصد من هذه السياسة التي تتجلى في بيان جوهر الصقلي العمل لصالح مصر ودأب جوهر على تنفيذها هو ومن جاء معه من الفاطميين، كما عبر جوهر الصقلي منذ وصوله عن إعطاء المصريين على اختلاف مذاهبهم حرية العبادة الدينية مع بعض التحفظ البسيط الذي يتعارض مع الدعوة الفاطمية في مصر<sup>(3)</sup> كما أسس الجامع الأزهر ليكون منبراً للمذهب الفاطمي، وأضاف في الخطبة والأذان عبارات شيعية بحتة من أهمها (السلام على الأئمة، آباء أمير المؤمنين، المعز لدين الله) كما أمر بأن تنقش جدران جامع عمرو بن العاص باللون الأخضر وهو شعار العلويين<sup>(4)</sup>، وما أن بدأت جيوش الفاطميين بالتوغل في المناطق المصرية ووصولهم إلى الإسكندرية<sup>(5)</sup> حتى دب الرعب في أغلب الأهالي في المدينة، فاتجه كثير منهم إلى الشام، للإقامة بها وجمع جوهر جيوشه لبداية الحكم الجديد<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> محمد سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص 259.

<sup>2</sup> عبد المعز ماجد: ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها، ص 122.

<sup>3</sup> ابن حنكل: رويات الأعيان، ج 1، ص 352، 353.

<sup>4</sup> عبد المعز ماجد: ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها، ص 123.

<sup>5</sup> شامي: تاريخ التوحيد الإسلامي الحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1963، ج 4، ط 1، ص 282.

<sup>6</sup> أبو الغداء: عماد أمير اسماعيل، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، 1948، ج 1، ص 18. كذلك يروى أن

كار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، 1965، ط 4، ص 254.

<sup>7</sup> جوهر الصقلي: وعرف أيضاً بجوهر الصقلي ويذكر أنه كان أحد أحفاد الصقليين الذين كانوا منتشرة في سلاط الفاطمي في الدور الأخرى وهو القائد العسكري الذي كسب ثقة المعز لدين الله الفاطمي مما سمحه بسطة كسبه سوء من يدعيه لسيطرة أو السيادة أو المالية وهو أحد مفتاح النجاح لجيوش الدولة الفاطمية في مصر والشام، انظر: يوم فؤاد السيد

دولة فاطمية، ص 72.

واستمرت سياسة جواهر الصقلي \* في مصر، فقام بعدة أعمال تظهر قسوة شخصيته السياسية والحربية، ولقد أمر جواهر الصقلي بحذف الدعوة لخلفاء بني العباس التي كانت تقام بمساجد مصر، وأقامها للخليفة المعز لدين الله وصرّب السكة باسم الخليفة الفاطمي بدلا من اسم الخليفة للعباسي، وعلى أحد وجهي السكة (دعا

الإمام معد بتوحيد الإله الصمد)، وفي السطر الثاني ( المعز لدين الله أمير المؤمنين )، وفي السطر الثالث ( ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة )، وكان علي الوجه الآخر ( لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون علي أفضل الوحيين وزير خير المرسلين )، (1) ولم ينسَ جواهر الصقلي إقامة مكان للعبادة لممارسة الشعائر الدينية الفاطمية التي تناهض الشعائر المصرية للسنية بإقامة هذه الشعائر في المساجد المصرية، وعدم الحساسيات الدينية علي الأقل في بداية الدعوة الفاطمية. (2) شرع جواهر في تنفيذ بناء جامع الأزهر بعد عدة سنوات من التخطيط وكان في اليوم الرابع من شهر رمضان سنة 359 هـ / 969 م ، ولقد تم بناؤه في سنتين تقريبا ، وكان هذا الجامع قد سمي في بادئ الأمر بجامع القاهرة ، أما تسميته بالجامع الأزهر فيظهر أنها أطلقت عليه في عصر العزيز، بعد أن أنشئت القصور الفاطمية التي كان يطلق عليها اسم للقصور الزاهرة، وقد استمر الجامع يعرف بهذا الاسم حتى أوائل القرن التاسع الهجري، ثم تقلص الاسم القديم وغلب عليه اسم الجامع الأزهر الذي جعل منه مركزا لنشر المذهب الشيعي الحدي ومقرا ثابتا لخلافة جديدة (3)، ومنذ هذا الوقت أصبح هذا الجامع مقرا لتجمع العلماء والشعراء والقراء والمتحدثين في أمور الدين واسوعي الإسلامي . مما جعل بعد ذلك عدة ولاية من أمثال يعقوب بن كلس بن يتبع هذه الطريقة في نشر تعاليم الدين بأن جعل بيته مقرا لهؤلاء العلماء . بل كان يرأس هو نفسه بعض المحاضرات . كما أنه ألف كتابا أطلق عليه ( الرسالة للوزير ) (4)

(1) محمد سرور، الدولة الفاطمية في مصر، ص 72.

(2) إبراهيم ررق، التاريخ السياسي والفاطمي، ص 58.

(3) نجمي، درسات في تاريخ الدولة العباسية، ص 415.

(4) ابن الصوري، بوالقاسم بن سنان، القاتون في ديوان الرسائل والاشارة الي من مال الوزارة...، المصرية لبيانية 1990، ص 50.

\* القاهرة - بشاها جواهر الصقلي عني سهل رملي في شمال شرق القسطنطينية، ويبعد عن النيل بحوالي ميل وول مباني القاهرة قصر المعز الذي استقبل فيه نخبة المعز لدين الله، العبادي، التاريخ العفلي والفاطمي، ص 254.

كان تأسيس القاهرة \* مبنياً على المكان الذي عسكرت فيه جيوش حوهر الصقلي وهو السهل الرملي في شمال شرق القسطنطينية، ويبعد عن النيل بحوالي ميل، وكان يحد هذا السهل من ناحية الشرق جبل المقطم، ومن الغرب قناة الخليج أو خليج أمير المؤمنين الذي حفره عمرو بن العاص، وكان يخرج من النيل شمالي القسطنطينية ويمر بمدينة عين شمس القديمة، ويتصل في النهاية بالبحر الأحمر عند مدينة القلزم<sup>(1)</sup> وبعد أن بات المصريون في أمان، وضعوا أساس عاصمة لهم، وحفروا الحديق وأداروا سوراً سمياً من الطوب اللبن، كما اختطت كل قبيلة من القبائل المغربية التي جاءت معه حارة أو مكاناً لها عرفت باسمها، وكانت هذه المدينة التي أنشأها حوهر الصقلي خلف القسطنطينية بجوار جبل المقطم، سماها حوهر أول الأمر المنصورية، ربما هذه دلالة على تقربه من سيده وخليفته المعز لدين الله<sup>(2)</sup> وعند وصول الصقلي موقع القصر الذي قدر أن يستقبل فيه مولاه المعز، ويقال إن المعز هو الذي وضع له رسمه وتصاميمه، وأنه كان يحتوي على أربعة آلاف حجرة، وعرف هذا القصر باسم القصر الغربي، ثم عرف بعد ذلك باسم (القصر الشرقي الكبير) تمييزاً له عن القصر الغربي الصغير الذي بناه الخليفة العزيز بن المعز بعد ذلك ولقد أقام حول القصر سوراً كبيراً<sup>(3)</sup>، ولقد بنيت مدينة القاهرة على امتداد الأرض من المئذنة الجنوبية لمسجد الحاكم شمالاً، وإلى باب زويلة القديم جنوباً، ومن شاطئ الخليج غرباً إلى حدودها الحالية عند جبل المقطم شرقاً، فجاءت على شكل هندسي شبه مربع وكان هدف حوهر من بناء مدينة القاهرة في بداية الأمر، هو أن يجعل منها قلعة يتحصن فيها الخليفة وآل بيته وحاشيته وقواد جيوشه وجنده ورجال دولته،<sup>(4)</sup> من الأخطار التي قد تحيط بها، مثل قمع الثورات الشعبية، وغيرها كما كان الحال في أفريقية.

وهنا يلاحظ أن من بين العواصم الإسلامية التي أنشئت من الفتح العربي، وهي القسطنطينية والعسكر والقسطنطينية\* والقاهرة لم يبق سوى القاهرة فقد زالت القسطنطينية سنة 168/563م، حين أمر الوزير المصري شاور بإحراقها خوفاً من دخول جيوش

(1) أحمد مختار العبادي، التاريخ العلمي والانساني، ص 251

(2) عبد المصم ماحد: ظهور الخلافة الفاطمية في مصر وسقوطها، ص 108

(3) أحمد مختار العبادي، التاريخ العلمي والانساني، ص 251

(4) أ. فيث غاستون: القاهرة مدينة الفن والتجارة، مؤسسة فرانكن للثقافة والنشر، بيروت - نيويورك 1968 ط 1 ص 37  
\* القسطنطينية: لقد كانت أجمل المدن الإسلامية، أسسها ابن طولون في سنة 256/870م على جبل، فقد بنا فيها بيوتين وقصور ضخمة جعل اسمه ميدان، كما بنا تكفل لجنوده وحاشيته، كما جذع النخل تحسباً مذهباً، كما أقيم بالمقورات والعبود وقنوات المياه بعبدة مما جعلها إحدى تحف المدن الإسلامية جمالا وعظمة، انظر العبادي: ص 130

عموري ملك بيت المقدس إليها، حين وصل إلى الديار المصرية لمساعدة ضرام في الوصول إلى منصب الوزارة ضد شاور، كذلك تخربت مدينة العسكر في عهد المستنصر بالله الفاطمي من 427-487 هـ/1036-1094م إثر المعاعة التي حدثت في ذلك العهد، كما قضى على مدينة القطائع في سنة 292هـ/903م حين أشعل محمد بن سليمان قائد العباسيين النار في تلك العاصمة وجعلها كأن لم تكن<sup>(1)</sup>، وكذلك يمكن القول أن العاصمة الثالثة القطائع لمصر الإسلامية كانت الأولى في الروال، وتلتها العاصمة الثانية العسكر، وتلاهها العاصمة الأولى الفسطاط<sup>(2)</sup>، وتعتبر مدينة القاهرة رابع العواصم الإسلامية بمصر، والتي أصبحت الحاضرة الوحيدة التي لم تتغير على مر العصور، ومن بين العواصم الأربع التي لم تهدم أو تنتقل إلى مكان آخر<sup>(3)</sup>، وبدأ جوهر الصقلي في حفر أساس عاصمة الفاطميين الجديدة والقصر الكبير، لما دخلت العساكر الفاطمية بلاد مصر في اليوم التالي حصر المصريون لتهنته، فوجدوه قد حفر أساس القصر ليلاً وكانت فيه أرورات فلم تعبه، لكنه لم يغير فيه شيئاً وقال (قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة)<sup>(4)</sup>، وأن الجوهر أراد من بناء هذه المدينة أن تكون حاضرة حربية خاصة حتى أن السفراء الأجانب كانوا يترجلون عند وصولهم إلى أسوار القاهرة، خشية وخوفاً على أنفسهم وسلامتهم لأن العساكر الفاطميين كانت تتركز على أسوار المدينة مع أسلحتهم الحربية مما أدى إلى انتشار الرعب والخوف للقادمين إليها. ولعل النصفة التي عرفت بها هذه المدينة وهي القاهرة المحروسة، توضح العزلة والحراسة القوية التي كانت عليها<sup>(5)</sup>. وهكذا أنشأ جوهر الصقلي حاضرة جديدة للفاطميين في الديار المصرية، وأحاطها بسور كبير، ضم المناطق التي تكونت منها القاهرة المعزية، والقصر الحامع، ليحل محل حصناً صد أي هجمات، تتحصن به عساكره وكان السور من الفاحية العربية بعأس الخليج نحو ثلاثين متراً، وزيادة في الحيطه عمد جوهر الصقلي إلى حفر خندق من ناحية الشمالية البحرية خارج السور، ليعنع اقتحام العساكر المعادية، من حسم الحيات<sup>(6)</sup>

(1) شافعي العمارة العربية في مصر لاسلامية، ج1، ص 318

(2) حس مصر في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 121، 1229

(3) السيد - تاريخ مصر لاسلامية، ص 167

(4) ابراهيم رزق الله: لتاريخ السولسي الفاطمي، ص 53

(5) حمد مختار العبادي: لتاريخ العباسي والفاطمي، ص 254

(6) ابراهيم رزق الله: لتاريخ السولسي الفاطمي، ص 53

وعقد جوهر في أسوار المدينة عدة أبواب، فكان في الشمال باب النصر وباب الفتوح، وقد كان موضعهما إلى الجنوب من البابين الحاليين، فكان باب النصر بحداء راوية القاصد التي في آخر الجمالية من الشمال، وكان باب الفتوح للقديم بحداء حارة نين السياح الحالية، كما عقد في الجنوب بابين متجاورين سماهما بابي زويلة، وعقد في السور الشرقي بابين إحداهما كان اسمه باب القراطين، أما من الناحية العربية فقد عقد باباً سماه باب السعادة وعلى الرغم من أن جوهر الصقلي كان في ذلك الوقت قد بلغ من العمر الثامنة والخمسين وهو سن متقدم بالنسبة لقائد مقاتل إلا أنه استمر في سياسته الحربية <sup>(1)</sup> وبعد أن انتهى من بناء مصلى له وللجند، قام بتأسيس حارات داخل أسوار المدينة، فأخذ الجنود بينون للبيوت لهم فوق مساحات خصصت لكل قبيلة، أو طائفة من الجند رافقت جوهر الصقلي، فاحتطت لكل قبيلة حارة عرفت بها أو باسم قائدها، وبلغت هذه الحارات عشر حارات، وهي حارة كتامة نسبة إلى قبيلة كتامة وتقع في الجنوب الشرقي من الجامع الأزهر، وحارة زويلة وهي أكبر الحارات نزل بها أفراد قبيلة زويلة من البربر، ثم حارة الروم، وهي حارتان حارة الروم المشهورة وحارة الروم الجوانية، ثم حارة البرقية عرفت باسم أهل برقة، ثم حارة الجودرية وتنسب إلى جماعة من أتباع خور، حادم المهدي، ثم تأتي حارة الديلم تنسب إلى سكانها الواصلين من الديلم صحبة افتكين المعزي غلام معز الدولة البويهى، ثم حارة برجوان تنسب إلى الخادم برجوان من خدم قصر المشهورين، ثم حارة الباطلية وتنسب هذه إلى جماعة جاءت إلى المعز لدين الله لما قسم العطاء على الناس وموقعها في الجنوب الشرقي ثم حارة الريحانية، سميت نسبة إلى طائفة من عسكر الخلفاء العاطميين نزلوا بها، وآخر هذه الحارات هي الحارة الحسينية وتشمل عدة حارات سميت باسم جماعة جاءت من الحجاز فنزلوا بها <sup>(2)</sup>، إلا أن انتصار جوهر في مصر، وإشلاء القاهرة لم يكن يعني أن الفاطميين أخذوا مصر نهائياً، فبقايا الإحشنيين الذين أُنيرموا في مصر قد انتقلوا إلى الشام <sup>(3)</sup> وأفراد جوهر من نفوده إليها. لذلك عيّد أحد قواده، وهو جعفر بن اللوات بهذه المهمة وكان معروفاً بشجاعته <sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> حراس: إنتاج السر: النظم الإسلامية، مكتبة الرشد للتوزيع، الرياض، 2003، ط 1، ص 160.

<sup>(2)</sup> إبراهيم برقي: تاريخ السياسي الفاطمي، ص 63.

<sup>(3)</sup> حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السيلفي، ص 139.

<sup>(4)</sup> السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص 172.

والتقى جيوش الشاميين البسيطة التي كانت تحت قيادة الحسن بن طمع الإخشيد الذي أصبح والياً لرملة، وانتصرت جيوش جعفر انتصاراً ساحقاً، مما أدى إلى أسر الحسن بن طمع وأُرسل إلى القاهرة ثم إلى المغرب <sup>(1)</sup> واستمرت الحيوش الفاطمية في التوغل في الشام، واستولى على طبرية بعد أن قضت على القائد الإخشيد واتجهت إلى دمشق، لكن أهلها عزموا على المقاومة، وبالفعل لاقى الحيوش الفاطمية مقاومة عنيفة وعناء كبيراً في الاستيلاء على المدينة وانتهى الأمر بدخول هذه الجيوش مدينة دمشق في محرم سنة 359 هـ / 969 م، ولقد اتبع جعفر الشدة في المعاملة، فأباح لجنوده السلب والنهب مما أثار سخط الأهالي في المدينة الذين استجدوا بالقرامطة لتخليصهم من استبداد الفاطميين، ولبنى القرامطة نداء أهل دمشق، خاصة وأن جعفر بن فرات قطع عن القرامطة الحرية التي كان يدفعها أهل دمشق لرعيهم الحسن بن أحمد القرمطي المعروف بالحسن الأعصم، الذي استولى على الشام ودخل دمشق واستنك مع جعفر بن فرات الذي قتل على أيدي جنود الأعصم الذي أمر بلعن الخليفة المعز لدين الله على منابر الجامع الأموي بدمشق <sup>(2)</sup>، إلا أن الخطر الحقيقي الذي أصبح يهدد أنصار الفاطميين في مصر أتى من قبل القبائل العربية الكثيرة، التي خرجت من البحرين بتحريض العباسيين الذين هالهم انتصار الفاطميين في مصر وزحفهم إلى الشام <sup>(3)</sup>.

وما أن استقرت الأمور لجوهر حتى أخذ يضع سياسته الجديدة، ووضع على رأس كل إدارة موظفين أحدهما مصري والآخر مغربي، وذلك لضمان المساواة بين الناس، ثم وجه عنايته واهتمامه إلى مد نفوذ الفاطميين في بلاد النوبة ومكة والمدينة واليمن <sup>(4)</sup>، وأراد جوهر من هذه السياسة أن تكون القاهرة حاضرة الدولة الفاطمية، وأن تلغى وجود بغداد عاصمة الدولة العباسية السنية المتداعية، وكان لتلك المباشرة أبعاداً خطيرة في الحضارة الإسلامية، وأراد من ذلك أيضاً تحسين أحوال سكان البلاد الداخلية، فقد وصلوا تحت حكم العباسيين إلى الدرك الأسفل من النؤس واشتقاء، وقد جعل هذا العبد الذي أعطاه جوهر تمصريين تحقيق هذه الأملان أمراً محتمل التفرع، فليسك أن

<sup>(1)</sup> عبد المعصم ماجد: ظهور خلافة الخشبيين، ص 109.

<sup>(2)</sup> سيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص 173، 174.

<sup>(3)</sup> عبد المعصم ماجد: ظهور خلافة فاطميين، ص 109.

<sup>(4)</sup> بوسن إبراهيم: الموجز الوضوح في تاريخ العرب، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969، ط 1، ص 121.



تأميمهم على أرواحهم وأموالهم وحمايتهم مما لحقهم من ظلم حكامهم السابقين ، ومن إعارات الأعداء للذين لطالما تعدوا على حاجتهم مثل القرامطة والإعريق ، واستمر جوهر في سياسة الإصلاح هذه لمدة أربع سنوات متتالية، حيث تمكن خلال ذلك من بسط نفوذه السياسي والديني<sup>(1)</sup>. وبعد أن أطمأن جوهر على أركان الدولة<sup>(2)</sup> بعث رسولا إلى المعز لدين الله يخبره بأنه أخضع مصر والشام والحبشة لسلطانه، وأن الدعوة قد أقيمت له في كافة أرجاء هذه البلاد، تقرررت قواعد ملكه في مصر. استخلف المعز لدين الله القائد بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي على أفريقية، وتوجه إلى مصر بأموال جلية المقدار ورجال عظيمة الأخطار ، كما حمل معه جنث آباءه الثلاثة الذين تولوا الخلافة قبله<sup>(3)</sup> وخرج للمعز من المنصورة دار ملكه في 21 شوال سنة 361 هـ / 5 أغسطس 972 م وعبر لأفريقية حتى وصل برقة، ومنها استمر في المسير حتى وصل الإسكندرية حيث دخلها في 23 شعبان، ودخل القصر الذي بناه جوهر فلما سار في إحدى ردهاته خر ساجداً لله ، وفي 10 المحرم سنة 364 هـ / 7 أكتوبر سنة 974 م تسلم المعز من جوهر دواوين مصر وجبايتها بعد أن تولاها زهاء أربع سنوات<sup>(4)</sup>، وأذن المعز بدخول الناس عليه فدخل الأشراف فسائر وجوه المدينة، وجوهر يقدم الناس قوماً بعد قوم، وتقل المعز بعد ذلك ما تقدم إليه من الهدايا والتحف من المهنئين ، وفي يوم عيد الفطر ركب المعز لدين الله للصلاة فصلى بالناس إماماً وأطال في الركوع والسجود وكثر بعد القراءة على ما جرت به عادة جده علي بن أبي طالب ، ولما فرغ من الصلاة صعد المنبر ومعه جوهر وخطب الناس وأبلغ في خطابه حتى أبكى الناس من قوله وحكمته<sup>(5)</sup> وهو الذي استغل الفرصة عندما سأل أحد جماعات مصر وقال سيدهم إلي من ينتسب ، فأجابته المعز : أن سوف يجمع الأشراف ويسرد عليهم نسبه، وبالفعل جمعهم في قصره وسمل المعز أممهم سبعة إلى النصف وقال : هذا نسبي، ثم غمره بالذهب وقال : هذا حسبي<sup>(6)</sup>.

(1) علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى . ص 123 .

(2) إبراهيم يوسف - الموجز الواضح في تاريخ العرب . ص 121 .

(3) حسن إبراهيم حسن ، الدولة الفاطمية في مصر وفي المغرب ومصر . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . 1964 . ط 3 ص 149

(4) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية . ص 176

(5) علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى . ص 124

(6) السيد عبد العزيز سالم : للمرجع السابق . ص 176 .

وكان شاهد هذه الحادثة قائد جواهر الصقلي الذي أخذ نشاطه السياسي يتصاعد شيئاً فشيئاً، وسرعان ما تولي عن مسرح السياسة المصرية ولم يعد إلى الطهور إلا في أواخر عهد المعز لدين الله، حين تأهب أتاكين التركي للاستيلاء على الشام بالاشتراك مع القرامطة .

ومنذ البداية نرى أن الفاطميين كانوا على أهبة الاستعداد من أجل الاستقرار سريعاً . ولكي لا تكون هناك عقبات تمنع مخططهم ، قاموا بطمأنة الناس في المدن المصرية، حيث أعطوهم التأمين على أنفسهم وأموالهم . كما تركوهم يتعمون بمذهبهم دون مصايقة . كما سرعوا في إحضار البائسين من المغرب للشروع في بناء المدن وكان ذلك من الركائز المهمة للاستقرار ، حيث كان لبناء القاهرة الجديدة أثر كبير ، حيث بنى فيها الفاطميون أضخم القصور والمعسكرات للجند في الدولة وتعتبر السنوات الأربع التي حكم فيها جواهر الصقلي مصر بالنيابة عن خليفة الفاطميين من أهم فترات التاريخ الفاطمي في مصر، من حيث التغييرات التي قام بها الفاطميون سواء من الناحية الإدارية أو المذهبية، وهي من الأمور التي ساعدت على انتقال السيادة إلى الفاطميين، ومهدت لتقدم خلفيتهم المعز لدين الله .<sup>(1)</sup> غير أن السبب الحقيقي لسرعة الاستقرار، والانتقال للسيادة هو تدرج القرارات التي تميز بها الفاطميون دون سبق الأحداث، كما ساعدتهم تركيز السلطة في شخص القائد جواهر الصقلي.

ومهما كان من أمر فإن الفاطميين قاموا بعدة خطوات ساعدت على كسب احترام الأهالي في مصر منها: الإصلاحات الدينية حيث وضع الفاطميون قوانين خاصة بتنظيم الصلاة، وعدم إحداث تداعيات من قبل المصلين . كذلك من ناحية الصيام والحج ، والاهتمام الكبير الذي أبداه الفاطميون لبناء المساجد المفخمة وتزيينها والاهتمام بنظافتها . والإصلاحات الاقتصادية حيث كان المصريون يمرون بأزمة اقتصادية، وبما أن الزراعة هي عصب الاقتصاد المصري، فقد وجه الصقلي جل اهتمامه على تجديد الحور والقناطر المائية والتي كانت منذ إنشاء الوحدة للمزارعين . والاهتمام بالعملية النقدية حيث عمل الفاطميون على إصدار صك عملة خاصة بمصر، حيث أصبح هالك دينار خاص أعيدت تقييده قيمته النقدية في العالم الإسلامي، وتأمين حدود مصر، وتوزيع أغلب القنوز العسكرية على حدود مصر خصوصاً في الجنوب والشمال .

<sup>(1)</sup> السيد عبد العزيز سليم: تاريخ مصر الإسلامية . ص 176

## المبحث الثالث

### دخول المعز لدين الله مصر

لقب الخليفة المعز لدين الله بالمعز، وكنيته أبو تميم والده المصور - ش أمه أم ولد، ولد في سنة 319 هـ / في مدينة المهديّة، تسلّم للخلافة في سنة 342 هـ / 953م عندما كان له من العمر 23 عاماً، وهو رابع الخلفاء الفاطميين، ولقد أدرك ثلاثة من الخلفاء الفاطميين هم المهدي و القائم والمنصور ، وهو مفتتح دورة القوة والعظمة في الدولة الفاطمية، تربى في قصور للمهدي ونال الثقافة والعلم في جزيرة صقلية<sup>(1)</sup>، ولقد حقق للمعز لدين الله أحلام أسلافه في احتلال مصر وجعلها مقراً للخلافة الفاطمية، وقد استفاد من الضعف الذي آلت إليه الخلافة العباسية في المشرق، وسيطرة الأتراك على مقدرات الأمور في بغداد، وانقسام الخلافة العباسية إلى عدد كبير من الدويلات المتناحرة ، كما أنه استفاد من ضعف وحكم كافور لها وخلو البلد من شخصية تستطيع جمع شمل القوى تحت قيادة حازمة<sup>(2)</sup> .

وأصبحت بذلك مصر مقراً للخلافة بعد أن كانت إمارة تابعة للخلافة العباسية، وغدت القاهرة مركزاً للخلافة الفاطمية الجديدة، والتي بدأت في التوسع من خلال التغييرات الداخلية وغدت عاصمة الدولة الفاطمية<sup>(3)</sup> .

ولقد أدى هذا الانتقال الكامل للقوات الفاطمية بقيادة الخليفة المعز إلى مصر إلى ضعف نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب، حيث استغل هذا الوضع بعض الأمراء الذين استقلوا بولاياتهم عن الخلافة الفاطمية ، ولم يأت القرن الخامس الهجري حتى تقلص حكم الدولة الفاطمية في المغرب العربي، وأصبحت كل الولايات لها حكمها الخاص وتحلّصت تحلّصاً كاملاً من النفوذ الفاطمي<sup>(4)</sup>، حيث كان يجلس على عرش دهبى عظيم، وله تاج يرضعه على رأسه صنع من الذهب الخالص ، كما يعنبر أول من اهتم بالمواكب الفاطمية<sup>(5)</sup> .

١ - عارف سامر : المعز لدين الله ، ص 67.

٢ - حمادة محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية ، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت ، 1980 ، ط ١ ، ص 31

٣ - محمد سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 74.

٤ - رشيد الحميلي : دراست في الخلافة العلوية - ص 416 .

٥ - ابن ثوري : السجود الزاهرة ، ص 42 ، ص 190.

وقد رحل المعز لدين الله إلى مدينة المنصورية، وأقام يسردانياً ولحق به عماله وأهل بيته وحنوده بعد أن حمل ما كان في قصوره من أموال وافرة، حتى أن الدنانير الذهبية سكنت على هيئة طواحين وحولت كل اثنين على جمل<sup>(1)</sup>، ثم ارتحل عن المنصورية بعد أربعة أشهر، بعد أن رسم السليمة التي يجب أن يسير عليها، واشتمله في وصيته التي قال له فيها: إن نمت ما وصيناك به فلا تنسى ثلاثة أشياء إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تولي أحد من إخوانك وبني عمك، فإنيهم يزرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً.

ولعل البربر والبادية المقصود بهم في هذه الوصية هم الزناتيون أعداء الفاطميين أنصر الأمويين في الأندلس، أما أهل الحضر الذين أوصى بهم المعز لدين الله خيراً فهم الضهاجيون أنصار الفاطميين.

وتحرك المعز من مدينة قابس يوم الأربعاء العاشر من ربيع الأول من سنة 361هـ<sup>(2)</sup> وكان له احتفال كبير صال فيه الفرسان وجالوا<sup>(3)</sup>، وواصل مسيره إلى طرابلس يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول، ثم رحل عنها في النصف الثاني من شهر ربيع الآخر<sup>(4)</sup>. بعد أن مكث بها 22 يوماً تقريباً<sup>(5)</sup>، وفي الطريق من طرابلس إلى برقة تمرد على المعز بعض جنوده، وغرروا إلى جبل نفوسة وتحصنوا به فحاول المعز مطاردتهم ولكنه عجز في القبض عليهم<sup>(6)</sup>، وواصل الركب سيره بعد ذلك حتى وصل إلى منطقة سرت، في 4 من جمادى الأول ومنها إلى اجدابيا، حيث

(1) ابن ديمار: تومس في احبار إفريقيا وتونس، ص 65.

(2) عبد المعز محمد: ظهور الخلافة الفاطمية ص 242.

(3) ابن الخطيب: لسان المدين محمد، أعمال الاعلام فيمن بويج قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، (د. ن.) دار البيضاء 1964 ص 59.

(4) ابن ديمار: المصدر السابق، ص 65.

(5) التري: الطاهر احمد: ولاية طرابلس، مؤسسة الفرحتي، بيروت، 1970، ط 1، ص 74.

(6) ابن ديمار: نفس المصدر، ص 65.

\* ابن هاني وهو ابو القاسم محمد الأزدي اللاتسي، وقد نشأ في الأندلس في الفترة التي ازدهر فيها أدب الشعري، وقد صدر روائع الأدبية، جمعت بين روح اللاتسي والصياغة العربية القوية، وقد تميز بالشعر العربي في حربه المعقدة وسيطر على تأليف الشعر خصوصاً في قرطبة وحضر شعراء العرب وقد كانت لائقته في الشعبية تحول في حبه، فقد كانت الدعوات العظمية تنتشر فيها فتأثر بميل إلى حوة حيث استطاع أن يعد صفة وثيقة مع أميرها المعز لدين الله وأصبح أحد دعاةها الأدبيين، حيث توجه للمغرب لكي يكمن بالقرب من الدعوة الفضية: الحنجري: محمد طه، مرحلة التضييق في المغرب العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ط 1، ص 89 - 90.

برل بقصره الذي بني له هناك وهذا القصر شيده له ابنه تميم وبذل جهداً كبيراً في  
سائه من حيث الزخرفة والتجميل.

وعلا المعز في نشر الدعوة الفاطمية غلواً دفع به في كثير من الأحيان إلى الكفر  
والإلحاد، فقد أشاد ابن هاني الأندلسي\* شاعر بلاط المعز والذي كان ينافس ويحاكي  
الشعراء العباسيين، وقال:

ما شئت لا ما شاعت الأقدار ..... فأحكم فأنت الواحد القهار  
وكأنما أنت النبي محمد ..... وكأنما أنتصارك الأنصاري<sup>(1)</sup>

وهكذا اعتمد الخليفة المعز لدين الله بشكل كبير على أهالي هذه البلاد فقد كانتوا  
مساندين له منذ دخوله لمصر<sup>(2)</sup>، غير أن تقريب المعز لدين الله للشعراء وخصوصاً  
ابن هاني كان له أثر عميق في حياة الشاعر، الذي ما كاد يضع قدمه بأفريقية حتى  
انهال عليه خصومه الشعراء، يهجونه بالقدح الموجه، فلما بلغه ذلك قال لا أجيب منهم  
أحداً حتى يهجوني الشاعر علي التونسي، الذي رد عليه: أما إني لو كنت ألام الناس  
ما هجوته بعد أن شرفني على أصحابي، وجعلني من بينهم كفوا له، وما أن سمع  
المعز ذلك حتى نال ابن هاني ما كان يرجوه من دنياه، فدخل على المعز وقد عقد  
الديوان للتهنئة بأعظم فتح ناله المعز على أعدائه. واستمع إليه بين ملوك البربر  
وأمرء المغرب<sup>(3)</sup>، وكانت من عادات الفاطميين التي نقلوها إلى مصر عند عقد  
الدواوين يكون في جو من الاحتفال، فقد كانت مواكب الخلافة الفاطمية وحفلاتها  
الرسمية الشعبية ومآدبها تثير كثيراً من الروعة والبهاء، وكان الخليفة المعز لدين الله  
ما أن يخرج قاصداً الديوان، حتى يخرج مع أحد الموظفين يحمل كيساً من الحرير فيه  
خمسة دنانير. يوزعها وهو في الطريق وتكون من نصيب الرجال والنساء، السذجين  
يقرأون القرآن على جانبي الطريق، وكان الخلفاء يركبون في الجمع الثلاث الأخيرة  
من رمضان إلى حوامع الحاكم والأزهر وعمرو على التوالي لصلاة الجمعة<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> سي ابن عبد حسن: مصر في العصور الوسطى، ص 126.

<sup>(2)</sup> حسن إبراهيم حسن: المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة القاهرة، ط 2، ص 179.

<sup>(3)</sup> جلال إبراهيم: المعز وتشييده مدينة القاهرة، دار الثقافة بالقاهرة، 1963، ص 35.

<sup>(4)</sup> سي ابن عبد حسن: مصر في العصور الوسطى، ص 532.

وكان الشاعر ابن هاني له أشعار كثيرة يدعو فيها الناس للتقرب من الحليمة المعز لدين الله، والإقبال والرضا على حكمه، وكان أحمل ما نعت الشاعر الكبير المعز وقد بلغت أشعاره في قصيدة واحدة مائتي بيت ومنها هذه الأبيات:

إذا كان من ليامه لك شافع	إلى أمل فاخضم به الدهر واقصم
إذا أثبت لم تعزم رضاه الذي به	يفوز بنو الدنيا فلست بمعدم
وأنت بدأت الصفح عن كل مذنب	وأنت سنتت العفو عن كل مجرم
ولا عجب إن كنت خير متوخ	فجذك في البطحاء خير معمم
وأشهد أن الدين أثبت مداره	وعروته الوثقى التي لا تنصم
تقودهم في الجيش والجيش مسك	وكل للحجيج من محل ومحرم (1)

وكان هذا الشعر له الأثر الكبير في نفوس المصريين الذين كانوا من محبي القراءة سواء دينية أو أدبية، ولقد أثبت نجاح الدعوة للفاطميين، على أن المعز لدين الله كان يملك سعة في التفكير البعيد، ولم يكتف المعز بالشعراء لنشر دعوته بين المصريين بل أحاط أيضاً بعدد كبير من الكتاب والأطباء والمؤرخين، وعلى الرغم من كثرة الشعراء والكتاب الذين كان لهم دور في نشر الدعوة الفاطمية، إلا أن الشاعر المفضل لدى الخليفة المعز لدين الله والذي جلبه من القيروان إلى المشرق وهو الشاعر محمد بن هاني الأندلسي، والذي توفي في سنة 362هـ بعد أن خلف لنا الكثير من الشعر، وقدرت أشعاره بالآلاف وأغلبها في مدح المعز (2).

1- محمد جلال المعز لدين الله الفاطمي، ص 38  
2- محمد جلال المعز لدين الله الفاطمي، ص 180

## الفصل الثاني النفوذ الفاطمي في العراق

المبحث الأول: مقاومة العباسيين لدعوة الفاطميين.

المبحث الثاني: موقف البويهيين من الفاطميين.

المبحث الثالث : تأييد الفاطميين للقواد العباسيين المنشقين عن الدولة ( البساسيري ).

## المبحث الأول

### مقاومة العباسيين لدعوة الفاطميين

كانت علاقة الفاطميين بالعباسيين عدائية منذ أول ظهورهم لاختلاف مذهبهم ، ولأن ملك الفاطميين قد قام على أنقاض دولة بني الأغلب الحاضرة للعباسيين ، وسيطرتهم على شمال إفريقيا كله ، وهو في الأصل من أملاك الخلافة العباسية ، فلما استولوا على مصر ، ونقلوا إليها مركزهم زاد التوتر بين الدولتين ، لقرب العاصمتين أكثر من ذي قبل ، ولا شك أن الصفة المذهبية الشيعية التي اتسمت بها الدولة الفاطمية ، كانت من أهم عناصر الخصومة بينها وبين الدولة العباسية السنية<sup>(1)</sup> ، وفي هذا الوقت كان العباسيون في حالة انكسار سياسياً وعسكرياً ، إلا أنهم نجحوا في مجال الدعاية ضد الفاطميين ، إذ أنهم لجأوا ومن خلال وسائل متعددة إلى تأكيد كفر الفاطميين ، بأنهم يعلمون الغيب ، وبأنهم يدعون الألوهية ، لأنهم مبررين بأنهم لا ينكرون سجود بعض الناس لهم ، الأمر الذي جعل بعض الدعاة وعلماء الشيعة يردون على هذه الإشاعات وتأويل ما صح منها<sup>(2)</sup> ، ومن أبرز هؤلاء الأئمة الذين تولوا رفع راية الرد هو النعمان بن محمد الذي أنكر ادعاء الأئمة لعلم الغيب ، ونسب ذلك الادعاء إلى أعداء الفاطميين ألا وهم دعاة الإسماعيلية ، الذين قام بوصفهم بأوصاف شنيعة منها الضلال والبطلان وفي ذلك قتل : ( وأكثر ما نقول في الأئمة صلوات الله عليهم في مثل هذا أنهم يعلمون ما غاب عن الخلق سواهم من العلوم وينظرون بنور الله جل ذكره وأنه يمد لهم بتوقيفه ويهديهم ببديته )<sup>(3)</sup> ، وعلى الرغم من إنكار النعمان بن محمد ادعاء الأئمة لعلم الغيب إلا أنه لم ينكر السجود للأئمة ، وإن لبس كل من قبل الأرض واحداً<sup>(4)</sup> ، ولأنه لا يجتمع كفر وإلحاد مع خلافة المسلمين بأي حال من الأحوال ، ونكي يؤكد العباسيون هذا الاتهام . أشاعوا بأن كثيراً من الأحاديث التي احتج بها الفاطميون على أحقيتهم بالخلافة غير صحيحة ، ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما اختلقوها تبريراً لـ : عنتهم بالحلالة<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> إبراهيم بونس ، الموجز الواضح في تاريخ العرب والاسلام ، ص 142 .

<sup>(2)</sup> حسر ، محمد كامل : المهمة في حياة الأئمة ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1949 ، ص 53 .

<sup>(3)</sup> العوفي ، محمد سالم - العلاقات السياسية للدولة الفاطمية والدولة العباسية ، منشورات جامعة الاسكندرية محمد بن سعود ، الرياض ، 1982 ، ص 67 .

<sup>(4)</sup> محمد كامل حسر ، المهمة في حياة الأئمة ص 105 .

<sup>(5)</sup> محمد سالم العوفي : العلاقات السياسية للدولة الفاطمية والدولة العباسية ، ص 68 .



وبدأ العباسيون في التجسس على الحياة العامة للفاطميين وأخذوا يشيرون الأخبار العربية كاتهامهم للفاطميين بأن لهم ليلة تسمى الغطاس يجتمع فيها المسلمون والصاري الأقباط عند شاطئ النيل وتنصب الخيام على جانبي النيل وإذا دخل الليل ترير الجميع بالقناديل والشموع ويزعم أنه من يغطس في تلك الليلة ينهر بأمر من الصعب طوال تلك السنة ، وأشاع العباسيون سر هذه الليلة مما زاد من سخط المسلمين في الحرية العربية والعراق على الفاطميين، واتهمهم البعض بالوثنية والكفر، والإشراك بوحدة الله سبحانه وتعالى، ونجح العباسيون في نشر الأخبار الدينية خصوصاً دون غيرها، لأن العباسيين كانوا يدركون أن الجانب الديني مقدس بالنسبة للمسلمين كافة ولا يقبل المساومة فيه<sup>(1)</sup> .

ولقد استمر الخليفة العباسي القادر بالله بالتشهير في دعوة الفاطميين بعد أن أدرك قوة الدعوة الفاطمية في أغلب مناطق العراق ونجاحها فيها ، لذلك نراه يمسك بسلاح التشهير بهم في العالم الإسلامي، لعله يصل من وراء ذلك إلى القضاء على نفوذهم، الذي أخذ في الاتساع على حساب دولته التي بدأت تعاني بوجودهم، ولكي يضيق الخناق على الفاطميين،<sup>(2)</sup> .

ومما لا شك فيه أن الخليفة القادر بالله كان يتمتع بشئ من القوة السياسية آنذاك فجمع حوله فقهاء السنة وعلماءهم، وبدأ ييث فيهم روح التحدي للفاطميين ودعوتهم الشيعية، خصوصاً أن الخليفة أدرك منذ البداية أن البويهيين كانوا يميلون للفاطميين أكثر من العباسيين<sup>(3)</sup>، خصوصاً بعد أن تعاضمت قوة الفاطميين بسرعة، وبدأوا في اقتراب للممالك البويهية بعد استيلائهم على الشام. والخطبة لهم عند الحمدانيين سنة 359 هـ//969م ، وانتشار أنصارهم في المقاطعات البويهية خاصة بغداد ، وفارس ، والأهواز، لذلك رأى الخليفة العباسي القادر بالله عدم إعطاء الأمان للبويهيين، وبعدم السماح لهم بالتدريج في سيطرة الدولة العباسية خشية من فتنتهم وقوتهم وتحالفاتهم لمحبة عن أنظار العباسيين .

<sup>(1)</sup> ابن أبيس - يدع الزهور - ص 59.

<sup>(2)</sup> محمد سرور - النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي القاهرة ، ص ص 86 ، 87 كذلك حسن براهم حسن الدولة الفاطمية في مصر - ص 229.

<sup>(3)</sup> علي وفاء محمد : الخلافة العباسية في عهد سطة البويهيين ، المكتب الحسني الحديث ، الاسكندرية 1407 هـ ، ص ص 72 ، 73

ومما راد من كراهية العباسيين للفاطميين أطماعهم الواضحة في كسب ود أشرف مكة والمدينة ، وهو الأمر الذي أغضب العباسيين ، وأصبح للنزاع فيما بينهم على أشده ، أكبر من ذي قبل ، حيث أصبح من كان ملكاً للحرمين هو أمير المؤمنين الحقيقي (1) .

لم تكن حال بغداد خافية عن الحكومة الفاطمية في مصر ، فعندما وصل إلى الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز الدين ما آلت إليه أحوال بغداد من فوضى وبرايعات ومناصرة بين أمراء بني بويه وبين جنود الأتراك ، رأى أن يستغل الوضع لنشر الدعوة الفاطمية في بغداد وبلاد العراق كافة ، فأرسل في سنة 425 هـ / ، إلى بغداد بعض الدعاة حيث التف حولهم الأهالي الذين كانوا في حالة من التشتت الديني والمذهبي (2) . أراد النوبيون أن يقروا مركزهم وتنشيط دولتهم ، فأنشأوا في سنة 403 هـ / 1012 م نقابة للشيعة ، تقلد أمرها الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي ، وخلع عليه السواد وشعار العباسيين ، وهو أول علوي يخلع عليه السواد ، ويزعم أن الشريف الرضي نظم قصيدة ثناء وامتنان للفاطميين أزعجت الخليفة القادر (3) .

وكانت ردة فعل الخليفة العباسي شديدة ، فقام بإرسال مبعوث إلى الشريف أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرضي ، يعاتبه على ما ذكر في القصيدة التي ألفها ابنه وذكره ( قد عرفت منزلتك منا وما لا تزال عليه من الاعتداد بك في الدولة من مواقف محمودية ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة نرضاه ، ويكون ذلك على ما يضادها ) فاستدعى أبو أحمد ابنه وطلب منه الاعتذار إلى الخليفة العباسي ، غير أن الرضي رفض ذلك مبرراً له خوفاً وخشية من نفوذ الفاطميين والنوبيين (4) .

رأت هذه الأحداث كلها من اشتعال الفتيل ما بين العباسيين والفاطميين وازداد من صد العباسيين ومعارضتهم للفاطميين ، وفي السنوات اللاحقة للمرسوم الأول الذي أصدره القادر سنة لمواجهة النفوذ الفاطمي ، كانت هناك عدة محاولات من العباسيين في إصدار عدة بولات أشرف عليها كبار رجال الدين والقضاة والعقبة ، والتي انتيت جميعها إلى إعلان عام على الناس بتكفير الفاطميين ، وإتيانهم بالفسق والزندقة .

(1) ميمية حسن تاريخ الدولة الفاطمية ، د . ن . فارس ، 1987 ، ط 1 ، ص 207 .

(2) محمد سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 89 .

(3) وده علي ، الخلافة العباسية في عهد تسلط النوبيين ، نفس المرجع ، ص 74 .

(4) محمد سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص 88 .

وأدبعت بعد ذلك بيانات أخرى بحق المعتزلة، وبقيّة الروافض، وكل هذه البيانات العباسية لمحاربة الوجود الفاطمي في العراق لم تحمل توقيع أي من رجال البويهيين، الذين كانوا إلى جانب الفاطميين في سياستهم منذ البداية، غير أنهم كانوا يتسترّون سياسة الدولة العباسية من أجل التسلل إلى مراتب عليا في الدولة على حساب أحباس أخرى، أمثال السلاجقة الذين كانوا يترصّدون أفعال البويهيين من أجل الانتصااص عليهم، والاستيلاء على مراكز نفوذهم في الدولة العباسية<sup>(1)</sup>.

ويمكننا أن نشهد بأن كره العباسيين للفاطميين لم يكن وليد الحليفة القادر بالله، بل هو استمرار لما حدث للعباسيين في عهد خلافة المطيع، الذي قطعت خطبته في ديار مصر أبان دخول المعز لدين الله الفاطمي<sup>(2)</sup> بجيوشه من المغرب إلى أهم مركز للدولة العباسية، خصوصاً عندما كان قواد الفاطميين يعيثون فساداً في ممتلكات الدولة العباسية<sup>(3)</sup>.

ومن عوامل كره العباسيين للفاطميين هو سك عملة خاصة للفاطميين في مصر، وكافة الولايات الأخرى التي كانت تابعة لبني العباس، الأمر الذي أغضب العباسيين واعتبروه استقلالاً اقتصادياً يهدد الناحية الاقتصادية للدولة العباسية، خصوصاً أن العباسيين كانوا في حالة من عدم الاستقرار التجاري<sup>(4)</sup>.

ومنذ أن امتد النفوذ الفاطمي في الشام، حرص الخلفاء أن يضموا بصمتهم على مدنها، فقد تفننوا في أعمار المساجد باعتبارها المركز الديني والأساسي<sup>(5)</sup>.

وهو من الأمور التي أغضبت بني العباس خصوصاً عندما حولوها إلى مساجدهم الخاصة، وقاموا بتغيير أسمائها إلى أسمائهم، أمثال الجامع الذي أطلق عليه الفاطميون اسم دُائِمة الرهراء وهي الجوامع التي تولى معاوية بن أبي سفيان أمر بناءها، والتي اشتهرت بإتقان صناعتها، والتي اعتبرها العباسيون رمزاً لوجودهم، و نفوذهم والاستيلاء عليها تيّديد لسياستهم و دينهم الحنيف<sup>(6)</sup>.

(1) حسر ميمية تاريخ الدولة البويهية، ص 208.

(2) لحيي محمد الدين: الألسن الخليل بتاريخ القدس والخليل، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ج 1، ص 314.

(3) الانطاكى يحيى بن سعيد، تاريخ الانطاكى، دار المعرفة، بيروت، 1908، ص 132.

(4) عبد المعصم سعد، حوليات كلية الآداب، مجلة الدراسات العلمية ج 2، ص 223.

(5) العبطاني جمال، مجلة العربي الثقافية، إصدار الكويت، العدد 242، سنة 1979، ص 40، 42، 43.

(6) الحصري: محمد تقي الدين، منسجلات التاريخ لعمشق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1992، ج 1، ص 1015، 1016.

وهذه السياسة العدائية أدت إلى توسع للهوة فيما بين الطرفين، واستمرت محاربة العباسيين للوجود الفاطمي، متخذين سياسة القتل في مواجهتهم ولقد كان وقود هذا الصراع النوبيون، الذين أرادوا استعادة أمجادهم، والاستقلال بسياساتهم، متحدين عوامل الفتن مكيالاً لهم من خلال إقامة أيام العائشوراء بشكل درامي مما كان يبرع الأهلالي السنة، وكانت قمة الفتن ما حدث في سنة 443هـ/1051م حيث شنت فتنة شديدة بين السنة والشيعة أحرق فيها ضريح موسى بن جعفر، وقبور بني نوبة وما حولها، وقتل فيها الشيعة من أهل الرج مدرسة الحنفية أبي سعد السرخسي، وأحرقوا دور الفقهاء، واشتد على أثر ذلك القتال ما بين الأهالي السنة والشيعة، فندب كانت تمدهم الدولة الفاطمية بالمال والسلاح، من أجل فرص سياستهم في العراق وبقيّة المناطق المحيطة به. (1)

ومن هذه الأحداث يتأكد لنا انقسام الدولة العربية الإسلامية إلى دولتين في دولة واحدة، متمثلة في الدولة العباسية والفاطمية، ويذكر أن الدولة العربية أصبحت ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب وأصلهم ومادتهم الإسلام، ودولة بني أمية المجددين في الأندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالشرق، ودولة الفاطميين في أفريقيا ومصر والشام والحجاز، وهذه الانقسامات حدثت نتيجة الفتن والقتل من أجل الوصول إلى مركز السلطة في الخلافة، سواء في العراق أو مصر أو الشام، وغيرها من الولايات التي كان لها دور في ترسيخ الحلفاء في الدولة (2).

وقد مرت الدولة الفاطمية بعدة أدوار تشبه الأدوار التي مرت بها الدولة العباسية، سواء كان هذا التشابه متمثلاً في نظم الحكم والإدارة والسياسة الخارجية (3) وبالرغم مما بذله الخليفة العباسي من محاولات عدة لصد الوجود الفاطمي في كافة الولايات الإسلامية في الشرق، لم تتوقف دعوة الفاطميين خصوصاً في العراق، وكانت أحوال العراق المضطربة، نتيجة لتناقص أمراء بني نوبة على مركز السلطة الفعلية في عداد ذلك صانعو الفاطميين كثيراً من النجاح في دعوتهم (4).

<sup>1</sup> وقد عني علاقة العباسية في عهد تسلط النوبيين، ص 73، 74.

<sup>(2)</sup> ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ط 1، ص 228.

<sup>(3)</sup> ريسان، حرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة، 1960، ج 4، ص 234.

<sup>(4)</sup> محمد سرور، الملوك الفاطميون في بلاد الشام والعراق، ص 88.

لقد حاول الفاطميون مناقسة العباسيين في تجارتهم فحاولوا الاستيلاء على طريقي التجارة المؤديين إلى الشرق الأقصى وهما : طريق مصر - البحر الأحمر ، وطريق العراق - إيران .

وكان الهدف من ذلك هو السيطرة على طرق التجارة المؤدية إلى الهند التي بدأوا يهتمون بنشر الدعوة فيها ، بعد إهمالهم لشمال أفريقية وصقلية ، واهتماماتهم بالسيطرة على الحجاز وبلاد العراق ، من أجل تقوية نفوذهم السياسي في العالم الإسلامي <sup>(1)</sup> ، وحرص الفاطميون على أن يكون لهم تعامل خاص بهم وعملوا على إنشاء مركز تجاري لهم فأصبحت القاهرة مركزاً رئيسياً للمعاملات المالية الصادرة والواردة ، وأهم منافس عربي إسلامي لبغداد .

دخلت بلاد العراق في حالة من الانهيار السياسي ، خصوصاً عندما بدأت المنازعات والقتال ما بين جند الأتراك في الدولة العباسية ، وفي سنة 425 هـ / 1033م أرسل الخليفة الفاطمي الطاهر لإعزل الله دعاة إلى بغداد ، أحسنوا استغلال الوضع ، ولكي يكون دعاة الأولين الذين بعثهم للعراق <sup>(2)</sup> ، ولقد كان نشاط هؤلاء الدعاة يزداد لدرجة أنهم استطاعوا أن يضمنوا إلى دعوتهم إبراهيم أخ طغريبك ، الذي أصبح من أشد المؤيدين للفاطميين في العراق <sup>(3)</sup> .

ساهم البويهيون بشكل كبير في تسهيل مهام هؤلاء الدعاة ، ذلك لأنهم كانوا يفضلون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية ، حتى أنهم سمحوا لدعاة الفاطميين بنشر عقائد المذهب الإسماعيلي في البلاد الخاضعة لنفوذهم ، حتى يقال أن معز الدولة البويهي حين دخل بغداد أراد أن يقضي على الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية مكانها ، غير أن أحد قواده نصح بعدم فعل ذلك خوفاً على سلطان بني بويه ، إلا أنهم حرصوا على مراسلة الفاطميين في مصر ، والتقرب منهم ومشاركتهم في احتفالاتهم بالأعياد الشيعية الدينية ، وكانت نتيجة ذلك أن ساد حو خاب من الصراع ما بين الدولتين الفاطمية في مصر والعباسية البويهية في العراق بعد كل هذه المشاحنات الدينية والعسكرية والاقتصادية <sup>(4)</sup> .

<sup>(1)</sup> هم لود سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 130

<sup>(2)</sup> محمد سرور ، الشعوب الفاطمية في بلاد الشام ، ص 89

<sup>(3)</sup> حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 233

<sup>(4)</sup> أحمد مختار البغدادي ، التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 349

## المبحث الثاني

### موقف البويهيين من الفاطميين

عندما أيقن الفاطميون أن دعائهم في بلاد المشرق قد نجحوا في إقناع كثير من المسلمين على تأييد العباسيين، شرعوا في مواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على كافة أراضي الدولة العباسية<sup>(1)</sup>، التي كانت تشهد في ذلك العصر تغلغل العناصر الأحسية، وتسليطها على الشؤون الإدارية والسياسية للدولة العربية الإسلامية، وأهمهم الأتراك، الذين سيطروا على السلطة، وأصبحوا منفذين للسلطة في شؤونها، لاسيما بعد أن أفلحوا في التآمر على الخلفاء العباسيين<sup>(2)</sup>، ولقد أصبحوا أشداء حتى أنهم كانوا في بلاط الخلفاء، هم الذين ترجع إليهم الأمور خصوصاً فيما يتعلق بالدولة، وإذا تمرد عليهم عزلوه أو قتلوه، حدث هذا الأمر كثيراً في لواخر الدولة العباسية<sup>(3)</sup>، وتتميز هؤلاء في بداية دخولهم الدولة العباسية بالطاعة التامة، فقد كانوا يطيعون الخلفاء العباسيين كطاعة الله ورسوله، حتى توسع نفوذهم وأصبح لهم ضياع وإقطاعات في المناطق الخصبة من العراق.

وبما أن الأحوال السياسية والاقتصادية أصبحت في العراق متدهورة، بسبب تنافس وتنازع الأتراك على مناصب الأمراء وعجزهم عن دفع رواتب الجند، وحفظ الأمن في البلاد، أخذ الناس يتطلعون إلى من ينقذهم من هذه الأحوال<sup>(4)</sup>، لذا استغل البويهيين هذا الوضع فترة طويلة، والأسرة البويهية تتكون من إخوة ثلاث وهم: علي، والحسن، وأحمد، أبناء أبي شجاع بويه، والتي أتاحت لهم مواهبهم العسكرية التدرج في مراتب العسكرية عند العباسيين وفي خلافتهم.

لقد كان لدعاة الفاطميين أثر كبير عند البويهيين في بلاد المشرق فلم يولوا زمام السلطة المركزية في بغداد وضعف تبعاً لذلك مركز الخليفة العباسي. فكروا في انفصاء عن الخلافة السنية وإقامة خلافة شيعية مكانها إلا أن أنصار معمر الدولة البويهيين أشاروا عليه بالعدول عن هذا الرأي، وأوصحوا له أن الخليفة العباسي في بغداد ضعيف جداً، ومن الممكن حبه أو قتله متى خرج عن طاعة البويهيين، أم

(1) محمد سرور - سياسة الفاطميين - ص 168.

(2) عبدالمعز - محي الدولة العربية في عصر الفاطميين - ص 265.

(3) السوحي - حلال الدين - تاريخ الحشاش - دوا الفكر العربي - القاهرة - 1964 - ص 55.

(4) حمد مختار العبدوي - في التاريخ السياسي والفاطمي - ص 162.

الحلفاء العاطميون فإنهم من القوة بحيث إذا أرادوا القضاء على البويهيين تم لهم ما أرادوا<sup>(1)</sup>. وقال لهم أحدهم في ذلك ( ليس هذا برأي ، فإنك اليوم مع خليفة عباسي تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعّلوا ، ولو أمرت بقتله لم تطع بذلك ) لذلك ألقى معر الدولة على الخلافة العباسية مقتنعاً بهذا الرأي، وذلك خوفاً على سلطانهم ، فأراد التبعية لخليفة ضعيف على طاعة إمام قوي، كما أنه حشي إن هو أقدم على إلغاء الخلافة العباسية أن يتعرض إلى هجوم السامانيين، والغز ناويين حلفاء العباسيين من جهة، وتعرض العالم الإسلامي إلى حروب أهلية من جهة أخرى .

استبد معز الدولة البويهي بالسلطة ولم يبق للخليفة المطيع من الأمر شيء، وتسلم لوابه العراق بأسره، ولم يبق في أيدي العباسيين غير ما اقتطعه لهم الأمير البويهي، وخصص للخليفة العباسي ألفي درهم كل يوم وذلك لنفقاته الخاصة.<sup>(2)</sup>

ولقد تعرض الخليفة الطائع الذي خلف أباه المطيع إلى الإهانة والإعتداء على حرمة الخلافة، إذ لم يكتف البويهيون بمصادرة أموال الخلافة والاستيلاء على ذخائرها، بل أرسلوا إلى الخليفة العباسي أن يأتي إليه ويطلب الحضور في خدمته ليحدد البيعة لهم، وهذه تعتبر نتيجة حتمية لدخول البويهيين بغداد واستبدادهم بالسلطة، فقد ضعف مركز الخليفة حيث أصبح العوبة في أيديهم، ليس له من الأمر شيء<sup>(3)</sup>، والذي شجعهم على ذلك هو أن البويهيين كان شأنهم شأن العلويين جميعاً، يعتقدون أن العباسيين مغتصبون للخلافة، لذلك لم يكن هناك باعث ديني يحثهم على طاعتهم، واحترامهم على الرغم من إيمانهم للخلافة العباسية، ومن مظاهر استبدادهم بالسلطة مشاركتهم الخلفاء في شارات الخلافة، فصاروا أسماؤهم تذكر مع اسم الخليفة العباسي في الخطبة منذ عهد عضد الدولة البويهي ولم يسبقهم إلى هذا أحد من الأمراء، فقد كان هذا التقليد من الأمور التي ينفرد بها الخلفاء دون الأمراء، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن عضد الدولة عمد إلى حذف اسم الخليفة الطائع من الخطبة مدة شهرين حين اشتد الخلاف بينهما .

(1) سرور : الملوك العاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 79.

(2) العبادي : هي التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 349.

(3) الجميلي : دراسات في الخلافة العباسية ، ص 195.

كما نقش البويهيون أسماءهم وألقابهم على المسكة جنباً إلى جنب مع اسم الخليفة العباسي، وكان أول من فعل ذلك منهم معز الدولة البويهي وإخوته وعمدوا في بعض الأحيان إلى حذف اسم الخليفة<sup>(1)</sup>.

يبد أن البويهيين رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي، كانوا يؤثرون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية، فقد كانت هناك رسائل ودية بين العزيز بالله الفاطمي وعضد الدولة، الذي اعترف بإمامة الخليفة الفاطمي، لقد استقبل رسول العزيز في بغداد استقبالا حافلا، وهذا يدل على أن العلاقة بين القاهرة وبغداد كانت على جانب كبير من الصفاء والتفاهم والرغبة في التعاون، حيث كانت هجمات البيزنطيين على الثغور الشمالية<sup>(2)</sup> قد قربت بين الإمارة البويهية والدولة الفاطمية، حيث كان البيزنطيون دائمي الغزو على الأراضي المتاخمة لحدودهم، لذلك عملوا على وضع الخطط للتعاون فيما بينهم، وهذا ما يوضحه نص الرسالة المبعوثة من قبل الخليفة الفاطمي العزيز إلى عضد الدولة وفيها يقول: (وبعد فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك، فأدى ما تحمله من اخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ومحبتك لأبائه الطائعين انهادين المهدبين، فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك و وافق ما كان يتوسمه فيك وأنت لا تعدل عن الحق ولقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب لشام وضعف أهله وغلاء الأسعار، ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور وسوف يقدم إلى الحيرة، وكتابه يقدم عليك عن قريب، فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله)<sup>(3)</sup>.

وكان إقامة الاستقبال الحافل لرسول العزيز الفاطمي عند وصوله إلى بغداد، دليل على مدى العلاقة فيما بينهما. وعندما قرأ عضد الدولة رسالة العزيز بعث له مع رسوله أنه أمره فيه إلى اخمائه لأهل بيت رسول الله، وأظهر استعداده لتفديد أوامرهم التي تكون في صالح الدونتين دون أن تغطي الأولى على الثانية وبالعكس من ذلك<sup>(4)</sup>. ولقد شارك عضد الدولة العزيز في كرمه للحمدانيين، فمثلما حارب العزيز الحمدانيين في الشام عمل عضد الدولة على القضاء على الحمدانيين الموحدين في الجزيرة،

(1) محمد سرور ترويح الحضارة الإسلامية، ص 56

(2) أبو المحاسن، المعجزة الزاهرة، ج 4، ص 124، 125

(3) عبد الله بن محمد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص 157

(4) السيوطي تاريخ خلفاء، ص 27



لاسيما أنهم كانوا في منازعات داخلية، فاستغل عضد الدولة ذلك فقام بعزوهم وقتل ناصر الدولة الحمداني واستولى على أراضيه<sup>(1)</sup>.

وبعد أن استولى عضد الدولة على حامية الحمدانيين، تعاون كل من الخليفة العريز الفاطمي وعضد الدولة البويه في جهادهما ضد الروم، وحدثت مفاوضات عديدة فيما بينهما، وقاموا بمسالمة القائد الرومي بيزنس لاسترداد المدن التي فتحها الروم في منطقة الثغور، وانتهى الأمر بعقد معاهدة بين الروم وبينهما في سنة 367هـ/799م<sup>(2)</sup>.

ولا يمكن أن نفهم سياسة الفاطميين إلا إذا افترضنا أن سياستهم هذه تدور حول فتح الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من جهة، وأخذ موقع وسطي يعطيهم مكاناً أقوى لمواجهة خطر العباسيين وأنصارهم، ومزاحمة نفوذهم للخارجية والتي هي أقرب للفاطميين منهم، كذلك الإمكانية المباشرة للانقضاض على اليمن عن طريق البحر الأحمر<sup>(3)</sup>.

غير أنه سرعان ما تغيرت سياسة التودد التي كانت بين الخليفة الفاطمي وعضد الدولة في أواخر عهدهما، فقد جهز عضد الدولة البويه قواته لغزو مصر واستردادها من الفاطميين، بعد أن أصبحوا يشكلون خطراً على سلطانه في بغداد<sup>(4)</sup> غير أن محاولاته هذه لم تتم بسبب وفاته وهو في طريقه إلى مصر حيث قتل وهو على مشارف الحدودية لمصر، وهذا التغير يدل على أن علاقات التودد السابقة ما هي إلا مجرد مناصرة للمذهب الشيعي الذي يدينون به لكلا الطرفين، ولقد استغل الفاطميون هذه النقطة عندما تقلد بهاء الدولة بن عضد الخلافة 401هـ/1010م، فقد كان من المتعصبين لأهل الشيعة<sup>(5)</sup>.

وبدا الاستئثار القوي لدعوة الفاطميين في الموصل حيث أقيمت الدعوة للحليفة لعزير سنة 382هـ/993م، وكان الشخص الذي سيل أمر هذه الدعوة هو أمير المدينة محمد بن المنيب.

(1) ابن شكري، المعجم الزاهر، ج 4 - ص 125.

(2) عبد المنعم حاتم: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص 158.

(3) عمر السعدي، مجلة الدراسات التاريخية، محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر والابعاد الدولية والاستراتيجية، العدد 7 ص 81.

(4) محمد سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ص 82، 83.

(5) السيوطي تاريخ الخلفاء، ص 274.

ومن بعد الخليفة العزيز جاء الخليفة الحاكم بأمر الله الذي قام باستمالة أمير الموصل والذي خرج عن طاعة للخليفة العباسي القادر بالله في سنة 401هـ/1010م، ومنه انتشرت الدعوة الفاطمية ومذهبها الشيعي في المناطق المجاورة لمدينة الموصل، وهي الأنبار، المدائن و الكوفة والتي استقبل أهلها هذا المذهب وأصبحوا من المتعصبين له، وعليه أحل اسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في الحطبة محل الخليفة العباسي<sup>(1)</sup>

كان رد فعل العباسيين شديداً فعند سماع الخليفة العباسي القادر بانتشار الدعوة الفاطمية في بلاده، عمل على محاربة هذه الدعوة، وسرعان ما أبلغ القاضي أبا بكر الباقلاني وبعثه رسولا إلى الأمير بهاء الدولة البويهلي ليخبره بتقدم الخطر الفاطمي، الذي يهدد الدولة العباسية ويطلب منه محاربة نفوذهم بكافة الوسائل السياسية<sup>(2)</sup>.

ومن هنا بدأت مظاهر كره السنين للمذهب الشيعي<sup>(3)</sup>، حيث كان العباسيون يترصدون لدعاة العلويين. قد بدأت في بغداد تقام مشاهد العنف والخوف بين الطرفين<sup>(4)</sup>، وبعد انتشار النفوذ الفاطمي في بغداد، وبقي المدن في العراق، أخذ العباسيون يحرصون على الاحتفاظ والتمسك بالمذهب السني وتعاليمه، وذلك لمقومة المذهب العلوي الجديد<sup>(5)</sup>.

وعندما وصل القاضي الباقلاني رسول بني العباس إلى بهاء الدولة البويهلي، ونبهه إلى التغلغل الفاطمي في أراضيه، عدل الأمير البويهلي عن تأييد الحاكم بأمر الله، وذلك استجابة لرغبة الخليفة العباسي، كذلك تدخل الخليفة العباسي في أمور سياسة في بغداد، فأظهر ما يمكنه من بغض وحقد نحو الشيعة، فقد عمل الخليفة ائدع بالله على عرقلة شعائر الشيعة، حتى وصل به الأمر إلى منع هذه الشعائر في سنة

(1) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية في مصر، ص 228.

(2) محمد سرور: سياسة العظميين الخارجية، ص 174-175.

\* المذهب الشيعي: هناك نوعان من التشيع القديم والتشيع الجديد، أي التشيع الفارسي والتشيع العربي. لو اصر اختلاف بين درنتين تسميان إلى صم ائماء واحد واعتراف بوحدة رسالة رسول الله (ص) إلا انهما اختلفا في تفسيره. يقول لروحي الذي يشير به التشيع وبعد ان دخل التشيع إلى المغرب العربي في أواخر القرن الثاني هجري، كان قد تحول سرا عن مبادئه وهو تحول خطير، ثم بعد ذلك دعا لابتداء فطنة أو ثورة على الامويين الذين سلبواهم حقهم في الامامة. بحرف عن مسرد ومصابه الاول ان صيغ له صور مختلفة وجديدة مشتقة عن العقيدة الفارسية وحظت مع عقبة الزيد كم احد التشيع عموم و الائمة وهو ما ظهر عليه في حركته في المشرق والمغرب العربي وهي المبادئ التي حسبها عبد الله المهدي سي خلق على دولته العبيديين نسبة إلى اسمه واسم عاصمته، المهديّة على ساحل البحر المتوسط. الحاجري مرحة التشيع في المغرب العربي، ص 6، 7، 8، 10.

(3) عبد الحميد ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص 159.

(4) رشدي الجميلي: العلاقة العباسية والفاطمية، ص 198.

381هـ/991م<sup>(1)</sup>، ومما أدى فيه أن للخليفة القادر بالله رأى بعد أن تجلى له بحاح الدعوة الفاطمية في بعض بلاد العراق أن يلجأ إلى محاربة الفاطميين<sup>(2)</sup>.

وبعد أن أدرك العباسيون صعوبة مواجهة الفاطميين بالسلاح، لجأوا إلى وسيلة التشهير بسمعتهم في العالم الإسلامي، فقد عقد الخليفة العباسي اجتماعاً دعا إليه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة وأصدروا في سنة 401هـ/1010م محصراً يتضمن الطعن في نسب وأصل الفاطميين<sup>(3)</sup>، وكذلك نص هذا المجلس أيضاً بأنهم ليسوا من آل البيت، وقرئت العديد من النسخ في هذا المجلس ولقد وقع على هذا المحضر الشريف الرضي، وأخوه المرتضى، وفريق من كبار العلويين<sup>(4)</sup>، وكان فحوى الكتاب أن من يمكن مصر وأتباعها ويقصدون هنا الفاطميين، أنهم من الأنجاس وأنهم من الدعاة لسببهم، وأنهم مجرد خولج لا نسب لهم، ولا يمتون بأي صلة لعلى بن أبي طالب، وأنهم ممن سب الأنبياء ولعنوا للسلفاء، وهذا التشهير أراد منه العباسيون القضاء التام على الوجود الفاطمي، خصوصاً بعد أن ضغط العباسيون على البويهيين في العراق بالطعن في نسب الفاطميين أيضاً<sup>(5)</sup>.

و ليس هذا كل ما فعله العباسيون في سبيل مناوأة الفاطميين والقضاء عليهم<sup>(6)</sup>، فقد أظهروا العلاقة القوية بين الخليفة العباسي والبويهيين، ولرأوا من هذا تحقيق الأهداف السياسية أمام الوجود الفاطمي<sup>(7)</sup>.

وعلى الرغم من هذا التحالف الشكلي بين العباسيين والبويهيين إلا أن خلفاء بني العباس ظلوا يحتفظون بأمورهم وسلطتهم الدينية لكي لا يتغلغل هذا المذهب الشيعي عندهم ولذلك وقف الخليفة القادر موقفاً متشدداً ضد المعتزلة وعلماء الكلام ففي سنة 408هـ/1017م جمع فقهاء المعتزلة للحنيفة وأجبرهم على التبرؤ من الاعتزال وبهاجم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام وتعاليمه السنية<sup>(8)</sup>، ما كان له أن يحدث في بداية ظهورهم في كان صعب

(1) ابن ثوري المحمود الرازي، ج 4، ص 162.

(2) عبد المصنح ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية، ص 160.

(3) حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية في مصر، ص 129.

(4) محمد سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 175.

(5) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المطبعة العثمانية، حيدرآباد، 1358هـ، ج 7، ط 1، ص 255.

(6) حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية في مصر، ص 231.

(7) عبد الجبار منجي، الدولة العربية في العصر العباسي، ص 310.

(8) عبد الجبار منجي - المرجع السابق، ص 212.

النوبيين سبباً لتفوق العباسيين والذي شجع الخلافة العباسية على مهاجمة عدوتها العاطمية في مصر وخليفتها للحاكم بأمر الله<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم مما تركه هذا المحضر من أثر في نفوس بعض المسلمين إلا أن العباسيين لم يتحلوا عن هذه الحرب، فقد كتبوا في سنة 444هـ/1052م محصراً آخر يطعنون فيه بالفاطميين، وينكرون أصلهم ونسبهم، كما أجمعوا في سنة 488هـ/1095م كبار الأشراف والفقهاء وكتبوا محضراً آخر، والعرض منه تكريه المسلمين، في حب الفاطميين، والالتفاف حول الدولة العباسية، واعتبارها ملجأ للمسلمين كافة سواء في مصر أو الشام أو بغداد عاصمة الخلافة العباسية<sup>(2)</sup>.

والواقع إذا نظرنا إلى ما أوردته هذه المحاضر من طعن سواء في أيام الحاكم بالله أو المستنصر، تكشف لنا مدى عدم تطابق فحواه، إذ لا يوجد فيه براهين وما قدح وذم ملبنة بالتعصب الديني والسياسي، بحيث لم يخرجوا الفاطميين فقط من نسب الشريف بل أخرجوهم من الإسلام بالإجماع<sup>(3)</sup>.

ويمكن أن نرجع أن سبب القدح كان نتيجة حالة الضعف التي طالت الدولة العباسية بعد أن امتلك الفاطميون من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام والحرمين واليمن، لذلك لجأ العباسيون بتغيير الناس عنهم، وذلك بنشر طعن في نسبهم ويمكن أن نلخص سبب ظهور الطعن في الآتي :-

1. المرارة من مقاسمة الفاطميين أملاكهم.
2. الحقد الذي توك من منافسة القاهرة قاعدة الفاطميين لبغداد قاعدة العباسيين.
3. الخوف من امتداد سلطان الفاطميين نحوهم .
4. الفرصة مواتية لاحتلاف الفاطميين وتفريقهم إلى أجزاء.
5. إمكان التأثير على بعض العلويين في بغداد وضمهم لجانبهم.
6. كذلك عدم ممانعة النوبيين وإن كانوا شيعة.
7. إمكانية إثارة العنصر السنية التي توحد في الدلائل والتي امتلك عظمى.
8. إعلان هذا المحضر من شأنه أن يضعف نفوذ الفاطميين<sup>(4)</sup>.

(1) ابن نوري الجوزي انوار، ج 4، ص 229-230.

(2) حسن، إبراهيم حسن: الدولة العاطمية في مصر، ص 231.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص 16-17-18.

(4) عبد الحميد ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص 167-168.

وسبحة لهذا فقد انقسم الناس حول بعضهم، فمنه من سخر منه بل ازدادت الدعوة لهم ومنهم من نفر من الفاطميين وإلغاء الخطبة لهم مثل ما فعل حاكم مكة، فقد استعمل الدعاة الفاطميون حالة الفوضى والاضطراب في بلاد العراق في بداية القرن الخامس الهجري، سبحة تناقص أمراء بني بويه على الإمساك السيلسي وتولي زمام الأمور، حيث كان النزاع على أشده بين الأمير سلطان الدولة والي الحكم في بلاد العراق، وبين أبي الفوارس الذي بدأ في جلب أبناء الديلم إلى العراق، كما كان هناك نزاع بين ابن كليجار وجلال الدولة، الذي انتكسبت الدولة في عهده نتيجة سيره وراء أعماله وتصرفاته المتقلبة (1).

كان لارتياد نفوذ الأتراك أثره في سوء الحالة في بلاد العراق، حيث بدأوا في التدخل في شئون الدولة، وقد قاموا بعدة محاولات ترمي إلى خلع جلال الدولة البويهى وتولية ابن أخيه كاليجار في الدولة (2).

لا يمكننا أن ننسى أن هذا النفوذ التركي تغلب على العباسيين في بغداد، حيث تقاسم الأتراك المناصب الرفيعة مثل قواد الجيوش، وولاة في المناطق المحيطة بالدولة، بالإضافة إلى قضاة ومساءة وممسكين بديوان الجند، أو الرواتب وغيرها من الدواوين، وهذا أثر سلباً على علاقات العباسيين الخارجية وأعدائهم الذين أصبحوا من المقربين للأتراك (3).

غير أنه يلاحظ تبديلاً واضحاً في سياسة البويهيين نحو الفاطميين منذ بداية عهد أبي كاليجار (1043-1633هـ)، الذي اتخذ من تقربه إلى الفاطميين وسيلة لإرهاب العباسيين (4)، كما أنه حاول أن يمنع تقرب العباسيين من السلاجقة الأتراك الذين كانوا يهددون سلطان آل بويه (5)، وفي نفس الوقت لم تقف الخلافة العباسية مكتوفة الأيدي أمام الزحف السني الذي ظهر نتيجة ضعف البويهيين (6)، ولقد كانت أحوال بلاد العراق عبر حربية عن الرقابة الفاطمية في مصر، وعندما وصلت الأحبار إلى الحليفة الفاطمي انطاهر لإعزاز دين الله ما تعانيه بغداد من الفوضى، بسبب النزاع والمنافسة

1 بن الحسن: بلاد الزهور، ج 11، ص 56.

2 بن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 7، ص 256، 283.

3 حسن أبو حيم: حسن، تاريخ الإسلام السيلسي، ج 3، ص 127.

4 حسن أبو حيم: الدولة الفاطمية في مصر، ص 231، 232.

5 عبد المولى محمد أحمد: مغربيات ومشرقيات، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ط 1، ص 102.

6 عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، ص 169.

بين أمراء بني بويه و الخلافات التي قضت على قوة الجند، لذلك رأى أن يظهر هذه الفرصة ليتابع سياسة أسلافه في نشر الدعوة الفاطمية في بغداد، وأرسل في سنة 425 هـ / 1033م إلى بغداد وفارس دعائه، وكان أهمهم الداعية الشيعي المؤيد بن داود الشيداري<sup>(1)</sup>، كما قام للظاهر بإرسال الأموال الكثيرة لاجتذاب العراقيين، ولقد نجح المؤيد الشيداري في استمالة أبي كالجار، الذي قال للمؤيد حين التقى به: (أبي أسلمت نفسي ودينني إليك وأنتي راض بما أنت عليه)<sup>(2)</sup>، ولقد كانت دعوة المؤيد لها تأثير إيجابي فقد أثبت أنه من أكثر دعاة الفاطميين في عهد البويهيين إماماً بأصول الدعوة، ومن أصدقهم و أخلصهم لأن البيت ومحبة لهم واعتقاداً في مذهبهم، وقد استطاع بفضل شخصيته وروعة بيانه، أن ينشر الدعوة الفاطمية في كافة بغداد حتى وصلت دعوته إلى الديلم بل إن أبي كالجار أصبح من أكثر تلاميذه والمتأثرين بدعوته وعلومه وبذلك استجاب له كثير من الناس والتفوا حول مفاهيمه ودعواه<sup>(3)</sup>.

ولقد دخل في دعوة المؤيد الشيداري كثير من أعوان أبي كالجار، الذين كان يجتمع بهم يومياً، وذلك للمذاكرة والمناقشة وتعليمهم مبادئ مذهب الشيعة الإسماعيلي، ثم أخذت هذه العلاقة تتغير عندما أخذ المؤيد الشيداري يلح على أبي كالجار أن يكاتب الفاطميين في مصر، وكان يهدف للسيطرة على العراق وتم له ذلك في سنة 436هـ/1044م وعلى الرغم من ذلك فقد زادت قوة العلاقة بين البويهيين وبين الفاطميين خصوصاً بعد فرار أبي علي بن جلال الدولة أبي طاهر المعتز إلى مصر واحتمائه هو ومرافقيه بها بعد دخول كالجار لبغداد، لذا وقر في دهن أبي كالجار أنه ربما يحاول أبو علي بن جلال الدولة التقرب من المستنصر وطلب معاونته في استرداد ملك أبيه<sup>(4)</sup>.

وذلك نرى مدى حرص استغلال الفاطميين للظروف التي سادت بلاد العراق، والتي كانت متلاحقة في تعليلهم السياسي والديني، مستفيدين من محالة الأمراء البويهيين الذين استعنوا بالوضع السياسي.

(1) حسن إبراهيم حسن، محمد كتمن، حيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة دار الفكر العربي، القاهرة 1949، ط 1، ص 11

(2) عبد المعتمد مازن، حسن المرجع، ص 111

(3) محمد عبد المونس، محمد أحمد: تقوى السنية في المغرب من قبيل الدولة الزيادية دار المعرفه، جامعة الاسكندرية 1985، ج 1، ط 2، ص 105

(4) محمد عبد حمزي: المرجع السابق، ص 114-115

والواقع أن الظروف كانت مهيأة في العراق لاستقبال عناصر جديدة في الحكم، بعد أن اشتدت المنازعات و اللفتن بين بني بويه، كما تجددت الاضطرابات في مدينة بغداد بين الشيعة والسنة من جراء اهتمام الفاطميين بالدعوة إلى إمامتهم، وقد أدت هذه المنازعات المذهبية إلى إضعاف حالة البلاد الاقتصادية، وما جرى منها من قتل وسبي ونهب وإحراق. (1).

وعلى الرغم من سيطرة البويهيين السياسية على العراق في بداية عهدهم. إلا أن هذه السيطرة ضعفت كثيراً في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، بعد أن طلت هذه السيطرة نحو أربعة عقود على دولتهم، ما ترتب عليه من نشوء دويلات القائل والعشائر في شمال وجنوب العراق .

وبذلك بدأ الشعور السائد بين المسلمين في العراق بعدم الاستقرار، والقلق من جراء تغيير الخلفاء و الأمراء، كما نجم عن هذه الأوضاع فرصة للقواد العسكريين المنشقين في الدول المجاورة للتدخل والتسيد في البلاد، وما سهل لهم الأمر الاختلاط الذي عرفت به العراق بين شعوبها، فقد كان العنصر العربي جزءاً فقط من دائرة كبيرة، تحتوي على الأتراك، والديلم، والعراغة، والمغاربة، والبربر، الذين جلبوا من مصر والمغرب.

## المبحث الثالث

### تأييد الفاطميين للقواد العباسيين المنشقين عن الدولة ( البساسيري )

يشير الدعاة الفاطميون من البويهيين وضعفهم بعد التغيرات السياسية التي شملت كافة بلاد العراق لذلك وجهوا اهتمامهم إلى استمالة الفرق التركية المنشقة في بغداد والتي استطاعت أن تسيطر على بعض شئون الدولة السياسية والدينية<sup>(1)</sup> ، والذي ساعدهم على ذلك وجود أعداد كبيرة منهم في صفوف الجند والعسكرة ، وعندما أحسوا بضعف الخلافة العباسية ، سيطروا على شئون العامة في دار الخلافة وزادوا في إهانة العباسيين بتسلطهم وجشعهم ، وبعد إحداث الفتنة ما بين الأتراك والديلم اشتدت أحوال الأتراك وقويت شوكتهم<sup>(2)</sup> .

وتعتبر هذه الأحداث شيئاً متوقعاً بعد أن شهد القرن الرابع الهجري اضطراب الدولة العباسية وانفصال أطرافها شرقاً وغرباً ، وكان لابد للدولة العباسية من عامل إحياء وتجدد يعيد للخلافة هيبتها .<sup>(3)</sup>

و كان الأتراك السلاجقة ينسبون إلى إحدى القبائل التركية التي انتقلت من موطنها الأصلي في سهول تركستان إلى بلاد ما وراء النهرين خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية ، وبعد أن أصبحت أكثر قدرة على القتال والمواجهة للعصر الأخرى المحيطة بها<sup>(4)</sup> والدين وحدوا ملاذاً لهم على أرض من أخصب الأراضي وهي العراق التي تقع على ضفتي دجلة والفرات ومصباتها التي تحذي الأراضي المحيطة بهما مما جعلها مقصداً لعدة أجناس مختلفة .

وكان سقوط وضعف بني عويص وحلول السلاجقة الأتراك السفين له الأمر السيئ في الأوساط الفاطمية في القاهرة ، والذين أدركوا صعوبة مهمتهم في العراق أن الحلعاء انعموا لأول مرة سياسة التحيز ، حيث قامت الدولة بتشييع وتغذية فتنة الفتن التركي

<sup>(1)</sup> العموي ينفوت شهاب الدين ابو عبد الله . معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والحصار ج 3 - دار صادر بيروت ، ص 380 .

<sup>(2)</sup> عبد الحبار بنحو : الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، ص 390 .

<sup>(3)</sup> ارشد الحميني دراسة في الخلافة العباسية والفاطمية ، ص 214 .

<sup>(4)</sup> عبد المعتمد ماجد : سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ب . ت . ب . ط ، ص 29 .



في حيوش الدولة العباسية أبو الحارث البساسيري<sup>(5)</sup> ، الذي ثار ضد الدولة العباسية نتيجة سياسة التفرقة ما بين الجنود والعسكر فبعد أن هرب من بغداد ومن بطش الخليفة القائم بأمر الله والإقامة في الشمال نجد أن الخليفة المنتصر قد بعث إليه بتأييده، ويتعهد له بإمداده بالمال والرجال وبعد أن اتفق الاثنان بعث الخليفة الفاطمي المنتصر له بداعيته للداهية والحريء هبة الله الشيرازي سفيراً من قبله لإثارة حماسة حشد البساسيري وحشهم على مسيرة الثورة ضد العباسيين<sup>(1)</sup> . إن الأموال والمؤمن التي وصلت للبساسيري في العراق من الخليفة المنتصر بالله قدرت بحمسمائة ألف دينار وخمسمائة فرس وعشرة آلاف قوس<sup>(2)</sup> . وعلى الرغم من الحالة الاقتصادية التي كانت تمر بها مصر في هذا الوقت إلا أن وزير المنتصر البازوري لم يتردد أن يضحى بهذه الإمدادات والمعونات<sup>(3)</sup> ، وبعد أن اطمأن البساسيري على علاقته مع الفاطميين أخذ ينتظر الفرصة المناسبة للهجوم والانقضاض على مدينة بغداد<sup>(4)</sup> . والتي كانت تحت سيطرة أبو نصر خسرو نيروز الملقب بالملك الرحيم، والتي حدثت في عهده منازعات شديدة بينه وبين الديلم على السلطة ، كما كانت الحيوش في حالة انقسام وقتال<sup>(5)</sup> . ولم يتأخر الفاطميون كثيراً في الدعم المباشر للبساسيري ، فقد خرجت حامية عسكرية من القاهرة وذلك لمساعدته ، وكان على رأس هذه الحامية الشيرازي الذي جمعها الفاطميون من أجناس مختلفة لمثل هذه الأحداث<sup>(6)</sup> ، ورافق وكان لهذه الحملة أثر كبير على نفس الخليفة الفاطمي فسر سروراً لا نظير له معتبراً ذلك انتصاراً كبيراً لم يحدث لأحد من قبله سواء من أبيه أو أجداده الذين سبقوه.

ولقد ترتب على هذه الأحداث أن عظم أمر البساسيري وزادت عصبية التركية وأصبح يتصرف تصرف الملوك ويتلقب بالألقاب القيادية في المساطق التي استحوذ عليها<sup>(7)</sup>.

<sup>(5)</sup> محمد لعبادي في التاريخ العباسي والفاطمي . ص 181.

<sup>(1)</sup> حسن برهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص 232.

<sup>(2)</sup> ابن شعري : سقوط الزاهرة ، ج 5 . ص 11.

<sup>(3)</sup> محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجي ، ص 191.

<sup>(4)</sup> محمد العبادي . نفس المرحح . ص 183.

<sup>(5)</sup> محمد عبد الحمود : مشرقيات ومغربيات ، ص 146.

<sup>(6)</sup> ابن شعري : سقوط الزاهرة ج 5 ص ص 12 ، 13.

\* البساسيري . هو أبو الحارث أرملة بن عبيد الله البساسيري التركي مقدم الأتراك ببغداد ، كان أحد مماليك بهاء الدولة من بويه وحميفة عباسي تقدم قد فصله على سائر الأتراك فاستبد بالسلطة ببغداد وخراسان واطلق عليه اسم البساسيري نسبة إلى بيته (بسه) . انظر عبد الجليل تلجي : ص 391 .

<sup>(7)</sup> ابن خلدون : المقدمة ، ص 202

وبذلك بدأت سياسته تنتقل من مرحلة إلى أخرى حيث أصبحت أكثر اتساعاً وانتشاراً وتقدماً، وكان ما أراد حيث امتد نفوذه في كافة بغداد والأنبار وتكريت وكل من الكوفة والبصرة والمناطق المجاورة لهما.

أن يعود في بغداد لم يصبح كاملاً إلا في سنة 450هـ/1058م عندما خرج القائد طغرلبيك من بغداد لمحاربة أخيه في الشمال فانتهاز الساسيري هذه الفرصة فهاجم بغداد واستولى عليها بمساعدة بعض الأهالي الشيعة ومن بينهم أهالي منطقة الكرخ.

وعندما وصلت أخبار توسع أبو الحارث البساسيري وسيطرته على بغداد سيطرة تامة، لم يكن الخليفة أو الملك البويهى (الملك الرحيم) يملك شيئاً أمام قوة هذا القائد وجنوده وبذلك لم يعد هناك من شك على استفحال نظر البساسيري على الجند وبغداد حتى أصبح الملك الرحيم لا يدخل في سياسته ولا يناقش أوضاع البلاد إلا بمشورة هذا القائد الذي أصبح يمتلك ما يدخل إلى بيت المال من الإيراد والخراج<sup>(1)</sup>.

وأول سياسات البساسيري هي القبض على الوزير ابن القاسم بن المسلمة الذي كان سبباً في هروبه من بغداد حيث قام الساسيري بتعذيبه وتكبله بسلاسل وألبسه جلود الثيران ثم قام بتعليقه على أشجار وعمل على تكبله بالحديد حتى وافته المنية وهو في حالة من الضعف والاضطراب. أما الخليفة العباسي القائم بأمر الله فقد نهبت العامة قصوره وأملكه وضيعه، غير أن البساسيري أحسن معاملته وسلمه لوالي مدينة في شمال الفرات بعد أن أرغمه على كتابة عهد اعترف فيه بأنه لاحق لبني العباس في الخلافة مع وجود أولاد الفاطميين وبذلك رفع البساسيري الدولة المصرية في بغداد معلناً عن سياسته الجديدة في بلاد العراق<sup>(2)</sup>.

ومنذ بداية توليه الحكم في بغداد نجح الساسيري في تأمين حدود العراق، وذلك حين قابل جماعات الأكراد والأعراب الذين دأبوا على قطع الطريق ونهب القرى، حيث أوقع بهم هزيمة عند روافد نهر الدجلة<sup>(3)</sup>.

بعد أن قويت شوكة العرب وبعد أن ضعفت قوة البويهيين، كرست الدولة الفاطمية نشاطها بين عرب بلاد الجزيرة والذين كان أغلبهم من بطون بني عامر، مثل قبيلة من عقل الذين هاجروا إلى البحرين ووصلوا إلى الموصل والمدائن حتى استولوا على

(1) أحمد مختار عبادي: في تاريخ العباسي والفاطمي، ص 182.

(2) عبادي، المرجع السابق، ص 182.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 750.

المناطق المحيطة بهما مولقد ظهرت الدعوة الفاطمية عندهم<sup>(1)</sup> بفضل رسائل المؤيد التي بعثها إليهم يطلب منهم تأكيد الفاطميين وأنصارهم، كما أرسل المؤيد إلى الوزير طغرلبيك وذلك لمناصرته ودولته، غير أن مراسلاته لم تؤدي إلى تحقيق العاية التي أرسلت من أجلها ذلك أن العميد الكندري صاحب الملك الرحيم عمل على تفريق شمل أمراء العرب وبغريهم بإسناد بعض الولايات إليهم مما نتج عن تلك السياسة عدول كثير من القبائل العربية عن التعاون مع البساسيري<sup>(2)</sup>.

وظل الخليفة الفاطمي المستنصر يمد البساسيري بالأموال الصخمة والجند، الذين أمر بإرسالهم إليه من بلاد الشام<sup>(3)</sup>.

وبذلك أصبحت أحوال الخليفة العباسي القائم بأمر الله، والظروف المحيطة به سيئة ومعقدة إذ كان يأمل بأن يجد الاستقلال والقوة في ظل السلاجقة بعد أن تردى وضعه في حماية البويهيين إلا أن ذلك الأمل قد خاب أمام شدة وقوة البساسيري وأتباعه في بلاد العراق<sup>(4)</sup>.

وعمل المستنصر على توحيد كلمة الأتراك بزعامة البساسيري، والعرب بزعامة دبسي بن علي بن مؤيد أمير عرب الفرات، وأطلق عليه الألقاب منها الأمير و سلطان ملوك سيف الخلافة بالإضافة إلى منحه ولاية ما يفتحه من البلاد شرقي نهر الفرات<sup>(5)</sup>.

وفي هذه الفترة امتازت الخلافة الفاطمية بالمعظمة في الأماكن التي تم تواجدها بها فقد تمتعت الدولة بكثير من الطمأنينة والرخاء وازدهرت أكثر مما كانت عليه إبان عهد الدولة العباسية وهذا كليل بنشر المذهب الإسماعيلي الذي أصبح ملجأ وفي هذه الفترة زادت عظمة الخلافة الفاطمية، وازدهرت أكثر من قبل، فساعد ذلك على نشر المذهب الإسماعيلي الذي أصبح يعتنقه أغلب العامة في الدولة<sup>(6)</sup>.

غير أن الحدد الأتراك قاموا بمحاولة لزعة الاستقرار الذي أحدثه الساسيري في العراق، بأن أحدثوا فتنة في بغداد، وذلك في سنة 446هـ/1054م، حيث

(1) عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص 173، 174.

(2) محمد مرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص 195، 196.

(3) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية في مصر، ص 432.

(4) عبد الجبار سجي: الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص 396.

(5) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية في مصر، ص 232.

(6) حمد محتر العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص 297، 298.

قاموا بإحراق دور العبادة الخاصة بأهل الذمة فضلاً عن نهب كثير من الدور، ومن بينها دار الروم ودور أبي الحسن بن عبيد وزير البساسيري، وقاموا بمحاصرة الدار، فما كان من البساسيري إلا الانتقال إلى دار الخليفة وأقام بها صيانة للخليفة واعتذر إليه عن تعدي أتباعه، وأعلن أنه غير راض عن أفعالهم وفتح عن هذه الفتنة غلو الأسعار، وندرة الأقوات لدى المواطنين والأهالي.<sup>(1)</sup>

وأصبح للبساسيري بذلك يتصرف كالملوك وتلقب بالمظفر ومن ثم بدأت تهيبه الدول، وأمراء العرب والعجم، ودعي له على كثير من المنابر العراقية وبالأهواز ونواحيها، وبدأ في حبي الأموال من المدن التي فتحها باسم الدولة الفاطمية حيث نرى أن خزائن الدولة قد امتلأت من غزواته ولتصاراته الحربية.<sup>(2)</sup>

وعلى كل حال فإننا نجد أن جهود الدعوة الفاطمية قد أثمرت بين صفوف الأتراك في العراق وديار معظم الجزيرة، وأدت إلى قيام ثورة فعلية ضد العباسيين<sup>(3)</sup>، ويمكننا القول إن المساعدة الفعلية للبساسيري والخليفة الفاطمي المستنصر هو أن الدعوة الفاطمية والدعاة الفاطميين السابقين قد أعطت جهودهم نتيجة ملموسة فقد لقبت تأييداً كبيراً عند الديالمة في فارس، حيث انضم إلى الفاطميين كبار الشيوخ ورجال الدولة، والذين كان لهم أثر في تحولهم من المذهب السني إلى الشيعي الجديد خصوصاً عندما بدأت دوائر تعقد من أجل قراءة القرآن وهي المجالس التي كان يفقدها هؤلاء القوم، مما جعل الفاطميين في مقدمة المسلمين بالنسبة إليهم فأقبلوا على ما جازوا به<sup>(4)</sup>.

وبذلك السياسة التي اتبعها البساسيري استطاع أن يمتلك أغلب المناطق في العراق سياسياً، وأن يبسط نفوذه عليها، وهذا هو الأمر الذي جعل المستنصر يفرح ويسر به، وهو ما لم يحدث لأحد لا من قبله من آبائه ولا أجداده. نذير كانوا يطمحون في الوصول إلى أراضي العراق<sup>(5)</sup>.

ولكي يضمن المستنصر بقاء البساسيري في العراق عمل على توحيد الأتراك وعدم إدخال فئات أخرى. وعلى أن تكون الزعامة الوحيدة للبساسيري وأن يكون

(1) محمد عبد المولى، معربات ومشرقيات، ص 148

(2) محمد عبد المولى، معربات ومشرقيات، ص 152

(3) عبد المعصم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية، ص 176

(4) محمد سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ص 92، 93

(5) حمد محتر العبادي، التاريخ العيني والفاطمي، ص 183

حكمه شرعياً، لذلك نرى أن الداعية هبة الله الشيرازي استطاع أن يقع ويصم إليه إبراهيم أخ طغرل بك إلى الفاطميين، وهو الذي كان له دور كبير في استيلاء الساسيري على بغداد وذلك عن طريق إلهاء طغرل بك بمحاربته من قبل أخيه، واستيلاء الساسيري عليهما، وله دور في استقرار الأمن داخل بغداد، من خلال إعلانه لتأييد الوجود الفاطمي في بغداد<sup>(1)</sup>. ومهما كانت الصعوبات فقد تحقق أخيراً حلم الفاطميين حيث كانت نتيجة إعلان الخطبة في بغداد للفاطميين، أن علا شأنهم بين الدويلات الأخرى، بعد أن كان أغلبها يتوقع سقوط الفاطميين ودولتهم في مصر بعد ما مرت بها حالة من القحط والجوع نتيجة الغلاء في الأسواق وانخفاض مسبب المياه في نهر النيل لذلك جاءت انتصارات البساسيري وتأييده للفاطميين في العراق لكي تسقط هذه التوقعات<sup>(2)</sup>.

هكذا حقق البساسيري للفاطميين انتصاراً كبيراً، وأعلن الخطبة للفاطميين في بغداد واستقر الوجود الفاطمي فيها لمدة سنة كاملة وهي سنة 450هـ/1058م<sup>(3)</sup>.

وبرغم ما فعله البساسيري من مجهودات في سبيل نشر الدعوة، والنفوذ الفاطمي ببغداد، إلا أنه لم يلق من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ما يشجعه على المواصلة ويسط سلطانه على بلاد العراق .

واشتد الأمر ما بين البساسيري و الفاطميين، حتى أنهم كانوا يعدونه بإرسال ستين ألف دينار سنوياً له ولأعوانه في الجيوش، إلا أنهم لم يفوا بالوعد، وذلك نتيجة بتشكيك الوزير أبو الفرج المغربي بالأعمال التي يقوم بها البساسيري وتم يمدوه بأي قوات لكي تساعده وتعزز موقفه في المدن العراقية<sup>(4)</sup>.

وما حدث بعد ذلك هو ضعف البساسيري وجنوده الذين انقطعت عنهم أموال وأصبح همه الأول كيفية إيجاد سبل العيش لهم ، مما أدى إلى انهيار تلك الثورة التي قام بها الساسيري في معارك والتي لم تدم طويلاً ، فبعد أن انتصر طغرل بك على أخيه إبراهيم ، عاد ومن معه إلى بغداد، واستولى على ما كان بحوزة البساسيري، وقام بإعادة الخليفة العباسي اتخذهم يأمر الله إلى عرشه، في إحدى المواجهات وقام بقتله ثم

(1) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية في مصر، ص 232.

(2) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 8، ص 191.

(3) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 8، ص 193-194.

(4) ابن فؤاد السبكي: دولة الفاطمية في مصر، ص 132-133.

بصلته على حدران قلعته وبذلك أصبحت الدولة العباسية في حالة من الهدوء السياسي، حيث تخلصت للدولة العباسية من الاضطرابات الداخلية التي سببتها لها الدولة الفاطمية ومن الانشقاق السياسي الذي كاد أن يقضي على الدولة في ذلك الوقت.<sup>(1)</sup>

لقد استعمل الفاطميون الصعاب التي صادفت الخليفة القائم بأمر الله من ثورات الحدد الدين كانوا يشكلون القوى الضاربة في الدولة العباسية وما صاحب هذه الثورات من شغب في أغلب المناطق العباسية، لذلك نرى أن الفاطميين قد كسبوا ود الفائد السياسي من بعد أن تأكدوا من استئصال نفوذهم في العراق وأدركوا أنه أصبح له أعوان داخل الدولة العباسية وهو الأمر الذي جعل أمراء بغداد والموصل يعلنون الولاء والخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله .

ولقد كان ذلك مستغراً للباسيري، الذي استقبل دعوة الفاطميين له وجعلها هدفاً لنشر قواته في كافة بغداد وأعلن على الملأ خلع طاعته للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وأعلن ولاءه للفاطميين الذين لم يبخسوا قدره، وبدأ في إرسال الدعم المادي له بالإضافة إلى الدعاة الفاطميين الذين كانوا النواة الأولى لتلك الحركة السياسية في بغداد .

ومهما يكن فإن الباسيري ظل يمد في مسيرته رافعاً راية الفاطميين ودعوتهم في كافة المناطق التي يدخلها واستمر على ولائه لهم، وزاد من ثقة الفاطميين به في مصر وأصبح من المقرنين لرجال الدولة الفاطمية، الذين بدأوا في دعمه مادياً لتسليح الحيوش المصاحبة له، وأصبح هناك مراسلات متبادلة ما بينهم وبين الباسيري .

ولقد تقاعس الفاطميون في إرسال الإمدادات في الفترة الأخيرة للباسيري وفي المناطق التي كانت تحت سيطرته في بلاد العراق، نتيجة الغيرة من الباسيري ومن قوته، لدى الخليفة، وهذا ما جعل الفاطميون يوقفون إرسال الإمدادات لمادبة له مما أصعب كامل الحيوش التي باتت الهدف لها سد الرمق وتسريعة حوصر الباسيري وقتل .

<sup>(1)</sup> حمد مختار العادي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 183 .

## الفصل الثالث

### النفوذ الفاطمي في الشام والحجاز

المبحث الأول: الوجود الفاطمي في بلاد الشام.

المبحث الثاني: الوجود الفاطمي في الحجاز .

المبحث الثالث: سياسة الفاطميين في زمن الظاهر والمستنصر.

## المبحث الأول

### الوجود الفاطمي في بلاد الشام

تعتبر منطقة الشام منطقة نافذة بمساحتها الكبيرة وحدودها النادية من أيلة\* إلى الفرات وأحر حدودها مصر<sup>(1)</sup> حرص الإخشيديون وقبيل الفتح الفاطمي لبلاد الشام على توطيد نفوذهم بولاية الشام التي تقلدوا حكمها لفترة طويلة<sup>(2)</sup>. لذا حرص الفاطميون منذ استيلائهم على مصر على زعزعة دعائم الدولة العباسية وانتزاع نزعة الإسلام فيها بما في ذلك بلاد الشام، وكانت الضرورة السياسية والحربية تقتضي من الفاطميين بعد أن تم لهم فتح مصر أن يولوا وجوههم شطر بلاد الشام فعملوا على فتح هذه البلاد بقيادة جوهر الصقلي رغبة في تأمين حدود مصر عند ناحية الشمال ومواجهة خطر القرامطة<sup>(3)</sup> ومن هنا تتضح السياسة الحربية للدولة الفاطمية نحو المشرق، ولم يكن قصد الفاطميين في سياستهم فرض سيطرة عنصر معين، كما فعل الأمويون حينما كان هدفهم فرض سيطرة للعنصر العربي، أو العباسيون الذين قاموا بتأييد الفرس، ففي الوقت الذي ظهر فيه الفاطميون كانت حركة الشعوبية أو القوميات قد اختفت والروح الإسلامية قد تمكنت من شعوبها<sup>(4)</sup> فقد عرفت الشام قبل الفاطميين بالانقسام حيث تسيد الحمدانيون على كافة مناطقها الشمالية وعلى رأسها أكبر مدنها حلب.

أما جنوب الشام فقد كان تحت السيطرة الإخشيدية التي كان وضعها غير مستقر في المنطقة بسبب هجمات القرامطة المتكررة وبخاصة قرامطة البحرين مما اضطر الإخشيديون إلى دفع مبلغ ثلاثمائة ألف دينار سنوياً للقرامطة مقابل الكف عن مهاجمة بلاد الشام ونتيجة لهذه الأحوال اتجه جوهر الصقلي بعد استيلائه على مصر إلى بلاد الشام -عشارها امتداداً طبيعياً للبلاد المصرية وولاية من ولاياتها- بي العيدين الطولوسي، والإخشيدية؛ إضافة إلى أهميتها الحربية والاقتصادية، كما يس نواجه خطراً يهدد الفاطميين ألا وهو الدولة البيزنطية في حدودها الشمالية للتحصنة وسفر

\* أيلة : هي مدينة واسعة جبهة تقع على ساحل البحر المتوسط وكانت مركز الراحة للتجار العربيين وبها - بجمع حجاج

شام ومصر والمغرب - انظر البغدادي - أحمد بن واضح، كتاب البلدان، دار إحياء التراث، بيروت 1388 هـ، ص 98

11 الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم - المسالك والممالك - وزارة الثقافة والأرشاد، القاهرة، 1961م، ص 43

12 سيدة الكاشف : مصر في عهد الإخشيديين، ص 82.

13 محمد سرور سبيل الفاطميين الخارجية، ص 120.

14 عبد الحميد منجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ص 119.



الخطوة التي وجهه من أجلها المعز ، من أجل توسيع رقعة بلاده ومد نفوذ الدولة واصل حوهر الصقلي تنفيذ الخطوة التي وضعها الخليفة المعز ، الاحتلال الشام، وسط نفوذ الدولة الفاطمية على حساب الدولة العباسية (1) .

انتكبت حوهر قائده جعفر بن قلاح للكتامي في سنة 358 هـ / 968م للاستيلاء على الشام، حيث كانت الفرصة مواتية له بسبب أحوالها للمتردية، وقلة العسكر فيها ، فما كان من الإحشيديين الموجودين في الشام إلا أن جهزوا جيوشهم، بقيادة محمد بن طغج والتقي الطرفان، ولكن الفاطميين قضوا على جيوش الشاميين، ودموا بأسر بن طغج وأرساله إلى المعز في أفريقيا، واستولى جعفر على الرملة ثم قصد طبرية واستولى عليها، وأقام الخطبة للفاطميين يوم الجمعة من محرم سنة 359هـ/ 969م وبذلك تكون قد قطعت الخطبة للعباسيين.

ويمكن أن نلمس قوة تحقيق الأهداف السياسية الحربية الفاطمية في بلاد الشام باعتبارها ميداناً لجهاد أعداء الإسلام (2)، وعلى الرغم من الاستيلاء الكامل للفاطميين على بلاد الشام ، إلا أن نفوذهم لم يكن مستقراً، إذ كان يتراوح بين المد والجزر ، حسب قوة الدولة الفاطمية وما تتعرض له من ضغوط من الدول المحيطة بها (3).

وقد أثار جعفر الكتامي نفوس أهل الشام، فلم يخلصوا له بل استمروا يدبرون الفتن والمؤامرات للخلاص من حكم الفاطميين، الذين يخالفونهم في المذهب الديني، وجدوا الخلاص في استجادهم بالقرامطة، والأتراك الذين تغافم خطرهم في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، ولعل الصعوبات التي واجهها الحكم الفاطمي في ولاية الشام، وعدم تعاون أغلب سكانها مع الفاطميين بعد سوء التصرف، الذي حصل من القائد جعفر وجنوده وردود الفعل، يرجع إلى اعتماد عساكره من اسفارية، على أسلوب البطش والقتل والتدمير والحرق والنهب للمدن والقرى وإهانة الأهالي في دمشق وغيرها من المدن الشامية، وربما أن هذه المنطقة التي تمتد في شكل قوس في سماء الصحراء العربية، والتي تشمل الشام وما بين النهرين والتي تسمى (الشلال نحسب)، وما تمثله من واحات وهضاب محصاة، وسهول جافة كثيرة، وما تتمتع به

(1) العوفي، محمد سالم العلاقات السياسية في الدولة الفاطمية والدولة العباسية، منشورات جامعة، دار محمد بن سعود، القاهرة 1949، ص 58.

(2) عبد المعز ماجد ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص 124.

(3) العوفي، العلاقات السياسية لدولة الفاطمية والدولة العباسية، ص 58.

من شبكة واسعة من الطرق، التي تمر بعدة مناطق مختلفة، مساعد على مد أطماع دويلات صغيرة لمخاربة النفوذ الفاطمي فيها. (1)

واجه الفاطميون الكثير من الصعاب في الشام أنت أغلبها من قبل أهل الشام أنفسهم، وهم من سلالات عربية، سكنت الشام قبل الفتح العربي الأول، مثل الطائيين والكليبيين أو بني كلاب الأولى في فلسطين، والثانية في شمالها حتى حلب (2).

رأى جعفر أنه لن يستطيع توطيد سلطان الفاطميين في دمشق إلا بالقضاء على رعاء الفتنة من أهلها، فأرسل جنده في طلبهم وتم القبض على أغلبهم مما أعطى للفاطميين نوع من الأمان.

وشير هنا إلى أن حالة الفاطميين السياسية، كانت تتوسع بفصل الجهاز الإداري، الذي كان يساعد الخليفة على تنفيذ سياسته، حيث نلاحظ أن الفاطميين في الشام اعتمدوا في حكم ولايتهم على أنصارهم الموالين لهم، فقد كانوا يأخذون المسيء منهم بالشدّة إذا أساء الترقية والتشجيع إذا أحسن، فعليه أن يبذل أقصى جهده في خدمتهم ودولتهم (3)، وبمقتضى ذلك يمكننا أن نقول إن سياسة الفاطميين في هذه الفترة توسعت في مجملها، من حيث العامل الإداري والسياسي والديني، من أجل تحقيق هدف واحد، ألا وهو الصعود براية الخلافة الفاطمية في المشرق، متضمناً ذلك تكافل الجيوش والولاة والحليفة في الدولة الصاعدة في العالم الإسلامي في الشرق والغرب.

هذا ولقد استفاد الفاطميون في بلاد الشام في ذلك الوقت من أوضاع غيرهم، (4) وبعد فتح الرملة ودمشق وإقامة الدعوة للخليفة المعز الفاطمي في سنة 360هـ/971م، اعترف حكام حلب الحمدانيون بالخلافة الفاطمية، ومع نهاية سنة 360هـ/971م كان الأذان (بحي على خير العمل) يطلق على كافة أقاليم الشامية. رأى جعفر الكناشي بعد أن استقرت له الأمور ببلاد الشام، أن يحيز جيشاً كبيراً يضم إليه حود وعساكر عمال دمشق وفلسطين وحلب (5). ممن كانت لهذه حولات في

(1) بومبار، موزيس، الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب 1980، ص 3 - 5.

(2) عبد المسعد ماجد - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ص ص 124 - 125.

(3) محمد سرور - سياسة الفاطميين الخارجية، ص 120.

(4) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي، ص 213.

(5) محمد سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 121 - 122، كذلك ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 361.

الحروب والقتال ، لأن الفاطميين أدركوا حجم الأخطار المحيطة بهم، من قبل الدولة البيزنطية، دخلت قوات الفاطميين في مواجهة عنيفة مع البيزنطيين . استمرت حالة العداء ما بين الدولة الفاطمية في الشام، والدولة البيزنطية على أشده، ولم يحقق أي من الطرفين النصر على الآخر، وظلت تلك العلاقات العدائية بين الدولتين قائمة، حتى أرسل باسيل الثاني إمبراطور الدولة البيزنطية رسلاً تحمل الهدايا للفاطميين طالبين الصلح والهدنة، فكان لهم ما أرادوا شرط أن يطلقوا سراح أسرى المسلمين. وأن يتبادل مع الدولة الفاطمية في مصر التجارة والهدنة لمدة سبع سنوات. واستمرت العلاقات الودية لمدة ليست بقصيرة فيما بينهما<sup>(1)</sup> وهكذا ازدهرت الأحوال وانتقلت مصر إلى عهد جديد من الرخاء والازدهار وتوطدت أركان الدولة الفاطمية وامتد نفوذها وسلطانها إلى ما وراء الحدود والبحار.

أصبحت الدولة الفاطمية في حالة من التوسع السياسي ، استتحد أهل دمشق بالقرامطة حاصة أن جعفر كان قد قطع عن القرامطة الجزية التي اعتادت دمشق أن تدفعها سنوياً، حصروا نفوذهم الاقتصادي والتجاري في بلاد الشام ، إثر امتداد النفوذ الفاطمي عليها ورفض هؤلاء دفع الإتاوة والقروض المقررة للقرامطة على المن الشامية بموجب الاتفاق أيام الإخشيديين<sup>(2)</sup>.

وكانت هذه الحملات الشرسة أغلبها تحت قيادة القائد الحسن القرمطي، الذي وضع نصب عينيه قتل القائد الفاطمي جعفر بن فلاح، الذي أزعج أهالي الشام وفلسطين بسياساته الحربية<sup>(3)</sup>.

وكان له ذلك عندما تلاقى الطرفان في أطراف دمشق، وأدى إلى مقتل جعفر بن فلاح في 6 ذي القعدة سنة 360هـ / 31 أغسطس سنة 971م.<sup>(4)</sup>

وسند القرامطة من قوة تجمع العناصر المختلفة مثل عنصر الباطنيين وإمامهم المستور، ومن الفلاحين النبطيين الذين لم يتشربوا روح الإسلام كل تشرب، ومن الأعراب الفقراء الذين لمعوا في أساليب السلب والنهب، ومن العمال الفقراء الطامعين بالربح<sup>(5)</sup>. ولقد وجد القرامطة في بلاد الشام مرتعاً خصواً لمبائيم، وقد

(1) حسن إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص 284 .

(2) حسن إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص 269 .

(3) حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع ، ص 369 .

(4) ابن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية - ص 85 .

(5) الغش يوسف ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، دار الفكر المعاصر ( دمشق 1982 ) ط 1 ، ص 163 .

استغلوا أوضاع بلاد الشام للمتغيرة لمهاجمة الفاطميين في مركزهم الجديد، وإعادة المحد الذي صاع منهم نتيجة لتحول الدولة العباسية<sup>(1)</sup>..

وقد استمرت حملات القرامطة بعد ذلك في أشكال مختلفة، نقص مصحح الفاطميين إلا أنها كانت بصورة أضعف مما قبلها<sup>(2)</sup>، واستمر الخطر القرمطي حتى عندما تسلم الخليفة العزيز بالله الحكم، الذي وجد الشام وفلسطين في مهب الريح تتقاذفها الأنواء ذات اليمين والشمال والأوضاع العامة مضطربة، والفسوس قلقة، والحكم الفاطمي فيها لا يكاد يتوطد حتى يتقلص<sup>(3)</sup>، وفي عهد العزيز بالله تعاظم خطر القرامطة الذين استعصى أمرهم على أبيه المعز بالله من قبله<sup>(4)</sup>، وعلى الرغم من كل هذه الظروف التي كانت تحيط بالدولة الفاطمية الأولى إلا أنها حققت تقدماً اقتصادياً وتجارياً سواء من الناحية الاقتصادية والتجارية

ولقد عمل الفاطميون بكل الوسائل السياسية والمهادنة على التمسك بالشام، وبدلوا في ذلك جهوداً مضنية للاحتفاظ بها على الرغم من الدسائس المحيطة بهم من قبل أعدائها، وغدت لبلاد الشام طريقاً لجبهتين حربيتين، العباسيون وقواهم في بغداد، والبيزنطيون في القسطنطينية، وهؤلاء لم يغيروا استراتيجيتهم نحو الفاطميين طوال العصر الفاطمي<sup>(5)</sup>، وبما أن الخليفة الفاطمي العزيز كان هدفه منذ بداية ولايته أن يصل حكمه إلى كافة بلاد الحجاز، والشام والعراق، فاهيك عن شمالي إفريقيا لذلك حاول منذ بداية حكمه استخدام كافة الأسلحة، بوضع نفوذه على هذه المناطق، بما في هذه الأسلحة استخدام السيف والتمل<sup>(6)</sup>.

وتعتبر هذه السياسة التي اتخذها الخليفة الفاطمي، مجدية لحد كبير، وذلك نتيجة لاختلاف الأحظار المحدقة بدولته، باختلاف الولايات التي أحيطت به، سياسة اللين والشدة دلت على سعة فكره وحنكته السياسية.

وفي الوقت الذي اعاد الخليفة العزيز بترتيب جيوشه، ومزجيد باسودسين والمعاربية خوفاً من الانقلاب من عنصر واحد، كان القرامطة قد اشتدت قوتهم

<sup>(1)</sup> محمود، حسن حمد، حضارة مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، ص 157.

<sup>(2)</sup> محمد عرافي، الدولة الفاطمية والدولة العباسية، ص 58.

<sup>(3)</sup> عارف نصر، الخليفة الفاطمي العزيز بالله، ص 10.

<sup>(4)</sup> حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ج 3، نفس المرجع، ص 158.

<sup>(5)</sup> ريوود محمد، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني في نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر، بيروت 1992، ص 30، كذلك، أرشيبك / القوى البحرية والتجارة، ص 326 - 327.

<sup>(6)</sup> يوسف العشر، تاريخ عصر الخلافة العنسية، ص 222.

بمهاجمة دمشق في سنة 358هـ/968م، وقاموا بالاستيلاء عليها، وحتى أنهم فكروا بالاستيلاء على مصر لولا قوة الفاطميين، وقوة بأس المغاربة المدربين على القتال الصحراوي.

وعندما أحس الفاطميون بالخطر وبعد أن جرت تأسيس عساكرها، لذلك حاولوا ميل كفة حسان بن الجراح للطائي الذي كان مختلفاً مع بن الأعصم، والذي منحه الفاطميون مبلغ مئة ألف دينار لقاء انسحابه من التحالف، ولما دارت الحرب بين الطرفين انسحب الطائي مع قواته وترك ابن الأعصم مع جنده، مما جعله وحيداً أمام الهجمات الفاطمية للمنظمة وفر بن الأعصم إلى البحرين، حيث عاد إلى موطنه الأصلي تاركاً الأمير القرمطي أبو المنجا يحاول الصمود مع بعض الجنود القلائل<sup>(1)</sup>.

بدأ الفاطميون في الاستقرار في الشام، بعد أن أرسلوا القائد الفاطمي للقضاء على كافة الفتن القرمطية وبالأخص أبي المنجا القرمطي، الذي تم القبض عليه، هو من معه، ثم أرسل إلى الحليفة الفاطمية، وكان في ذلك تفوق للفاطميين ممزوج بالدهاء والفتنة السياسية<sup>(2)</sup>، ويفهم من خلال ذلك أن الحروب السياسية، التي جرت ما بين الدولة الفاطمية والقرامطة على الرغم من أنهم من عرق واحد، يرجع بحيثياتها إلى التدخلات المتكررة للفاطميين في الشؤون الداخلية للقرامطة الداخلية، وتشجيع المنشقين عن الدولة، وهذا ما أثار حفيظة القرامطة، وبعض القبائل المدورة، والتي رفعت راية الصد في وجه سياسة الفاطميين في بلاد الشام<sup>(3)</sup>.

#### الإمارات والقوات المناوئة للفاطميين

كثرت الإمارات والقوات العربية وغير العربية التي رفضت الوجود الفاطمي وأهمها:

#### 1 - بنو الجراح في فلسطين ( بنو طيء )

كانت الشام مليئة بالقبائل العربية، التي أقامت بها بعد الفتح، والتي كانت تحظى بالفرصة لإعلاء شأنها خصوصاً في العصر العباسي الثاني، لما كان للدولة العباسية من ضعف خصوصاً مدينة حلب والتي تعتبر من المناطق العامرة بالفضل<sup>(4)</sup>، وما يحيط بها من قرى زاهرة. وفي أواخر القرن الرابع الهجري، حاول - طيء - تكوين

<sup>1</sup> هشامي، عبد الحميد - موسوعة تاريخ العرب العصر العباسي والفاطمي - دار النشر - بيروت 1966 - ج 1، ص 271

<sup>2</sup> بن حوقل - أبو انقسام الصبيعي - صورة الأرض - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 1938 - ج 1 ص 162 .

<sup>3</sup> عارف تاجر - الحليفة الفاطمية العزيز بالله - ص 23.

<sup>4</sup> لاصطحري المسك والمملاك - حصن السليق - 1961 - ص 46 .

إمارة أو دولة لهم بفلسطين والتي تتبع للنفوذ الفاطمي، ففي عام 288هـ/900 م ثار الفرج بن دعلج بالرملة، وأعلن نفسه أميراً على فلسطين، غير أنه لما علم الفاطميون، بذلك أرسلوا حملة بقيادة حبيب بن الصمصامة الذي خرج إلى الرملة وأحصع ثوارها واستولى عليها وأعادها إلى سيادة الفاطميين، ثم أخذ يطارد ثائرها الفرج الذي طلب الصلح والإمان، فعفا عنه، ثم أخذ ابن الصمصامة بتنظيم الأمر، ويصلح الأحوال قبل عودته إلى القاهرة وقد استكان الأمر لفترة قصيرة، ثم عاد بنو دغلج إذ قام حسان بن دعلج بعمل فتنة في فلسطين عندما فر الوزير أبو القاسم بن الغربي إلى حسان بن مفرج أمير طيء بالرملة، وكان الحاكم بأمر الله الفاطمي قد نقم على المغربي في مصر، بعد أن خلع للطاعة للخلافة الفاطمية، فخرج حسان مع جماعة من الثوار، وزحف على الرملة واستولى عليها، وقتل واليها وعاث في البلاد فساداً.

وكما عرفنا أن الخليفة الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين، يستخلص أمر السلطة بنفسه، حيث كان حكمه فردياً مطلقاً، واستخدم للقتل وسيلة من وسائل الحكم، للتخلص ممن يشك في ولائه وحرصه على أن لا يكون أحد أعلى منه في السلطة، وكذلك القتل لكل من يعيث بالأموال العامة، مع حرصه على إصلاح أمور الدولة بعد أن اضطربت الإدارة الفاطمية، نتيجة الحروب والفتوح التي قامت بها الدولة الفاطمية<sup>(1)</sup>

وقد عرف بنو ضيء والمغربي مدى هذه القوى، لذلك استعانوا بشريف مكة الحسين ابن جعفر الحسيني، محاولين إطماعه بالرئاسة والخلافة، وحثه على الخروج إلى الرملة، عملاً بخطة حسان الذي سيكون عوناً له على تثبيت سلطانه.

أما الشريف الحسيني فقد رحب بالدعوة، وأقام الخطبة لنفسه وتلق بالرائد بالله، وخرج من مكة قاصداً الرملة حسب الخطة المتفق عليها، وكان يصحبه أبو القاسم المغربي وجماعة من أتباعه من قبائل العرب، وعندما اقترب من الرملة التقى به حسان بن المفرج بصحبة أولاده وجماعة من العرب مرحبين ونايعوه بخلافة

أما بالقاهرة فقد وصل نداء خروج الشريف للحسيني عن طاعته، ومبايعته بخلافة وصلح بني الحزاح في هذه العملية، فقد نظروا إلى أشراط مكة أنهم أعداء ويعاملونهم الند بالند.

<sup>1</sup> عبدالمعز الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب، ص 294.

فبدأ الفاطميون يعملون على القضاء على سيطرة بني طيء أولاً، ثم تأديب الشريف الحسيني ثانياً، فأرسلوا حملة إلى فلسطين كي تقضي على سيطرة بن الجراح ، إلا أن هذه الحملة الفاطمية لم يكتب لها النصر بل حلت بها الهزيمة ، وحتى لا يستغل خطرهم أمام الفاطميين، فكر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله باستمالة حسان وقومه وإعرائهم بالمال ، وكان له الأمر عندما خضع له بنو الجراح وبنوا رأيهم في الشريف الحسيني، وخالفوه في سياسته، ولم يذكر لنا الأنصاري أن هذا الاتفاق تم بمعاملة صلح وربما قد تم ذلك عن طريق هبات من المال فقط.<sup>(1)</sup>

وهذا يوضح لنا مدى تمسك السياسة الفاطمية ببلاد الشام على الرغم من مواجهتهم معارضة عنيفة . فقد استمر الفاطميون متمسكون بحكم الشام والعمل على إبقائه تحت سيطرتهم على أن سياسة الحاكم هذه، والتي اشتهرت ببذل الأموال على العناصر المنفصلة لإخضاعهم، وإن كانت قد أثارت سخط المصريين عامة، ساعدت على إقرار الأمن والمحافظة على الآداب العامة، وقضت على العوضى في الشام، التي سادت أواخر القرن السابق للعزیز بالله<sup>(2)</sup>، وبذلك عادت القدس إلى دائرة النفوذ الفاطمي مرة أخرى بعد مجهود مضن من قبل الفاطميين .

وعندما أحس الشريف الحسيني بتغير رأي بني الجراح وخذلانهم له ، قام بإبداء اعتذاره فيم حدث منهم للحاكم بأمر الله، وأرسل له مكتوباً بذلك ، فقبل الحاكم عذره وعفا عنه، ثم أعاد إليه إمارة مكة ، وكان هذا درساً قاسياً له، وحتى يسح الشريف الحسيني أثر ما حدث منه عمل على الإخلاص للفاطميين، وإقامة الدعوة للخليفة الحاكم بأمر الله .

## 2 - الحمدانيون والفاطميون :

عندما فتح الفاطميون الشام، دعا جعفر بن فلاح الحمدانيير إلى إقامة لحطة للخليفة الفاطمي الممر لدين الله، ولم يكتف ببالدعوة تلك بل هددوهم بالانسيلاء على عاصمتهم، واعتبروا هذا بمثابة إهذار يحط من كرامتهم، مما جعلهم يترددون إلى انقراطعة كمنحاً لهم<sup>(3)</sup> .

(1) محمد ربيع . محمد . التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي . مجلة الدراسات المصرية . خصة نمبر 116 .

(2) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام . ص 168 .

(3) حسن إبراهيم حسن . تاريخ الاحياء المبني . ص 358 .

والحمدانيون كان عصرهم الذهبي أيام سيف الدولة الحمداني ولكن في عصر خليفة سعد الدولة بن سيف والذي امتد عصره من عام 356هـ / 381م، ظهر ضعف في الدولة الحمدانية، بسبب أطماع بعض القواد والولاة لديهم ، مما دفع مرعويه وهو أحد أتباع سيف الدولة إلى الخضوع للفاطميين، وإقامة الخطبة لهم<sup>(1)</sup>، إلا أنه كان يسعى إلى تحديد سلطته في البلاد من جديد ، لذلك بعد أن استقر له الوضع جهز جيشاً من العرب وعاليبيتهم من بني كلاب ، ونجح في مسعاه إذ بسط سلطانه على حلب بعد حصار دام أربعة أشهر ، ثم ترك حمص وولى فيها غلامه بكجور التركي عام 366هـ / 976م، وكان رجلاً طموحاً ذو حنكة سياسية حربية، وسريعاً ما استكان في حمص وأصبحت ملاذه من سيده سعد الدولة الذي أصبح من أشد أعدائه، بسبب ميله لسياسة الفاطميين في بلاد الشام<sup>(2)</sup>، ( وامتداد النفوذ الفاطمي إلى الشام برهان على أن مصر لم تكن هدفاً مقصوداً لذاته وإنما اعتبارها قاعدة مفضلة لحراسة بلاد المغرب وجزءاً من المسيرة الكبرى للسيطرة على المشرق وكذلك غدت بلاد الشام بعد ضمها رأس جسر يمتد نحو بغداد العباسية ، وخطاً أمامياً للوقوف ضد خطر الروم المتكالبين في منطقة الثغور ضد المسلمين) ومن هنا يرى أن الحمدانيين كانوا أقل خطورة للفاطميين، على عكس القرامطة الذين كانوا أكثر شراسة في حروبهم مع الفاطميين<sup>(3)</sup>. ويبدو أن الأوضاع المضطربة في المناطق التي تحصص للحمدانيين وسياساتهم، ولتي أدت إلى الاستعانة بعنصر لطالما كان العدو للنفوذ للمسلمين وهو الدولة البيزنطية .

### 3 - البيزنطيون

وبعد تجاوز الفاطميون في الشام خطر الأعراب لم يتمتع دمشق بالهدوء ، فقد أضل الخطر البيزنطي المعروف بمدى قوته، والذي عرف منذ بدايته بكرهه لتوسع المسلمين، بالثغور الشامية حيث أن منعطفاً جديداً في العلاقات، بعد أن كانت الحرب سجالاً بين الطرفين، تأرجحت كفة الروم رغم أنهم لم يحققوا مكاسب مادية مهمة، مستفيدين مما تتعرض له الخلافة الفاطمية من حركات انفصالية في إقليم، وقد أدى ذلك إلى تشتت قوة المسلمين العسكرية<sup>(4)</sup> التي ركزت على إقرار الأمن والنظام في

( ١ ) بن لاثير - العمل في التاريخ ، ج ٨ ، دار الكتب الوطنية بيروت ، 1980 ، ط ٢ ، ص ص 197 ، 19٨ .

( ٢ ) محمد مرور - سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ص 142 ، 143 .

( ٣ ) جمال مرسي - دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط ٢ ، ص 524 .

( ٤ ) ابنوحي - سعيد ، رسول ملك بيزنطة ، مجلة العربي العدد 166 - 1972 ، ص ص 84 ، 85 .



المنطقة وكانت بداية الشرارة للقتال بين الخليفة الفاطمي والبيزنطيين حيث قام والسي فلسطين دعل من الجراح الذي أعطى له الأمن من قبل العزيز حيث أرسل له القائد نيكس التركي والذي بدوره استعان ببعض العزب الناقمين عليه فهرب إلى حمص والتأ إلى واليها بكجور.

وكان للخليفة الفاطمي قد وضع أمام عينيه محاولات البيزنطيين لاستعادة بلاد الشام بتحريض من أعراض معادية للوجود الفاطمي في المنطقة ألا وهم الحمدانيون الذين تطبعوا منذ بداية الأمر من مواجهة القوة السياسية للفاطميين<sup>(1)</sup>، بعد أن عاد أغلب قادتهم وزعمائهم من تقاليد الجزيرة الفراتية البدوية في الموصل، كما أنه لم يستسغوا تصرفات جند الخلافة وشغبهم وقلة ضبطهم الذي فرضته الظروف العسكرية السياسية للفاطميين.

وبداية للوجود البيزنطي في الشام عندما قام الأمير الحمداني أبو الفصائل بن سعيد الدولة عام 384هـ/994م للاستجداد بالإمبراطور البيزنطي باسل الثاني ضد الوجود الفاطمي في الشام والصراع الفاطمي البيزنطي تدرج من مرحلة إلى أخرى والعوامل الأساسية في ذلك الصراع هو العامل التجاري، والتحكم بالطرق المؤدية من وإلى الممرات الساحلية، وذلك رأياً كيف كانت الحالة في الشام صراعاً دائماً بين القوى الإسلامية لمحاولة السيطرة على الشام، مما أدى هذا الصراع إلى تأثير سلبي على الدولة الفاطمية في مصر والشام<sup>(2)</sup>، ولذلك يرى أن للخليفة الفاطمي الظاهر قد عمل على تحسين علاقات بلاده مع البيزنطيين، بعد أن ساءت في عهد والده الحاكم وذلك لعوامل عدة منها الاقتصادية، فقد كان الفاطميون في حاجة ماسة إلى مؤن القمح الذي كان يصل إليهم من قسطنطينية. وفي حاجة إلى تأمين حدودهم مع البيزنطيين، لكي يتفرغوا لمواجهة العدسيين، والسلاجقة الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على نجدت اشرقي للشام وبادر الظاهر طالباً هدنة مع البيزنطيين في سنة 418هـ/1027م حيث وقع الصرفان معاهدة في نفس السنة كانت بتحتها أن قيمت الحطة للظاهر بحامق القسطنطينية وقبل أن يعيد الظاهر فتح كنيسة القيامة وتحببها. ولذا وقع الظاهر معاهدة مع البيزنطيين في سنة 428هـ/1027م. كانت بتحتها أن

<sup>1</sup> لانتاكي : لانتاكي : تاريخ الانتاكي . ص ص 182-180.

<sup>2</sup> أحمد مختار معادي : التاريخ العسقي والفاطمي . ص 328.

أقيمت الحطنة للظاهر في جامع القسطنطينية، مقابل أن يعيد فتح كنيسة القيامة وتحديدها ، وألا يحارب مع أعداء البيزنطيين، وأقيمت معاهدة أخرى بين الطرفين في سنة 427هـ/1036م لمدة عشر سنوات، ثم تجددت في سنة 439هـ/1047م وذلك لاستمرار الاتفاق بين الفاطميين والبيزنطيين (1).

#### 4 - الصليبيون والشام:

كانت الاستعدادات تجري في الغرب الأوربي لتحرك الجيوش النظامية باتجاه الشرق ، وقد جاء الصليبيون إلى المشرق العربي الإسلامي في وقت كان المشرق الإسلامي يموج في انقسامات سياسية ومذهبية ودينية (2) ولقد بدأت فلول الصليبيين تتقدم نحو بلاد الشام بجماعات مختلفة ولأغراض مختلفة إلا أن الهدف واحد وهو الاستيلاء على المشرق كبادرة لمهاجمة أنطاكية ولسببها ونهبها (3)، بعد أن سقطت أنطاكية\* في أيدي الصليبيين عام 491هـ/1097م وباعت محاولات المسلمين في الشام لاستردادها بالفشل.

ولما رأى الفاطميون صعوبة مواجهة هؤلاء المتدفقين ، لذلك حاولوا تحريك دفة الحرب لصالحهم، وذلك باستغلال الوضع لما تواجهه الجبهة العباسية، من حروب ضارية مع الصليبيين الذين توغلوا في أراضيها ، ولكي يتحقق لهم المزيد من الكسب والانتصار على العباسيين ، فطرحوا فكرة جريئة وهي عبارة عن مشروع تحالف مع الصليبيين ضد المعسكر العباسي السلجوقي، على أن يكون الشمال الشامي تابعاً للصليبيين وجوبه من نصيب الفاطميين (4)، فأرسل إليهم الوزير الأفصح بن بدر الجمالي سنة 492هـ/1098م سفارة إلى الصليبيين وذلك لكي يتفاوض معهم حول هذا المشروع وعقد اتفاق معهم لإيقاف الهجمات على الأماكن المقدسة في بيت المقدس (5) وبعد أن قاموا بأعمال تخريبية ويقطع طرق المواصلات التجارية البرية والبحرية بين الشام ومصر (6) .

(1) الانطكي: التاريخ الانطكي . ص 270-271-272 .

(2) عبد الحميد الهلبي - موسوعة تاريخ العرب . ص 376 ، 377 .

(3) محمد حرور - الملوك الفاطمي في بلاد الشام والعراق . ص 66 .

\* أنطاكية وهي المدينة التي تقع على الحدود الشمالية الشرقية وكانت مركز لجيوش الفاطميين في فتح بلاد الشام وبعد سس هذه المدينة انطوغلونيا على نهر اورنطي وأسماها علا ونوه أنطوقيا وطولها 69 وعرضها 35 عر حموي كتاب بس ج (1) ص 316 .

(4) حبشي - حسن . الحروب الصليبية الأولى . القاهرة 1947 . ط 1 ، ص 53 .

(5) ريو - محمد . دراسات تاريخية . مجلة عمية تصدر عن جامعة دمشق ، دمشق . العددان 57 ، 58 . 1968 ص 125 .

(6) حسن حبشي . حروب الصليبية الأولى . ص 54 .

والفاطميون منذ البداية حرصوا على أن يتمحور الوجود الصليبي فقط داخل أنطاكية وأن تستقل مصر بيت المقدس وعلى أن يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وأن يكون لهم الحرية في أداء شعائرهم الدينية ، كما نص العقد بالألا تريد مدة هذه الزيارة عن شهر واحد ولا يحطوها بسوقهم<sup>(1)</sup> . وبما أن الصليبيين عندما مروا بالقسطنطينية للراحة وهم في طريقهم للمشرق ، قام الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين بنصحهم بمحاولة مخالفة الفاطميين في مصر ليكونوا لهم سنداً ضد السلاجقة في بلاد الشام وشمال العراق مما يتح لهم التقدم أكثر. غير أنه من المعروف أن الصليبيين هم جماعات متفرقة ومذاهب مختلفة فلما نصح الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين الصليبيين بمخالفة الفاطميين ليكونوا لهم سنداً ضد السلاجقة في الشام ، لم يأخذوا الأمر بمحمل الجد في بداية الأمر ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من السير والاستيلاء على بيت المقدس التي كانت خاضعة للفاطميين الذين قاوموا الصليبيين عن طريق حامية إسلامية فيها غير أن قائد الحملة الصليبي جود فروي ما لبث أن وجد منفذاً له فيها وبذلك تيسر له فتح أبواب المدينة ، مما اضطر بعض المسلمين إلى الاعتصام داخل المسجد الأقصى ، وعندما قبض عليهم الصليبيون نكلوا بهم<sup>(2)</sup> . وبذلك تمت سيطرتهم على أهم معقل إسلامي في فترة وجيزة ولم تلبس سنة 510هـ/1116م حتى أقام الصليبيون عدة حصون وقلاع أهمها الشريك والكرك، التي اتخذوها مراكز للهيمنة على الطرق، ومهاجمة القوافل المتجهة من مصر إلى فلسطين، ومنها لبقية مدن الشام . كما أكمل الصليبيون سطوتهم باحتلال العقبة، وأشرفوا على شبه جزيرة سيناء في مصر. لم يقف الفاطميون مكتوفي الأيدي أمام الهجوم الصليبي على بلاد الشام، وزحفهم على بيت المقدس، لذلك قام الفاطميون بتجميع جيوشهم، وكانت البداية بحملات متفاوتة الحجم وبعد التقاء الطرفين ، انتصر الصليبيون على الفاطميين في عسقلان، ويعتبر هذا الانتصار بمثابة الضربة الميسرة للاستيلاء على إقليم الحليل. لعدم وجود مقاومة إسلامية. ووضع الصليبيون حامياتهم في المدن الرئيسية مثل بيت لحم ، الخليل والزملة ويافا ونابلس وطبرية<sup>(3)</sup> ، وبدوا أن

(1) محمد سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 67.

(2) محمد سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 68.

(3) عبد الحليم نهاسمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 380.

أعمال الصليبيين الحربية، والتي اتسمت بالوحشية ضد المسلمين في بلاد الشام جعلت المقاومة الإسلامية تشتد في جنوب الشام، وأعد الفاطميون جيشاً كبيراً تقدم لمهاجمة بيت المقدس، وفي نفس الوقت كان القائد الصليبي بلدوين مستمراً في قتال المسلمين في الشام، الذين أبدوا مقاومة عنيفة، وكاد الفاطميون أن يحققوا النصر ضد الصليبيين في يافا عام 509هـ/1115م، مما جعل الفاطميين في مصر يتركون حجم الكارثة التي التفت حول سياستهم في بلاد الشام، والتي حثت من نشر مفاهيمهم وأعاقت سياستهم هناك، بل تهدد وجودهم حتى مصر كافة، والأراضي التي فتحوها الآن ولكي يثبت الفاطميون للقادمين مدى قوتهم، ولكي يسيطروا نفوذهم على كافة الشام، حاولت بعض قوات الفاطميين، الرحف إلى حلب، وجعلها مقراً لهجومهم ضد الصليبيين الذين أظهروا قوة شديدة نحو الفاطميين<sup>(1)</sup>. فقد قاد القائد بلدوين قوة صغيرة مؤلفة من مائتين وستة عشر فارساً، عبر بهم صحراء غزة إلى منطقة العريش، ومنها إلى داخل الحدود المصرية، حيث بدؤوا يعيشون فساداً حتى وصلوا إلى منطقة بورسعيد<sup>(2)</sup>. ولم تضي فترة طويلة حتى ارتد بلدوين إلى مركزه في بيت المقدس عام 511هـ/ حيث ألم به مرض وتوفي عند وصوله إلى الرملة، وتولى من بعده أحد قواده الذي لقب ببلدوين الثاني، وبما أن الفاطميين مدركين للخطر المتجدد لهم من قبل الصليبيين لذلك قام الوزير الأفضل بمحاولة أخرى وهي مد جسور التعاون ما بين القاهرة ودمشق، وذلك بوضع قوات الفاطميين في عسقلان\* تحت تصرف المسلمين في جنوب المقدس<sup>(3)</sup>.

وأدرك بلدوين الثاني مدى خطورة هذا التعاون، لذلك حرص على الاستعداد بالصليبيين في أنطاكية وطرابلس، كذلك عمل على تركيز قواته وجيوشه المحاربة في شمال عسقلان، لفترة طويلة قبل أن يعود بعدها إلى بيت المقدس، مما تاح الفرصة إلى الوزير الأفضل لمد العلاقات الودية بينه وبين أهالي دمشق لمناهضة الصليبيين<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> الصوري ونيم، تاريخ الأعمال المنحرفة فيما وراء النحر، دار الهلال للنشر، بيروت، ج1، ص 549، 550.

<sup>(2)</sup> ابن خلدون، سيرة النعمان، ج5، ص 171.

\* عسقلان مدينة تقع على ساحل البحر غرب فلسطين بالقرب من مينى غزة ولطالما كانت مقصد الدعاة الفاطميين ونصارى الشام من حصون في الأراضي والعيال المشجرة كذلك تميزت بقوة المياه، انظر النعماني، ص 59.

<sup>(3)</sup> الصوري، تاريخ الأعمال، ج1، ص 567.

<sup>(4)</sup> عبد المعين النعماني، تاريخ العرب، ص 390.

وهكذا سرعان ما أصبحت الحرب بين الطرفين سجلاً حسب الظروف المحيطة بالمنطقة دون أي انتصارات تذكر من قبل الطرفين .

ويعتبر هذا الوضع مؤثراً على مصالح المسلمين ليس في الدولة الفاطمية فقط بل في كافة أنحاء البلاد الإسلامية . وهكذا أصبحت الحرب بين الطرفين سجلاً حسب الظروف المحيطة بالمنطقة، دون أي انتصارات تذكر من قبل الطرفين ، وتأثرت مصالح المسلمين في كافة المناطق الإسلامية، لما يربطها من مصالح تجارية ودينية مشتركة لذلك ارتفعت الأصول في مصر منادية بالجهاد ضد الصليبيين<sup>(1)</sup>.

ويمكننا أن نلاحظ أن ذلك أوجد صحوة، وتقارباً سياسياً وعسكرياً بين أتباع الفاطميين والعباسيين ضد الهجمات الصليبية، التي أصبحت أكثر عنفاً وأشد شراسة، وقد حقق توسعاً في هذه المنطقة ، وقتل الفاطميون نحو حوالي أربع مائة مقاتل وأسروا نحو ثلاثمائة منهم .

ومهما يكن من أمر ندرك من خلال هذه الأحداث أن هناك تحولاً في العلاقات بين أتباع العباسيين والفاطميين ، وأن كلا الطرفين قد أخذ يعي ويفهم حقيقة الموقف ، وبأنه لا يمكن مواجهة الصليبيين ، وحماية البلاد الإسلامية وهم بهذا الوضع المتأخر .

ولقد تهيأت الظروف بعد ذلك لملك بيت المقدس الجديد بلديون الثالث سنة 548هـ/1153م لمهاجمة عسقلان، بعد أن حاصرها بضعة أشهر ، والتي كان الفاطميون يمدون عسقلان بالمعونة عن طريق النهر<sup>(2)</sup> ، بواسطة مراكب بحرية، ومع استمرار الضغط على عسقلان، واستمرار القصف اضطرت الحامية الإسلامية في عسقلان إلى الاستسلام . بشرط خروجهم آمنين من المدينة وكان لهم ذلك .

ومن هنا كان لسقوط عسقلان بأيدي الصليبيين الأثر السيئ في نفوس الفاطميين، فقد كان آخر معقل للمسلمين في الشام ، مما لاشك فيه أن الخلافة الفاطمية في أواخر القرن الخامس الهجري لم تكن في وضع يساعد على العودة إلى بلاد الشام . واستعادة مدينتها التي سقطت في أيدي الصليبيين . فقد أصبحت مصر في حالة من نفوضى مما أثر على عواطفها العسكرية والسياسية في مناطقها التي تخفي في

<sup>(1)</sup> عبد الحميد الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 393 .

<sup>(2)</sup> عبد الحميد الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 394 .

العصور السابقة ،ومما لا شك فيه أن الدولة الفاطمية في بلاد الشام هي السبب في الوجود الصليبي فيها من خلال المعاملات التي استخدمها قوادهم مع الصليبيين، من حيث السفارات المتبادلة التي أطلقت الصليبيين على حقيقة مصر وبلاد الشام، وما يجري فيها عن كثب، مما أطمع هؤلاء القوم ، ويبدو أن هذا المشروع هو الذي دفع أغلب المؤرخين إلى اتهام الفاطميين بأنهم السبب في قنوم الصليبيين إلى الأراضي الإسلامية<sup>(1)</sup>

## المبحث الثاني

### الوجود الفاطمي في الحجاز

كان لقيام الخلافة الإسلامية في جزيرة العرب أثر كبير في وحدتها السياسية ولم تنقص فترة إلا وعاد التفكك والانقسام، بعد فتنة علي وعثمان (رضي الله عنهم) وانتقال الخلافة من المدينة إلى الكوفة، ومنها إلى دمشق في عهد الأمويين، ومنها إلى بغداد في عهد العباسيين، ثم انقسمت إلى ولايات ودويلات مستقلة، والجزيرة بصفة عامة إقليم حليل بنفسه شريف بسكانه وأهله<sup>(1)</sup>.

وتعتبر بلاد الحجاز أصل العرب، مركز العصبية، ومقر الحرمين الشريفين، والخليفة الشرعي في نظر المسلمين أصلاً هو حامي حرمي الحرمين في مكة والمدينة، أما بالنسبة للأوضاع السياسية لبلاد الحجاز فلم تكن مستقرة، لما تعرضت له من فتن وثورات أحاطت بها وأهمها محاولة العلويين لبسط نفوذهم في اليمن والحجاز، كما كان للقرامطة دور سياسي في ذلك، عند توليهم البحرين واليمامة وعمان، وهذه الأحداث السياسية كان لها الأثر السيئ في كافة جزيرة العرب، مما جعلها في شبه عزلة من الناحية العلمية والمادية والسياسية لذلك نجد أن استمرار الحركات والاضطرابات المناهضة للخلافة سائدة خلال العصر البويهي، كما نجد أن العامل الديني له دور من خلال الفتن الطائفية المذهبية والتي خفت بصورة ملموسة عن ذي قبل في أواخر هذا العصر من خلال محاولة العديد من الخلفاء اتباع سياسة متوازنة بين الطوائف الدينية التي انتشرت في العراق والشام والحداد واليمن وهذا ما أثبتته ابن خلدون حين ذكر أن الخلفاء الفاطميين حرصوا على بسط نفوذهم على هذه المناطق المقدسة حتى يكون حكمهم مكتسب صفة شرعية في كفة المطلق الإسلامية<sup>(2)</sup> وحرصهم على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لوجوبه بالقرار<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ابن حوقل، أبو الفاسد التنصبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1938، ص 14.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 228.

<sup>3</sup> محمد عبد نحوي، مغربيات ومشرقيات، ص 32.

أما بالنسبة للفاطميين، فقد كان همهم هو السيطرة على وسط الجزيرة العربية (الحجاز) \* باعتبار أن أمير المؤمنين الحقيقي هو من كان ملكاً للحرمين قبله المسلمين جميعاً وخاصة أن بلاد الحجاز تعتبر مكاناً مقدساً لدى الفاطميين لوجود قبر فاطمة الزهراء بالمدينة<sup>(1)</sup> ومنذ بداية عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بدأ الفاطميون يهتمون بسط نفوذهم في بلاد الحجاز، متخفين من النزاع الذي تشب بين الحسن وبني جعفر بن أبي طالب فرصة وخريجة للتدخل في شئون بلاد الحجاز<sup>(2)</sup> وقد كان يفهم بالمدينة بعض أفراد من بني الحسين بن علي، الذين أخذوا يتحينون العرص للاستقلال بولاية الحجاز، كما فعل من قبلهم بنو سليمان بمكة، غير أن قوتهم السياسية لم يساعدهم على تنفيذ مخططاتهم<sup>(3)</sup>.

وفي سنة 358هـ/968م استولى حسن بن جعفر الحسني على مكة، وخطب للفاطميين والخليفة المعز على منابر مكة بعد أن حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة، وإقامتها للمعز في كل من المدينة ومكة. وعمل الخليفة المعز على توطيد أركان هذه السيادة<sup>(4)</sup>، وبذلك انتشر النفوذ الفاطمي في بلاد الحجاز كافة، تحت راية حسن الحسني وسياسة الفاطميين، الذين أولوا هذه البلاد أهمية تكاد تغيب المدن التي فتحوها، لما لها من مكانة خاصة عندهم<sup>(5)</sup> زعيم أن التشيع الفاطمي لم يلق في الحجاز مثل النجاح الذي لقيه في اليمن، أو في البر الغربي من الخليج الفارسي، وذلك بسبب الخلفاء السنيين بالسيطرة الإسمية عليه، حيث أن المسلمين السنيين كانوا على الرغم من التعاون السياسي مع الدولة الفاطمية، إلا أنهم كانوا يدركون مدى أهمية الكعبة الشريفة إحدى القنيتين لديهم لذلك لم يسلموا بالسيطرة الجديدة والتي تختلف من الناحية المذهبية عنهم<sup>(6)</sup>. وقد أخذ الفاطميون هذه الأسباب بعين الاعتبار، مستغلين وضع الحالة السياسية للحلافة العباسية التي كانت في هذا الوقت في عسرة فوصي الأثرأك، مستفيدين من قيام دويلات صغيرة انضمت لهم مؤسسين حكمه سياسياً دينياً

\* الحجاز، وهي أحد معاقل العقيدة الإسلامية ويعتبر أحد الأماكن المحققة لدولة الإسلامية. وتعتبر مدب. عمرة فيها كثير من الأماشي الذين يقتطعون فيها وكما يعتبر الحجاز أحد مناهل العنود الدينية المعيزة وتميزت هذه السنة بميلها الشافعية والمعروفة بقصور بني هاشم. انظر: تيقوي: كتاب الشافعية، ج 6، ص 75

(1) عبد المعص ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص 215

(2) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية في مصر، ص 238

(3) الخميني: محمد عبد المتعبد - معجم الجغرافي للروضة المعظم في خير الاقطار - مكتبة ليد - (مروت)، 1975 ط 1 ص 379

(4) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص 238

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام، ج 4، ص 237

(6) عبد المعص ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص 215



خلفاً جديداً، وأصبح للعالم الإسلامي منطقياً معظمه تحت سلطان الدول الشيعية، مثل بني بويه والقرامطة والحمدانيين والفاطميين والزيديين في جنوبي الحريرة<sup>(1)</sup>. وعلى الرغم من التزعزع الديني بين أشراف مكة والفاطميين من حيث المذهب، إلا أن الخطبة استمرت تقام للفاطميين والخليفة المعز لدين الله العظمي حتى توفي في سنة 365هـ/975م<sup>(2)</sup>، وبعد أن انتقلت الخلافة الفاطمية من بعده إلى ابنه العزيز بالله انقطعت الخطبة للفاطميين في مصر حيث كانت المهمة الرئيسية للعزيز هي إعادة الهيكلة العسكرية، وقد جعله هذا الأمر يتغاضى عن بعض المصالح المفتوحة للفاطميين، وعن المد المالي لها. بالإضافة إلى هجوم القرامطة في مصر والشام، وقد ظلت الخلافة في بداية عهده مزعزعة واستمرت القطيعة لفترة طويلة، حيث دعا أشراف مكة للعباسيين من جديد مرحبين بعودتهم إلى بلاد الحجاز وما جاورها وبذلك قطع أشراف مكة والمدينة وكافة أرجاء البلاد الخطبة نهائياً للعزيز وخطبوا للخليفة العباسي الطائع الذي استغل الوضع السياسي للفاطميين وما تعانيه دولته من جراء انتقال الخلافة، غير أن الخليفة الفاطمي العزيز بالله أخذ بعد أن وطد أركان دولته، في ترسيخ نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز، فأرسل في عام 367هـ/977م القائد المغربي بإدريس ابن زبدي الصنهاجي أميراً على الحج، واستولى هذا القائد على الحرمين وأقام الخطبة من جديد إلى الخليفة الفاطمي العزيز بأمر الله<sup>(3)</sup> وأتبع ذلك بقوة عسكرية حامية. ويذكر أن العباسيين بعد استعادة الفاطميين لسلطانهم توجهوا إلى اليمن، وملكوا عدة مدن من بينها عدن. غير أن هذا لم يستمر طويلاً بعد أن لحق بهم أتباع الفاطميين في الحجاز<sup>(4)</sup>.

لجأ العباسيون بدورهم إلى استخدام القوة لاستعادة نفوذهم في الحجاز. فقد قام عصد الدولة النوبختي في سنة 368هـ/978م بإرسال قوة عسكرية إلى مكة، في محاولة لإجبار أشرافها<sup>(5)</sup> الذين كانوا أصحاب السيادة في ذلك الوقت من حث الخزائن والعطايا لأهل هذه المدينة<sup>(6)</sup> ولقد نجح العباسيون في السيطرة على مكة، وإحصاع

<sup>(1)</sup> يوسف الشحر، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص 228

حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية في مصر، ص 238

<sup>(2)</sup> محمد سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 24

عبدلنقي الدين حمد، انعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مؤسسة الرسقة ج 1، ص 442

<sup>(3)</sup> عبدالمعز الهاشمي، عبدالمعز، موسوعة تاريخ العرب العصر العباسي، الفاطمي، دار الجار، بيروت 2006 ط 1، ص 284

<sup>(4)</sup> أسهم، محسن، الطبري وتاريخ مكة، دار للكتاب الجامعي، القاهرة، ج 1، ط 1، ص 93

أهلها للسيادة العباسية، وأطلقوا للحيلات للضعفاء في مكة والمدينة وما جاورهما بعد أن تغلغل المذهب الإسماعيلي بين الفقراء منهم، وطوال عدة شهور استمر هذا الوضع السياسي في المدينة ومكة بعيداً عن متناول الفاطميين، ومن المعروف أن من يسيطر على مكة يحكم في أمورها الاجتماعية ومن يتولى القضاء بمكة والخطابة بها يصح أحد أشرافها الأمراء، ومثال ذلك القاضي محمد بن جعفر بن محمد الحسني الذي ظل طوال السيادة العباسية الثانية مسانداً للنفوذ الفاطمي مستفيداً من فقهه وحسن قوله في المراوغة لدى الفقهاء العباسيين<sup>(1)</sup> وبفضل هذه الدعوات الخاصة والمناذية لهم، تشجع الفاطميون للعودة لهذا البلد لما له من أهمية فقام الخليفة الفاطمي العزيز في سنة 380هـ/990م بحملة عسكرية حاصرت مكة والمدينة اللتين كانتا في حالة من الفقر والاحتياج مما جعل العباسيين يتراجعون. واستولى الفاطميون على مكة ثم المدينة\* وبذلك انقطعت الخطبة للعباسيين في الحجاز، وعادت للفاطميين من جديد<sup>(2)</sup>، تحت سيادة خليفته العزيز الذي كان منصفاً لرعيته دائماً، مثل أبيه المعز، لذلك نرى أن إعادة الدعوة له لم تكن صعبة، لما له من صيت لدى أهالي الحرمين، الذين رحبوا به من جديد.

ولعل استرداد الفاطميين لسيادتهم على بلاد الحجاز بعد أن انقطعت لفترة، يعود إلى فضل العزيز على بلاد الحجاز الذي كان يعنق عليها بالخيرات خصوصاً أشراف مكة حيث كانت تصلهم الكثير من الأموال واليدايا الوفيرة، من الفاطميين، بالإضافة إلى الأغلال من الشعير والقمح و الدقيق والزيت وسائر الحبوب التي كان يفتقر إليها إقليم الحجاز، كما كان الفاطميون يرسلون كسوة الكعبة مرافقة مع هدايا للأمراء المكيين<sup>(3)</sup> ولقد تميزت كسوة الكعبة التي كان يرسلها الفاطميون بأنها من الحرير الأحمر وثبت فيها الأهلّة من الذهب، وكتبت فيها آيات الحج بزمرد أخضر، ورصعت بالدرر كيص الحمام، والبقوت الأحمر والأصفر والأزرق، كما بخرت الكسوة بالمسك. وقبل أن يتم إرسالها تعلق في العاصمة الفاطمية القاهرة لكي يشاهدها أهالي مصر<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> مكي: العقد الثمين - ج 1 - ص ص 438 - 439.

<sup>(2)</sup> المدينة - وهي التي سماها رسول الله عليه الصلاة والسلام: طيبة في مستوى الأرض - غنية جارية جبة ولها جبين إذا دعا أحد والآخر عبد وأهلها من المجاهدين مع الرسول والتابعين له وقبائل العرب من كنانة ومريضة - عن البطوني كتاب البلدان - ج 6 - ص 76.

<sup>(3)</sup> حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام - ج 4 - ص 238.

<sup>(4)</sup> عبد الحميد الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب - ص 284.

<sup>(5)</sup> عبد المسعد ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها - ص 218.

وكان دور الخليفة العزيز هو الإشراف بنفسه على ذلك، بالإضافة إلى وزيره يعقوب بن كلس الذي لعب دوراً كبيراً في مراسلة الحجازيين، والمحاولة الدائمة لاستمالتهم لدار الخلافة في مصر، بالإضافة إلى مهامه الأخرى في الدولة كالمالية، وموارسة الإيرادات والمصروفات، وفرض الضرائب أو إسقاطها والإشراف على دواوين الحكومة<sup>(1)</sup>.

ولقد تدفق العديد من الحجاج المصريين بسبب هذه العلاقات الطيبة والسيادة الفاطمية على بلاد الحجاز واستمر أمير مكة عيسى بن جعفر يقيم الدعوة للفاطميين على منابر مكة كذلك كان أمير للمدينة طاهر بن مسلم موالياً للفاطميين ومرحباً بدعوته في المدينة لهم والذي كان أول أمير من بني الحسين يستقل بالمدينة المورة، وظل كذلك حتى توفي في سنة 381هـ/991م فخلفه ابنه الحسن بن طاهر الذي سار على نهج أبيه في اعترافه بسيادة الفاطميين على المدينة.

وعلى الرغم مما بذله العباسيون في عهد الخليفة القادر بالله من جهود وما أنفقوه من أموال لكسب بني الحسن وقطع الخطبة للفاطميين، الذين أثبتوا سيادتهم على كافة مدن الحجاز<sup>(2)</sup>، وعلى الرغم من وفاة أمير مكة في سنة 384هـ/994م، وتولى من بعده أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر، إلا أن ذلك لم يغير الوضع السياسي، فقد اتبع هو الآخر سياسة أتباعه في موالاة الفاطميين في مصر<sup>(3)</sup>، وفي ذلك الوقت عندما أدرك الفاطميون بأن بني الحسن في مكة موثوق بسياساتهم تجاههم، بدأوا بتوطيد أركان دولتهم خارجياً وداعلياً، فقد عمل الخليفة العزيز بتشكيل الوزارة وجعل الدواوين مرتبة تراثياً متقناً، كما وضع أصول الأئمة والمظاهر العظمة للخلافة، لذلك أثبت العزيز لشعبه مدى قدرته في كيفية استخدام المال والسلاح معاً<sup>(4)</sup> وبعد ذلك أرسل العزيز إلى مكة أحد ولاته، وهو العبيدي من مصر إلى مكة نائباً عنه والذي كان من المتشددين في مكة حريصاً على نفوذ الفاطميين ومذهبهم<sup>(5)</sup>.

(1) الحروب في العزيز بالله الفاطمي، ص 79.

(2) حسن إبراهيم حسن الدولة الفاطمية، ص 238.

(3) محمد سرور سياسة الفاطميين الخارجية، ص 25.

(4) يوسف العثري، الخلافة العباسية، ص 221.

(5) دحلان، أحمد بن زبيد، خلافة الكلاذ في بيت أمراء البيت الحراني، مكتبة الخليل الأثرية، القاهرة 1477، ص 16-17.

\* ببس هي مدينة تقع بين الشام ومصر التي تبعد عن القسطنطينية عشرة فراسخ ولها عرق مخرج من بلاد مصر ومنها بلاد وند.

فتحت عن يد عمرو بن العاص بن مقر بن ثعلبة الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 467.

وفي سنة 386هـ/996م توفي الخليفة الفاطمي العزيز في مدينة بليس\* وهو في طريقه إلى الشام أثناء صد غارات البيزنطيين ولقد خلفه ابنه والملقب بالحاكم بأمر الله على خلافة الفاطميين<sup>(1)</sup>، وكان العزيز مشهوراً بعبوره الطرق الشامية للوصول إلى الشام وذلك بسبب أمنها على نفسه وعلى جنوده وأشهرها طريق من حلب إلى الرقة ومن حلب إلى الناعورة<sup>(2)</sup>، وبذلك انتهت فترة كثرت فيها النزاعات والفتوحات الفاطمية ممهدة لعصر جديد فقد حاول الحاكم بأمر الله منذ البداية أن يسطر بعوده على الأراضي التي حكمها والده العزيز، لذلك نراه يصدر مرسوماً يعين فيه ولاته في أجناد الشام والحجاز وبلاد المغرب وهو نفسه قد للحسين بن علي بن العمال القضاء في مصر، وغيرها من الأعمال التي دلت على ذهن متفتح ورغبة في إحقوق الحق وتنزيه القضاء والقاضي.

وقد اختلف طبع الحاكم بأمر الله . فقد كان رجلاً كثير التردد عاطفي النزعة قاسي<sup>(3)</sup>، ولاشك أن هذه القسوة تجلت في بعض القوانين التي أصدرها بعد أن وجد ميل المجتمع المصري إلى كثير من الترف والمرح والسير في الليل والانصراف إلى المغاني والطرب، فمنع التجول ليلاً من الغروب إلى الفجر ونفى المفتيات ومنع خروج النساء، أو التطلع إلى النوافذ. ويرجع هذا التشدد من قبل الحاكم بأمر الله إلى تصوفه، بالإضافة إلى أن الخلافة الفاطمية خلافة مذهبية يقوم سلطانها السياسي على صفة الإمامة الدينية، لذلك أحاط الحاكم بأمر الله نفسه بهالة من الفضائل والحاصل القويمة<sup>(4)</sup>.

حرص الحاكم بأمر الله منذ توليه الحكم في مصر على إكمال الدعوة في مناطق الإسلام كافة، بإصدار التشريعات الدينية وتوزيعها على الولايات مستحماً الشدة لحمل الناس على اعتناق المذهب الشيعي، والضغط على السنيين بإبعادهم عن المناقشات الدينية والحواس فيها<sup>(5)</sup>، لذلك نراه قد أرسل إلى صاحب مكة أبو الفتح الحسن بن جعفر سحلاً ينتقد فيه الصحابة رضي الله عنهم، وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يأمر الخُصيب أن يقرأه على المنبر، وعندما نقى ذلك في الموسم

(1) أحمد مختار العبادي - التاريخ العربي والفاطمي ص 283

(2) لأدريسي أبو عبد الله بن محمود - تزيين بزفة المشتاق في احتراق الأفق - عالم الكتب للنشر بيروت 1989 ج 2 ص 649

(3) محمد حماد ، الوثائق السياسية والإدارية ، ص 36-37

(4) أحمد مختار العبادي - تاريخ العربي والفاطمي ، ص 286-287-288

(5) أحمد مختار العبادي ، التاريخ العربي والفاطمي ، ص 287

وحضر الحجاج تداعت العرب من حوالي مكة واجتمعوا في المسجد انكاراً على ما سمعوه، ولما كان الخطيب على المنبر زحف الناس زحفاً واحدة بالحجارة والعصي على المسر الذي كسروه، وكان يوماً عظيماً، ومنذ ذلك الوقت لم يتجرأ أحد على المساس بالرسول أو الصحابة في بلاد الحجاز<sup>(1)</sup>.

شجعت هذه الحادثة خصوم الدولة الفاطمية في المنطقة على حوض عمار المنافسة من جديد، فخرى الخليفة العباسي القادر بالله يرسل أبا الفتوح الحسن ويطلب منه الدخول في طاعته، وأغراه بالمال والخلع التي بعثها إليه، كما وعده بأن يعمل على إبقاء الحكم في مكة ورثاً لابنيه من بعده، غير أن أمير مكة أبو الفتوح رغم هذه الإغراءات المالية والسياسية أبي تحقيق رغبة الخليفة العباسي القادر وبعث إليه بأن الخطبة في مكة تقام للخليفة الحاكم بأمر الله ولن تكون لسواه<sup>(2)</sup>، وربما يرجع رد فعل أمير مكة أبو الفتوح لعدة أسباب أهمها أنه كان في بداية حكمه وأنه كان يخشى قوة ونفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز خصوصاً من أعوانهم في المدينة.

كان لهذه السياسة التي اتبعتها الحاكم بأمر الله في بلاد الحجاز، رد فعل عنيف من قبل أهالي السنة في شمال أفريقيا الذين لطالما ساندوا الدولة الفاطمية ممثلة في ثورة "أبي ركة" في برقة بقيادة الوليد بن هشام الذي لقب بأبي ركة لأنه كان يحمل ركة ماء دائماً معه لوضوئه<sup>(3)</sup> وعند سماعه بتصرفات الحاكم حول حادث مكة، وقد كان دائم التجوال في بلاد الحجاز وعلى معرفة بأهلها، فما كان منه إلا أن جمع جيشه الذي كان مستقراً في برقة\* والتي كانت تمر بمرحلة اضطراب نتيجة لنياسة الحاكم بأمر الله وأدت إلى مشاهدات عنيفة فيما بين القبائل وإسرافه بالتخلص من رعاء القبائل، فاضم أغلب الثائرين إلى أبي ركة الذي انتسب للأمويين، لكسب يستقطب خصوم الفاطميين في شمال أفريقيا خصوصاً أهل السنة فالتفت حوله قتل برقة لواءة ومزاته وزناتة والصنهاجيين الذين اعتبروا الأمر فرصة للاستقلال عن الدولة الفاطمية، وفي سنة 395هـ/1004م، وما كان من الحاكم بعد أن فشل في محاربه ومحاصرت أبي ركة، أن جيز حملة عسكرية يبلغ فرسانها 5000 والنفق نظري في وادي على مفرقة من برقة، ونتيجة العطش وانسحاب العنصر المعززي من الحش

ابن فواد السيد: الدولة الفاطمية في مصر - ص 114

(2) محمد سرور: سياسة الفاطميين الخارجية - ص 25

(3) عبد المسعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب - ص 296

الفاطمي ابهرم الفاطميون وتراجعوا إلى مصر ، وهذا ما شجع أبا ركوّة لكي يلاحق بالحيش المنهرم ، ولتبع أبو ركوّة سياسة قواده حتى وصلوا إلى الإسكندرية واصطدم بالقوات الفاطمية المنتشرة في الريف المصري وكانت هناك مناوشات بين الطرفين دون أي نتيجة حاسمة<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من قوة جيش أبي ركوّة إلا أن الحاكم بأمر الله لم يستسلم لهذا الوضع ، فحير جيشاً من الشام والحجاز وألحقه بقوات إضاقية من مصر ، وعين الحسن بن صالح قائداً له ، وتراجعت القوات المغربية ، وأحس أبو ركوّة بحظر الجيش الفاطمي ، فحاول اللجوء إلى الحيلة ، وذلك بالاستعانة بالعنصر العربي الموجود في الجيش الفاطمي ، ولكن حنكة القائد الفاطمي الحسن أبو صالح كشف هذه الخطة وأحبطت المؤامرة<sup>(2)</sup>.

دار القتال على أشده ، وكانت المعركة الفاصلة في رأس البركة في الفيوم والتي انتهت بهزيمة أبو ركوّة ومن كان معه وأصاب رجاله كثيراً من القتل والسبي ، ونتيجة لذلك تفرقت الطوائف والقبائل المتجمعة حوله وبعد فرار أبي ركوّة نحو النوبة لحق به القائد الفاطمي الفضل وقبض عليه<sup>(3)</sup>.

وبعد أن قبض الفضل قائد جيش الحاكم بأمر الله على أبو ركوّة ، أرسل الخليفة يبلغه بالأمر وذكر له (كتب عبد مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين من المخيم المنصور في الساعة الخامسة من نيل يوم الخميس من شوال وقد أظفره الله عز وجل بعدو الله وعدو الحضرة أبي ركوّة المحذول ، وهو في قبضة الأسر ، والحمد لله رب العالمين)<sup>(4)</sup>.

وكان انفصل يرغب منذ بداية حربه مع أبي ركوّة أن يقبض عليه حياً ، كي يشفي غليله من لحظات الذل التي مرت به عد رحيله مستجداً بالخليفة نفاضي في مصر<sup>(5)</sup> وحرص الفضل على وضع أبي ركوّة في السجن أولاً قبل إرساله إلى دار الخلافة. وذلك خشية من أتعانه الفارين احتفظ به في المغرب مما حذر أبا ركوّة يلتمس العفو من الحاكم بأمر الله وذلك بإرساله رسالة يذكر فيها (يا مولانا الذنوب

(1) ابن عذاري بيان المغرب ، ج 1 ، ص ص 257 ، 258.

(2) ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج 7 ، ص 552.

(3) الانطاكي يعني من سعيد تاريخ الانطاكي ، ص 1908 ، ص ص 266 ، 267.

(4) محمد حمادة : الوثائق السياسية والإدارية ص 142.

(5) عبد الحميد ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص 251.

عظيمة، وأعظم منها عفوك، والدماء حرام ما لم يحلها مخطئك، وقد أحسنت وأسأت، وما ظلمت إلا نفسي، وسوء عملي أو بقني وأقول لك :

فررت فلم يغن الفرار ومن يكن  
ووالله ما كان للفرار حاجة  
وقد قادني جرمي إليك برمتي  
وأجمع كل الناس أنك قاتلي  
مع الله لم يعجزه في الأرض هارب  
سوى قزع للموت الذي أنا شارب  
كما خر ميت في رجا للموت سارب  
فيما رب ظن ربه فيك كائن<sup>(1)</sup>

غير أن رسالته هذه لم تشفع له فقد أرسله الفضل إلى القاهرة حيث حكم عليه بالقتل واحتل الحاكم بأمر الله بانتصار الفاطميين، وبنهاية أبي ركوته الذي كاد أن يقضي على نفوذ ومصالح الدولة الفاطمية في المغرب<sup>(2)</sup> ومما لا شك فيه أن هذه الثورة السنية لها تأثير كبير في تصرفات الحاكم بأمر الله نحو أهل السنة<sup>(3)</sup>.

وهذا رد فعل طبيعي بالنسبة للمسلمين الذين لطالما اعتبروا دينهم الإسلامي فخراً وشيئاً مقدساً لا يجوز المساس به، وهذه الإجراءات العنيفة التي اتخذها الخليفة الحاكم بأمر الله من تشريعات دينية والتي تفوق بها على كل من سبقه من الحكام الفاطميين وأثرت على علاقته بولائه وأهالي المناطق التي فتحها الفاطميون سابقاً حتى أن علاقته تأثرت بوليه أمير مكة أبو الفتح الذي لم يستمر على ولائه للفاطميين، فقد خرج على سياسة الفاطميين في سنة 400هـ/1009م بمساعدة حسن بن المغربي الذي كان ناقماً على الحاكم بأمر الله لعنوه بأبيه وأعمامه، ففر من مصر إلى الرملة ومنها إلى أمير مكة محرّضاً له على طلب الخلافة لنفسه، ولما يتعاون مع والي الرملة حسان بن مفرج بن الجراح، ونتيجة لسياسة الحاكم المتشددة رحب بالفكرة وأقام الخصة لنفسه وتلقب الراشد بالله ولم يكتف بذلك بل سار إلى الرملة لملاقاة حسان بن مفرج الذي رحب به وانتفت حولته قبائل العرب في الشام وأقيمت له الخطبة هي أعظم مدبها<sup>(4)</sup>.

لقد استاء الخليفة العاضد الحاكم بأمر الله عندما وصله خبر خروج أبي الفتح عليه وتلقب بالخلافة وانضمامه إلى حسان بن مفرج والوزير أبي القاسم بن المغربي

<sup>1</sup> أحمد حمادة، الوثائق السننية والإدارية، ص 143

<sup>2</sup> عبد الباقع الهاشمي، نفس المرجع، ص 299

<sup>3</sup> أحمد الجادو، التاريخ العنسي والعظمي، ص 288-289

<sup>4</sup> محمد سرور، النفوس العظمي في حريز العرب، ص 17

إلا أنه عول على نفوذ باقي بلاد الحجاز، فراسل أبي الطيب ابن عم أبي الفتح ووعده بأن يدفع له خمسين ألف دينار مقابل تعاونه، فدخلوا في طاعة الحاكم، كما عمل على استمالة حسان بن الجراح بالأموال ونجح في ذلك عندما تحلوا عن أبو الفتح وأعلنوا الولاء للفاطميين وأرجعوا للخطبة للحاكم بأمر الله<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 390هـ/ 999 م حدث، ما لم يتوقعه أبو الفتح حيث ألقب الحسين بن طاهر على الفاطميين في المدينة، وعمل على الطعن في نسب الفاطميين مما اضطره إلى التوجه إلى المدينة وفرض السيادة الفاطمية فيها، ثم غادرها إلى مكة<sup>(2)</sup> مما جعل الحاكم يمعن في سياسته نحو أهالي المدينة، فعمل على حرمانهم من ذخائرها، إذ فكر في تحويل قوافل الحجاج نحو العاصمة الفاطمية، فأرسل إلى المدينة الحاكم ياروخسكين العصدي يقش دار جعفر الصادق، فجمع ما بها من ذخائرها من صحف وقطع من حطب مطوق بحديد ويزران وحربة، وسرير وحملين جميعاً إلى القاهرة بصحبة جماعة من شيوخ العلويين، وسلمها جميعاً إلى الخليفة الفاطمي الحاكم، الذي احتفظ ببر مذكر الشيوخ بأنه أحق بها منهم ووضع بصحبة الذخائر المقدسة الأخرى مثل ذي الفقار سيف علي بن أبي طالب، وسيف الحسين بن علي، وسيف جعفر الصادق<sup>(3)</sup> وكان دور الشيوخ هنا أن أجمعهم مع أشهر العلماء في الرياضة والمنطق والصب، فبم حوله للاستفادة من خبرتهم، حتى أنه تشجع في إنشاء دار الحكمة في سنة 395هـ/ 1004م على غرار دار الحكمة التي أسسها العباسيون في بغداد، والتحق بها العديد من الفقهاء والقراء من كافة المذاهب<sup>(4)</sup> وغير ذلك أشهر الكتاب وهو عبد الموصلي الذي كان يحد الكتابة والقراءة حتى تدرج في السلطة<sup>(5)</sup> وهنا نرى مدى حنكة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله السياسية من خلال تعامله مع الرضع بنزوة. وسياسة الالتفاف التي ألقنها مع أبي الفتح الذي تفرقت عنه العرب، فما كان منه إلا أن غادر الشام عائداً إلى مكة، وأرغز لشيوخ مكة أن الإمامة للفاطميين، وحينئذ يقيم الحاكم بأمر الله<sup>(6)</sup>، وقام بمراسلة الحاكم، وطلب

(1) محمد سرور سياسة الفاطمية الخارجية ص 36-37.

(2) محمد سرور المغود الفاطمي في جريد العرب ص 17.

(3) ابن شواد السيد الدولة الفاطمية في مصر ص 115.

(4) السيد عبد العزيز سالم - تاريخ مصر الإسلامية ص 188.

(5) ابن النديم في الفهارس في ديوان الرشيد والاشارة الى من تلق التوفيق ص 26.

(6) عبد المعصم ماحد ظهور خلافة الفاطميين ص 219.



منه العفو و الصلح فما كان من الحاكم إلا أن عفا عنه وأعادته إلى إمارته مكة ومد عونه حرص على إقامة الدعوة للفاطميين<sup>(1)</sup> ومع ذلك فقد سافر أبو الفتح إلى مصر متدلاً ، وهو يركب حملاً لكي يظهر للفاطميين مدى شعوره بالذنب ، وأيضاً حتى يأمر عذر الفاطميين ، فما كان من الحاكم بأمر الله إلا أن أمر له بالكساء ، وأنعم عليه وعاد أدراجه إلى مكة رغم الإحساس العدائي له تجاه الفاطميين ، أما الوزير المعري فقد راسل الحاكم في مصر بعد هروبه إلى العراق وطلب منه الصلح والعفو ، وكتب له ذلك من قبل الحاكم بأمر الله<sup>(2)</sup>.

واستمر أبو الفتح مولياً للفاطميين حتى توفي في سنة 430هـ/1038م وتولى من بعده أمر مكة ابنه شكر الملقب بتاج المعالي ، وتميز شكر بكونه جواداً عظيم القدر<sup>(3)</sup> وقد سار شكر على نهج والده في موالاة الفاطميين ، حيث قام بتجهيز جيوشه وتوجه بها إلى المدينة حيث بسط نفوذه عليها<sup>(4)</sup> مما أدى إلى عودة الفوضى في مكة ، وانعكس سلباً على الحجاج من كافة المناطق الإسلامية الذين توقفوا عن الحج ، كما تعطلت القوافل التجارية القادمة والمغادرة من الكعبة وإليها<sup>(5)</sup> ومما زاد الوضع سوءاً مقتل الخليفة الحاكم بأمر الله ، والذي يعود سبب مقتله إلى تبنيه سياسة تساهل مع المبادئ الإسماعيلية لا اعتقاده بأنها أقلية صغيرة وعليه أنه يدعو لسياسة اتجاهاهم ، لذلك تساهل معهم مما أدى إلى إغضاب كبار رجال الدولة وإثارتهم ضده وبشعال فتيل الانقسام في صفوف مجلسه ، وعلى الرغم من صد الحاكم لهم وإشدهم أشهر قوادهم وهو الحسن بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان إلا أن نهايته جاءت من أقربائه ويتعاون وبرضا شقيقته سب الملك التي كان على خلاف معها.

لم يكن دخول الفاطميين لنجد الحجاز من واقع الصدفة ، بل كان له تخطيط طويل المدى ، نفذت وقائعه بعد أن وانتهم الفرصة المناسبة لذلك ومما سيجل عليهم الأمر وجود بعض الأهالي في الحجاز ممن كانوا على المذهب الشيعي وهم الذين كانوا كبراً ما يتبررون الاضطرابات ضد الوجود العلوي في محاولة سبب للوصول إلى مراتب السلطة والنفوذ في البلاد. ولقد ساعدتهم على ذلك أن العباسيين لم يكونوا

(1) محمد مرور النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص 19 .  
(2) عبد الحميد ماجد ظهور حركة الفاطميين ، ص 219-220 .  
(3) دحلان ، خلافة الخلافة في بيان لمراء التبدل ، ص 18 .  
(4) محمد مرور النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص 19 .  
(5) عبد الحميد ماجد ظهور حركة الفاطميين ، ص 220 .

حرصين على سيطرتهم على المدينة المنورة بقدر ما كانوا حرصين على الاحتفاظ بسيادتهم على مكة المكرمة، مما أشعل فتيل الفتن في المدينة من قبل العلويين فيها.

غير أن استغلال الفاطميين وخليفتهم الحاكم بأمر الله للخلاف بين الحسن وبني جعفر بن أبي طالب كان له الأثر البالغ في تقدم الفاطميين نحو الحجاز، وبقيّة المناطق المحاورة له، حيث دخل إلى الحجاز كمنقذ سياسي ظاهرياً وديني من حنبلي آخر.

ولا يمكن إلا أن نعترف بأن دخول الفاطميين إلى بلاد الحجاز ساهم مساهمة كبيرة في بسط نفوذهم على مناطق أخرى، باعتبارها المنطقة الوسطى للجزيرة العربية في اكتساب نظرة الاحترام من قبل بقيّة الشعوب الإسلامية للفاطميين، واعتبارهم منقذين للدولة الإسلامية، بعد أن تزعزعت أغلب إمارات العباسيين.

غير أن سيادة الفاطميين في الحجاز تأثرت بالأحداث الداخلية التي ألمت بمصر وهو الأمر الذي أثر على سياستهم فيها، من حيث انقطاع الإمدادات والأموال التي كانت تبعث للحجازيين من قبل الفاطميين، مما جعل الولاة فيها يبحثون عن مصادر أخرى، لذلك كان خير الموجودين أعداء الفاطميين العباسيين، الذين استغلوا ما كان يمر به الفاطميون في مصر، وبدأوا في إرسال الأموال من أجل إعادة ماء الوجه الذي أخذ منهم من قبل الفاطميين، ورد الاعتبار لسيادتهم التي اختفت في بلاد الحجاز، سواء في المدينة المنورة أو مكة المكرمة.

## المبحث الثالث

### سياسة الفاطميين في زمن الظاهر والمستنصر

بعد وفاة الحاكم بأمر الله مرّ الوضع العام في البلاد في مرحلة جديدة على الدولة الفاطمية ، حيث استولت أخته على الحكم، وهي المعروفة بـ «سيدة الملك» في سنة 411هـ/1021م، واعتمدت على رئيس الرؤساء أبي الحسين عمار بن محمد في بداية ولايتها<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من توليها للحكم، فقد كانت سيدة الملك مجرد وصية لابن أخيها الحاكم الظاهر لإعزاز دين الله، الذي كان يبلغ من العمر السادسة عشر، وعلى ذلك فقد باشرت بالمسئولية في البلاد، وأظهرت بأساً شديداً في تدبير شئون الدولة، التي كانت في حالة من الانتقال والتوجيه السياسي واستمعت سيدة الملك في خلافتها هذه وأبهر أعمالها القائد عمار بن محمد الذي أحست بمحاولته للانقضاض على السلطة ، فسبقت بحكمتها السياسية ، وظلت في الحكم حتى وفاتها سنة 415هـ/1024م<sup>(2)</sup>، وانتقلت السلطة في الحكم إلى مجموعة من كبار الدولة شكلوا حلفاً مشرفاً على سياسة الظاهر الذي كن صغير السن وأهم هؤلاء الرجال الوزير الجرجرائي والشريف العجمي والقائد معضاد أمير الجيش<sup>(3)</sup>، خصوصاً إن نظرنا إلى أن مصر مركز الخلافة الإسلامية، وقبة الإسلام، وبخبرات مصر تعمر الحجاز وموسد للحج لذلك حرص الجميع على أن استلام الخلافة الفاطمية يجب أن يكون موضع تأكيد سياسي ، حرصاً على سلامة هذا البلد.

وتعتبر شخصية الحليفة الفاطمية الظاهر مغايرة لسياسة والده ، على الرغم من أنه أكمل الاتجاه الذي حاصه والده، من حيث النعوذ والتعلل الفاطمي في المنصب المحبطة بالدولة<sup>(4)</sup>.

ومن الدابة عرف المسلمون أن الظاهر يختلف كل الاختلاف عن أبيه ، صرّ للعين سماحته وعفوانه ورحمته نحو شعوبه المختلفة الأحناس، ولقد حرص الحليفة

<sup>1</sup> ابن خلدون المسد - دولة الفاطمية - ص 118.

<sup>2</sup> المسد عبد العزيز مسند ، تاريخ مصر الإسلامية - ص 190.

<sup>3</sup> احمد مختار معادني - تاريخ العباسي والفاطمي - ص 294.

<sup>4</sup> السب عبد العزيز مسند - تاريخ مصر الإسلامية - ص 190.

الفاطمي الطاهر على الإصلاح العام للدولة، بما فيها إصلاح ما فسد من إداره الدولة في عهد أبيه الحاكم بأمر الله ، وركز على الأحوال الاقتصادية داخل وحارج مصر<sup>(1)</sup>.

عرف الطاهر أنه لا بد له من الخروج عن سياسة والده، التي تركت في أغلبها على محاربة غير المنتمين للفاطميين، والتي جلبت للدولة الفاطمية بشكل عام أعداء لا يعدون وبشكل خاص لعهد منافسين هو في غنى عنهم، وذلك لأن مصر في عهده كانت في مرحلة انتقال ، لذلك نرى الطاهر عمل على كسب ود شعبه ، فقد غير من بعض للطباع والعادات المتبعة في البلاد ، مما جعله يعطن عن نقص أكثر الإجراءات التي اتخذها والده ، فنرى الطاهر قد ترخص في شرب الخمر وسماع الموسيقى ، كما سمح بأكل الأكلات البحرية، وهي الأمور التي منعت منعاً باتاً في عهد الخلفاء الذين سبقوه<sup>(2)</sup>، والذين جعلوا الحياة الاجتماعية جزءاً من سياستهم وذلك للسيطرة على كافة فئات المجتمع .

ومما لا شك فيه أن سياسة الطاهر أراد بها أن تلغى كثيراً من القوانين التي أصدرها والده، والتي اتخذت دون أن تراعي الجانب الإنساني في البلاد، معتمداً في ذلك على الاستغاثات المدنية بالتغيير لذلك اتبع سياسة مغايرة جديدة في معاملة أهل الذمة ( النصارى واليهود ) ، فقد حرص على اكتساب ودهم وأوقف الاصطهاد الذي كان يمارس على النصارى لمدة طويلة ، وأعطاهم الكلمة بالعفو والتسامح الديني فيما بينهم وبين المسلمين لذلك نرى أنه سمح لهم بإعادة بناء الكنائس التي تدهمها من قبل المسلمين<sup>(3)</sup>

ولكي تكون سياسته هذه شرعية أصدر الخليفة الفاطمي مرسوماً يلجأ حو النصارى وأعلن فيه ( جيم أحرار في عقائدهم وشعائره وأنه لا إكراه في الدين ) من أثر مسهم السحول في الإسلام . اختيأراً من قبله وهداية منزهه ، فليدخل فيه مقلولاً مبروراً ، ومن أثر إهداء على نفسه من غير ارتداد ، كان عليه دمنه وحططت<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> عبد الصمد بهشمي . موسوعة تاريخ العرب ، ص 318

<sup>2</sup> ايمن فواد السيد . سونة الفاطمية في مصر . ص 120 .

<sup>3</sup> الانطاكي . تاريخ الانطاكي . ص 374 ، كذلك حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام . ج 3 . ص 154

<sup>4</sup> عبد الصمد بهشمي . موسوعة تاريخ العرب . ص 319 .

وبذلك أحد الشعور المتناظر والعدائي ما بين النصارى والمسلمين في الدولة يضعف ويقل، مما كان له الأثر الإيجابي نحو التطور في الدولة من الناحية الاقتصادية لدرجة أن أصبح للنصارى دور قيادي في مناصب الدولة (1)

و منذ بداية عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز الدين تغيرت الأوضاع في الدولة الفاطمية، حيث استطاع بحسن سياسته أن يكسب محبة وثقة النصارى واليهود، الذين أبدوه في توحيداته السياسية لما لهم من نفوذ خارج الدولة خصوصاً مع البيزنطيين (2)، وعمل الظاهر على تحسين علاقته مع البيزنطيين، بعد أن تدهورت في عهد والده، فحاجة الفاطميين إلى القمح الذي يصلهم من القسطنطينية ضروري لأنهم كانوا يتعيشون عليه، بالإضافة إلى حاجة الفاطميين إلى تأمين حدودهم من جانب البيزنطيين، لكي يتفرغوا للجانب العباسي، الذي كان في حالة من الاضطراب نتيجة لتنازع أمرائها (3)

ولم تمض ثلاث سنوات على وفاة والده الخليفة الحاكم بأمر الله حتى أعلن براءته من دعوة والده الألوهية، ولم يقف مكتوف الأيدي عن الذين خرجوا عن الدين فطاردهم خارج نفوذ دولته (4).

وقفت مصر بالمرصاد نهؤلاء الدعاة الذين كانوا أن يمزقوا شمل الدين الإسلامي، وأخذت فتنتهم في بداية ظهورها في مصر، واتحصروا وحود هذه الدعوة بفضل الفاطميين فقط على طائفة الدروز في جبال الشام، والتي لا تزال تحتفظ حتى الآن بشيء من مزايا هذه الدعوة (5).

وبعد ذلك تفرغ الخليفة الفاطمي لدعوة الفاطميين، فانتع سياسة والده وأجداده في نشر الدعوة الفاطمية، حيث قام في سنة 416 هـ/1025م بنحوه الدعوة لكي يحفظوا الناس كتاب القاضي النعمان بن حيون (دعائم الإسلام)، وكتب الفقه يعقوب بن كلس، وذلك لكي يشجع الناس على الحفاظ فخص الحافظين بمبالغ منبئة قيمة (6).

(1) محمد سرور : دولة الفاطمية في مصر، ص 89.

(2) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 210.

(3) حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي، ص 161.

(4) إيس فواد السيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص 122.

(5) عبد المعصم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب، ص 320.

(6) السيد عبد العزيز سائد : تاريخ مصر الإسلامية، ص 191.

وحصن الحليفة لهؤلاء الدعاة بمجالس خاصة بهم في قصره، وكان داعي الدعاة يعقد المجالس لكي يقرأ على الناس مصنفاته ويقنعهم بالدعوة الفاطمية (1). ولم يكن الظاهر بوجه دعوته لإعزاز الدين داخليا فقط ، بل خارجيا أيضا فقد ركرر الدعاة حيودهم في نشر الدعوة للمناطق البعيدة، معتمدين في ذلك طرق التجارة البحرية والبرية (2).

وأهم دعائه هم الذين تغلغلوا في المناطق الشرقية للعباسيين، الذين كانوا في وصم سياسي مضطرب في بغداد نتيجة لانسائس الأمراء ، الأمر الذي جعل الفاطميين يستغلون الوضع هذا لصالحهم من خلال انتشارهم السلمي هناك، وادي ذلك إلى الالتفاف للأقوام حولهم وأهمهم البويهيون، ونجح بذلك الدعاة الفاطميون في إقامة الدعوة للخليفة الفاطمي الظاهر في كل من البصرة والكوفة والموصل، وبقية المناطق الصغيرة في أعمال المشرق (3).

ولقد ذكر لنا المسيحي في كتابه أن الظاهر لم يغفل طرف عين عن مركزه في الحجاز، بل كان يراقب أوضاعها من الداخل والخارج ، على الرغم من انشغالاته الكثيرة في الشام وداخل مصر ، ومدرك للمساومة التي كان يقوم بها أمراء مكة والمدينة مع العباسيين في بغداد للقضاء على دعوة الفاطميين ، غير أن انشغاله بالشام أجل تحركاته السياسية .

وعلى الرغم من استيلاء الفاطميين على شرق العراق وتغلغلها فيه، إلا أن الخليفة الفاطمي الظاهر واجه أكثر خصومة شديدة وهم بنو جراح في الشام ، وذلك عندما استغل أميرها حسان بن الجراح موت الحاكم بأمر الله، وتعبير الحكد، وحاول أن يستقل بالحسوب المتمثل في فلسطين عاقدا حلفا مع سنار بن عليان أمير قبيلة كلب وذلك في سنة 414هـ / 1023 م ، كما عقد صلحا مع صائح بن علي أمير قبيلة كلاب (4) وذلك لكي يواجهوا نفوذ الفاطميين في الشام. والتي معتبر قب أرسا ليم دور سواهم مرتكرين على خطة التقسيم، بحيث كل قائد تكون له دولة خاصة به.

(1) حسر إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج 3 - ص 230.

(2) حسر إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص 345.

(3) ابن تود السدي : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 130.

(4) عند سعد الهشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 320.

حيث يكون لحسان بن جراح فلسطين وعاصمتها الرملة ، وسنان بن عليان له دمشق ،  
وصالح بن مرداس تكون له دار حلب وشمال الشام. (1)  
ولقد أدرك الظاهر أن هذا الحلف ما هو إلا عدوان علي للنفوذ الفاطمي ، والاستيلاء  
علي مصالح دولته ، لذلك تريت في المواجهة ، خصوصاً بعد أن وصلت رسالة  
حسان بن الجراح الذي اعتبر أن هذا الحلف ليس موجهاً للفاطميين وأهم ما رآه  
يعترفون بولائهم له وأن خراج بلادهم سوف ينفقوه علي رجال دولتهم وحيوشهم ،  
وعلي مصالح بلاد الشام (2) ، ومن هنا أدرك للظاهر أن بلاد الشام ليست في يده ،  
وأن هؤلاء استولوا بالفعل علي أهم مركز استراتيجي للدولة الفاطمية ، واعتبر الظاهر  
أن رسالة حسان بن الجراح إليه هي إهانة للفاطميين كافة ، خصوصاً أن فحوي هذه  
الرسالة ، كانت تعبر عن القوي لدى هؤلاء المتحالفين ، معترين للفاطميين أقل قوة  
منهم وهو الأمر الذي لا يرضاه أي خليفة فاطمي علي الإطلاق من باب العنفوان  
الفاطمي الذي توارثوه عبر الأجيال (3) .

وبما أن الظاهر اعتبر أن هذا التحالف تمرداً علي سياسته ، أعد لذلك جيشاً ضخماً  
يبلغ عدده خمسة آلاف مقاتل ، وأسند مهمة القيادة إلي قائد عرف بشدته وقوة عزمه  
في الحروب وهو أنوشتكين الدمزبري ، والذي أمره -الفصاء علي هذه الفتنة- ، وقتل  
حسان بن جراح (4) ، المسبب لهذه الأزمة الحربية ، وما أن وصل الجيش إلي الشام  
حتى تلاقى جيوش الفاطميين مع جيش صالح بن مرداس ، الذي لاقى صعوبة في  
مقتلة جيوش أنوشتكين الذي أظهر بسالة في القتال ، الأمر الذي جعله يظفر  
بانتصار علي صالح بن مرداس والذي فر هو وابنه (5) ، ثم توجه أنوشتكين إلي  
نرملة ، حيث اصطدم هناك بحسان بن جراح ، الذي قاوم جيوش أنوشتكين واستصر  
تبه ، مما اضطره إلي النحوء إلي عسقلان قبل أن يطارد حسان بن جراح ويستولي  
عنى عسقلان (6) .

<sup>1</sup> عبدالمعز الهاشمي - موسوعة تاريخ العرب ، ص 320

<sup>2</sup> بن لاثير - القاهر في التاريخ ، ج 7 - ص 579

<sup>3</sup> برهيم رزق الله - لتاريخ الميمني ، ص 39

<sup>4</sup> معزم - الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 322

<sup>5</sup> لاثير - تاريخ لاثير ، ص 411 .

<sup>6</sup> عبدالمعز الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 322 .

أُرِجَ هذا الأمر للخليفة الفاطمي الظاهر الذي شعر بالخطر على دولته غير أن الأوصاع تعبرت حين توفي سنان بن عليان، أمد قبيلة بن كلاب الذي حدثت بعد وفاته سلسلة سياسية باحتلاف ورثته علي الحكم، ولجؤ رافع بن أبي الليل ابن أخيه إلى الفاطميين، واجتمع بالظاهر الذي ولاه أميراً علي قبيلة بني كلب، مما أصعب ذلك الحلف<sup>(1)</sup>، ومن هنا وجد الظاهر فرصة سانحة لمعاودة الكرة على بلاد الشام، فأرسل في سنة 420 هـ / 1029م، جيشاً بلغ عدده سبعة آلاف مقاتل تحت قيادة أنوشكين، الذي كان هدفه، الانتقام من حسان بن جراح الذي طارده في المرة السابقة<sup>(2)</sup>.

وهكذا زحفت الجيوش الفاطمية إلى فلسطين وهي في حالة عسكرية منضمة، وعندما علم حسان بن جراح بها حاول حد هذه الجيوش غير أنه بعد التقاء الطرفين كانت اليد العليا في القتال لجنود أنوشكين مما اضطر حسان بن الجراح إلى الانسحاب إلى طبرية فلحقته به القوات الفاطمية، حيث دارت معركة عنيفة انتهت من خلالها الفاطميون علي ابن الجراح الذي هرب<sup>(3)</sup>، من المعركة والتجأ إلى بعض من أصدقائه البيزنطيين الذين آووه عندهم علي مقربة من الحدود البيزنطية<sup>(4)</sup>، وبهذه الانتصارات تمكن الخليفة الفاطمي الظاهر من أن يستعيد نفوذه من جديد في بلاد الشام، بين فترة وأخرى<sup>(5)</sup> ولقد اتبع المرداسيون سياسة الدولة الحمدانية من حيث استغلالهما للموضع الجغرافي كدولة حدودية، حيث كانت تتحالف مع الجانب الأقوى علي حدودها وذلك لكي تضمن بقاءها<sup>(6)</sup>.

غير أن الفاطميين لم يقفوا موقف العازر أمام تمردهم فقد توجه إليهم القائد الفاطمي أنوشكين والتقى الحيشان في منطقة الأقحوانة، حيث تغلبت الجيوش الفاطمية علي ابن المرداس في هذه المعركة قتل صالح بن مرداس وابنه الأصغر، وأمد ابنه الأكبر صر بن صالح فهد هرب إلى حلب، وقيل أنه رأس صالح قطع وبعث إلى القاهرة<sup>(7)</sup>. وبهذه الانتصارات تمكن الفاطميون من الأسلاء علي باقي مدن الشام، والتي كانت عصية الفتح عليهم وهي حمص، صيدا، وحصن عكر، وبذلك عادت تسم للسلطة

<sup>(1)</sup> عبد الحميد الهاشمي، نفس المرجع، ص 322.

<sup>(2)</sup> الانصاري، تاريخ الانطلي، ص 411.

<sup>(3)</sup> عبد الحميد الهاشمي، نفس المرجع، ص 322.

<sup>(4)</sup> عبد الحميد الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب، ص 323، المفريزي: الخطط المفريزي، ج 1، ص 354.

<sup>(5)</sup> الانصاري، تاريخ الانطلي، نفس المصدر، ص 397.

<sup>(6)</sup> عبد الحميد الهاشمي، نفس المرجع، ص 324.

<sup>(7)</sup> محمد مختار العبادي، تاريخ العباسي والفاطمي، ص 296.



الفاطمية ، ومما لا شك فيه أن عهد الظاهر امتاز بالقضاء علي كافة التشريعات الطالمة الاجتماعية والدينية والتي وضعها الخليفة الحاكم، والتي كانت سبباً في تدهور نظام الدولة، حيث ساعدت هذه الإعفاءات من عودة الناس إلي سيرتهم الأولى في الحياة والمعيشة<sup>(1)</sup>. كما امتاز للظاهر بتشدده من الناحية العسكرية فنراه يمرح العساكر والجنود من كافة العناصر من المغاربة والسودانيين والأتراك ومعاملتهم معاملة عادلة فيما بينهم، وهنا الظاهر استخدم سياسة العباسيين من الناحية العسكرية من حيث صرف الرواتب والمكافآت المالية مما يدل علي حنكة افتقد إليها الفاطميون في السنوات الأخيرة<sup>(2)</sup>. وبعد أن وطد الخليفة الظاهر أركان دولته، والمناطق التي كان له فيها نفوذ توفي الظاهر في سنة 427هـ / 1035م بمرض الاستسقاء بعد أن قضى في الخلافة الفاطمية أكثر من ستة عشر عاماً، وبعد أن أخذ البيعة لابنه أبو تميم معد في سنة 421هـ / 1030م<sup>(3)</sup> وبعد وفاة الظاهر خلفه ابنه أبو تميم معد المستنصر ، وهو طفل لم يتجاوز السابعة من عمره ولقد كانت والدته الوصية عليه وحكمت باسمه<sup>(4)</sup>، وذلك لفترة قصيرة قبل أن تنتقل السلطة بعد ذلك إلي أمير الجيوش بدر الجمالي، وذلك نتيجة لأزمات سياسية واقتصادية صعبت الأم أن تحلها، ومنذ ذلك الوقت عرفت تغيرات كثيرة سواء في الجيش أو الوزارة<sup>(5)</sup>، ولم يعلم المستنصر عندما خلف والده الحكم ما متؤول إليه الأسام، فقد امتد حكمه ستين عاماً ( 426هـ/1035م - 487هـ/1094م ) شهدت خلالها الدولة الفاطمية أحداثاً تاريخية مهمة<sup>(6)</sup>.

وفي عهد المستنصر شهدت الدولة الفاطمية أحداثاً وتغيرات وتقلبات لم تعهدها الدولة الفاطمية قبلاً من أحداث اقتصادية واجتماعية، كما يمتد عهد المستنصر حداثاً فاصلاً بين عهد الأئمة والحلفاء وعهد الوزراء، الذين زاد نفوذهم في عصره مستغلين الأوضاع الجديدة للدولة<sup>(7)</sup>.

(1) إبراهيم زروق الله - التاريخ السياسي الفاطمي ، ص 39 ، عبدالمعتمد الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 325

(2) أحمد مختار العدوي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 295

(3) السيد مداعير سالم : تاريخ مصر الإسلامية ، ص 194

(4) ابن أبيس : مدافع الزهور ، ص 58

(5) إبراهيم زروق الله - التاريخ السياسي الفاطمي ، ص 40 ، أحمد مختار العدوي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 296 ، عبد

المعتمد الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 331

(6) أحمد مختار العدوي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 297

(7) حمادة - الوثائق السياسية والادارية ص 39 ، إيمان فواد السيد السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 12

وعلى ذلك فقد كان عهد الخليفة المستنصر، عهداً متسلسل الأحداث وطويل الأمد لذلك يمكننا أن نقسم عهده إلى فترتين وهما:

1- الفترة الأولى : وتمتد من سنة 427هـ/ إلى سنة 450هـ/ 1058 م وفي هذه الفترة بلغت الدولة الفاطمية أوج مجدها ، حيث حدث هناك استقرار الأحوال، وكثير من الرخاء والطمأنينة بين الناس، وازدهرت الأعمال الاقتصادية في الدولة، مما كان لها أثر إيجابي في التعامل بين الناس، وشمل هذا مصر وبلاد الشام، وشمال أفريقيا والحجاز واليمن، وهي مراكز النفوذ للدولة الفاطمية.<sup>(1)</sup>

وعن طريق سياسة الذين اتبعها الوزير بدر الجمالي استطاعت الدولة العباسية أن تكسب العديد من ولاء الذين يتبعون الأراضي السنية في المشرق<sup>(2)</sup>، كذلك لا يمكننا أن ننسى قوة ومهارة وزراء الدولة الذين كان لهم دور في اتساع نفوذها في المشرق الإسلامي في اليمن وغيرها من بلدان المشرق.<sup>(3)</sup>

كما أقام أبو الحارث البساسيري الخطبة للخليفة المستنصر في بغداد سنة 450هـ م 1058م، وهذا يعتبر أكبر نصر أحرزته الخلافة الفاطمية لما لبغداد من أهمية في مصر ، كما كان هناك أثر كبير في نشر الدعوة الفاطمية في بلاد فارس وخراسان حتى أواسط آسيا ، مما زاد نسبة المسلمين عني المذهب الإسماعيلي في تلك البلدان التي عجز الخلفاء الفاطميون الدخول إليها<sup>(4)</sup> .

ونلاحظ هنا أن هدف الدولة الفاطمية في بداية عهد المستنصر، هي إثبات الوجود على ساحة العالم الإسلامي، ومحاولة تغلغل بين صفوف الأقوام المعادية للدولة، ومسايسة الولاء من أجل كسب ود ونيل رضا الشعوب الأخرى، والتي كانت من أشد المعادين للفاطميين ، لذلك للهدف السياسي لماعدي المستنصر، هو إظهار الحسب الإيجابي للعبير وإن كان على حساب الناس داخلياً مما أدى إلى ظهور أزمات شديدة كان أثرها سلبياً عني كافة شئون الدولة، سواء من الناحية الإدارية أو السياسية والاجتماعية، وحتى من الناحية الاقتصادية وهي الأهم، عند كافة الناس حسب طلب الأوضاع من رخاء واستقرار.

<sup>(1)</sup> عبد المعصم الشهشي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 332

<sup>(2)</sup> حمادة: بوثائق السياسية والإدارية ، ص 39 ، السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 125

<sup>(3)</sup> ابن خلدون : السيرة ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 125

<sup>(4)</sup> أحمد مختار العبادي : تاريخ العنسي والفاطمي ، ص 299

ومد أن تولي الخليفة العباسي القائم بأمر الله في سنة 381هـ / 991م، طرأت الكثير من التعديلات السياسية للعباسيين اتجاه الفاطميين، حيث بدأ وجود تصادم بين القوتين اللتين تتنافسان على سيادة المشرق الإسلامي<sup>(1)</sup>، خصوصاً في بلاد الحجاز حين تولي الأمير محمد بن جعفر الولاية في مكة، بدأ عهده بإقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر، غير أنه سرعان ما بدأت الأمور تخرج عن سيطرته اتجاه الفاطميين، من مؤيد لهم تارة ورافض لنفوذهم تارة أخرى، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى شدة حاجته إلى الأموال فما كان منه إلا أن أخذ قناديل للكمبة وستورها، وصفائح بابها، والميزاب، وصائر أموال أهل مكة، وأمر بحذف اسم المستنصر من الخطبة وأعلن الخطبة، للخليفة القائم بأمر الله العباسي، الذي رحب بهذا النصر ضد الفاطميين غير المتوقع.<sup>(2)</sup> ولكي يكون الحكم شرعياً عند العباسيين، بعث الأمير محمد بن جعفر إلى ألب أرسلان السلجوقي حاكم بغداد رسولاً، يخبره بأن الخطبة في مكة للعباسيين.

2. المرحلة الثانية : لعهد المستنصر وكان الحجاز فيها أول الولايات الساقطة من النفوذ الفاطمي وعمل العباسيون على تضيق الخناق على الفاطميين، وذلك بالاستعانة بالسلاجقة لفرض حصار على الفاطميين، وذلك بتشجيع حاكم أفريقيا المعز بن باديس الذي كان يدين بالولاء للفاطميين، بأن يخلع الانتساب للفاطميين وأن يستقل بدولته الخاصة به دون الاستعانة بسيطرة الفاطميين.<sup>(3)</sup>

وأخذ الزيرين دعم العباسيين على محمل الجد، فقد أمر المعز بن باديس في سنة 441هـ / 1050م بأن يكون له عملة خاصة بعيداً عن الفاطميين، وأن تصرب العملة الجديدة خاصة بالزيرين<sup>(4)</sup>، الذين كانوا يعملون على توسيع نطاق دولتهم،<sup>(5)</sup>، وإن حلت سنة 443هـ / 1051م حتى قطع ابن باديس الخطبة المقامة سابقاً للخليفة الفاطمي، وأقام الخطبة للعباسيين وبذلك قطع أي صلة له بالفاطميين فسي مصر، وأصبحت أفريقيا تابعة رسمياً للعباسيين<sup>(6)</sup>.

(1) حمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي - ص 298

(2) ابن فؤاد السيد - تاريخ الدولة الفاطمية، ص 126

(3) سرور محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، دار الفكر العربي القاهرة، 1993، ص 20.

(4) ابن العدي - إنباس المغرب، ج 1، نفس المصدر، ص 275

(5) الناصري - أبو العباس أحمد : الاقتصاد لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتب، دار البيضاء، 1954، ج 1 ص 21

(6) ابن شعري - نجوم القاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص 80

وتخليه الحليفة المستنصر عن تأنيبه، عدا الوزير محمد اليازوري، والذي عندما سمع بأحدر توس وأمرائها الذين دعوا للعباسيين، قام بالانتقام منهم وذلك بتسليط القائل العربية المنتشرة علي حدود مصر عليهم وأهم هذه القبائل بني هلال وسي رباح، حيث أغرهم اليازوري علي المسير إلي طرابلس والقيروان بعد أن أعطاهم المال والأغنام وبعد وصولهم عاثوا في المدن الفساد والتخريب وبذلك يكون قد تحلص منهم من جهة وانتقم من الزيريين من جهة أخرى، وهذا ما يعرف عند العرب قديما بتحريض القبائل للجانعة ضد الأقاليم التي تكون مكتفية من الناحية الاقتصادية والسياسية وتنعم في هدوء، لذلك حاول الفاطميون بعد أن فقدوا مركزاً لهم في المغرب ضرب هذه القبائل في هذا الإقليم.

وعلى الرغم من محاولة الفاطميين الانتقام من المعز بن باديس، إلا أن هذا ظل على دعوة العباسيين، وأصبح المذهب في تونس، وباقي المناطق المغربية سناً،<sup>(1)</sup> والذي جعل الفاطميون يتهاونون مع المغرب الإسلامي، هو ما كان يحدث داخلياً من تدهور الأوضاع الزراعية، والتي أثرت على الأوضاع الاقتصادية، حيث كان أغلب الناس في مصر يعيشون على الزراعة، وذلك بسبب نقص منسوب نهر النيل، مما أثر على الأحوال المعيشية، فارتفعت الأسعار، وتزايدت الملاء، وتفشى نتيجة ذلك الجوع في كافة أنحاء البلاد<sup>(2)</sup>.

بالإضافة إلى تطاحن عناصر الجيش المحتففة، والتي زادت من شدة الأمر في المدن داخل الدولة<sup>(3)</sup>، وينكر لنا الهاشمي أن سبب أزمة الجيش هو أم المستنصر والتي على الرغم من بعدها عن شئون الدولة إلا أنها تدخلت عندما شرعت في شراء عبيد للدولة من جنسها، واستكثرت منهم وجعلتهم ضائفة لوحدها، مما جعل ذلك سبباً لحدوث فتنة بينهم وبين الأتراك، الذين نصحوا بمساعدة قبائل المعامرة والكثامين من الإيقات بالسودانيين، وبذلك انتهى هذا الصراع بتقوية شوكة الأتراك، الذين أصبح في متناول أيديهم هود على الدولة الفاطمية بعد أن أصبحوا بالدولة العباسية<sup>(4)</sup>. وقد تدهور في الجيش هنا فقد حدث صراع أشد بين الأتراك والمغاربة، الذين أحسوا ظلم من قبل

<sup>(1)</sup> المصري: الأخبار المغرب الأقصى - ج 1، ص 230.

<sup>(2)</sup> عبد الحميد الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب، ص 333.

<sup>(3)</sup> السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص 195.

<sup>(4)</sup> عبد الحميد الهاشمي: المصدر السابق، ص 237 - 238.

قادة الحيوث الأتراك ولم يستطع الخليفة الفاطمي أن يجد لهذه المشكلات حلاً، والتي كان لها أثر في نفوس الناس، مما جعل هيئة خليفة الفاطميين أمامهم تهتز تدريجياً، ومما ساعد على تفاقم الوضع السائد، هو ما كانت تمر به الحكومة من صعب شديد، وفقداء لأهم عناصر المساعدة من وزراء ورؤساء إداريين<sup>(1)</sup>.

وفي عام 457هـ/1065م وصلت هذه الأزمة إلى أعلى مستوياتها، حيث امتدت سبعة أعوام متتالية، وفيها خربت عدة مدن كان لها دور في إقبال الناس على مصر، وأهم هذه المدن القسطنطينية. ووصلت الأزمة إلى أشدها في القطاع، حيث بقي حائط عليها، لكي لا يرى الخليفة مدى الدمار والقحط، وعرفت هذه الفترة بالشدّة (المستصرية) لحدوثها في عهد المستنصر بالله<sup>(2)</sup>، وعرفت أيضاً (بالشدّة العظمى) لأن الدولة الفاطمية منذ تأسيسها في المغرب، وانتقالها إلى مصر وبسط نفوذها في المشرق الإسلامي، لم تشهد هذه الأحوال، مما جعل المقريري يطلق عليها أعظم الشدائد للفاطميين، وكانت الدولة الفاطمية قد وصلت إلى حالة من الفقر السياسي وبدلاً من أن يأخذ الخليفة المستنصر موقفاً من بعد مدبري الفتن والذين هم أصحاب الأطماع ساهم في إشعال بعضها من خلال تحيز والدته لبني جنسها من أعضاء الدولة والجنود، والذين كانت تمدهم بالمال والسلاح مما أخلّى خزينة الدولة واضطر المستنصر أن يبيع مقتنيات قصوره من أثاث وأسلحة قديمة وثياب و ثياب أجذاده الحريرية التي ورثها وقد لعل القحط نرجة أن تلت سكان مصر فروا منها حتى أم الخليفة وبناته حاولن الرحيل إلى بغداد من شدة الأزمة<sup>(3)</sup>.

ومما زاد من الأمر تعقيداً هو اضطراب أغلب العلماء والكتاب وأصحاب الأعيان إلى معادرة البلاد، والرحيل عنها إلى مسقط أكثر أمناً ورخاء، مثل الشام والعراق والدين كما في حالة من قوة النفوذ الذي فعده الفاطميون، وأصبحت القاهرة خربة من علمائها وشيوخها الذين لطالما كانوا مركز قوتها الدينية والسياسية<sup>(4)</sup>، وكان المصطفون على اختلاف حكمهم بحالهم العلماء : عتارهم مربيين ومعلمين لأنسانهم . كما اعتبروهم

<sup>(1)</sup> حمد مختار العبادي . التاريخ العباسي والفاطمي . ص 301.

<sup>(2)</sup> عبد المعظم بهشمي : موسوعة تاريخ العرب . ص 334.

<sup>(3)</sup> حمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي . ص 301 .

<sup>(4)</sup> سيد عبد العزيز مكرم : تاريخ مصر الإسلامية . ص 196 .

حماة العلم ومشاعل المعرفة ، كما كان بلاط الفاطميين يموج بالفلاسفة والشعراء والأطباء الذين كان لهم ثقلهم في الدولة الفاطمية.

وبما أن الحلفاء الفاطميين ومن بينهم الخليفة المستنصر قد تعودوا على وجود مجالس ومندوبات علمية من وقت لآخر ومن هذا كله لم تبق سوى مجالس المساجد التي أصبحت بمثابة دور للعلماء والصلاة معاً<sup>(1)</sup>.

ومما لا شك فيه أن هذا الوضع كان أكبر من أن يتحمله خليفة لدولة عظمى، لاسيما المستنصر الذي عاش معيشة الرفاهية والتفاخر بما لديه ، فما كان منه إلا أن يعث بوزيره أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي إلى والي عكا، أمير الجيوش بدر الجمال الذي كانت قوته في تصاعده ، يطلب منه القدوم لإنقاذ البلاد من حالة التدهور، ولتنظيم أمور الدولة وإصلاح ما فسد منها، فما كان من بدر الجمالي إلا أن رحب بذلك وجيز جيشاً كبيراً يحتوي أغلبية من الأرمن وتوجه إلى القاهرة<sup>(2)</sup> التي رحبت به بعد أن أفرغها المستنصر حسب شروط الجمالي من كافة جند الترك الذين اعتبرهم رأس الفتنة في الدولة<sup>(3)</sup>.

على الرغم من الفترة القصيرة التي تولى فيها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، فإنه لم يتحمل واجباته نحو الدولة . فقد كان جل اهتمامه نشر الدعوة الفاطمية من حيث أمره لدعاته، بأن يوجهوا الناس لحفظ تعاليم المذهب الشيعي، التي بدأت في الانتشار السريع في بقية المناطق التي كان العباسيون يسيطرون عليها.

كذلك كان نتيجة هذه السياسة أن انتشر الدعاة على امتداد الأراضي الشرقية التابعة للعباسيين ثم للسلاجقة . غير أن الظروف التي ألمت بالخليفة الظاهر حالت دون تقدم سياسته التي اتبعها لنشر دعوة الفاطميين.

أما في عهد الخليفة المستنصر بالله فقد وصفت الدولة الفاطمية إلى أقصى اتساع لها حيث شملت من قبل الموحدين بالإمبراطورية الرومانية، وأصبح يطلق عليها في ذلك العصر بالإمبراطورية الفاطمية. وانقسم عهد المستنصر إلى عهد - الأول وهو العشرين سنة الأولى، وهو عهد الرخاء السياسي للفاطميين. فقد امتد حركتهم السياسي

(1) عطا الله ، الحياة الفكرية في مصر من 204 . .

(2) أحمد مختار المعدي ، تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 302 - الهشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 339

(3) ابن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 144 .

إلى الشام وشمال أفريقيا وصقلية والشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر ، كذلك لسلاط  
البحار .

ومما راد من قوة نفوذهم ، كسب الفاطميين ود الولاية في عدة مناطق محتلة سواء في  
الشرق أو الغرب أو شمال أو جنوب الدولة الإسلامية .

أما بقية عهد المستنصر وهي الأربعين سنة التالية ، والتي اعتبرت كارثة على الدولة  
ككل حيث بدأ الانحلال السياسي في الدولة نتيجة تكاثر الوزراء في مركز الدولة في  
مصر . كذلك حدوث حالة من الغلاء والفقر نتيجة انخفاض منسوب مياه النيل وهو  
المصدر الوحيد للزراعة في مصر وهو الأمر الذي زاد من تفكك سياسة الدولة في  
بقية المناطق بسبب فراغ خزانة الدولة من الأموال والمؤن والتي كان يعتمد عليها  
أغلب الولاية في تسيير أمورهم في مناطقهم .

كما أنه ذات الأمر الذي جعل النعاسيين يستغلونه ضد سياسة الفاطميين في جزيرة  
العرب بالأخص .

## الفصل الرابع

### النفوذ الفاطمي في اليمن والخليج

- المبحث الأول: الوجود الفاطمي في اليمن.
- المبحث الثاني: انتشار النفوذ الفاطمي في عمان والهند.
- المبحث الثالث: جهود اليمن في عودة النفوذ الفاطمي للحجاز.



## المبحث الأول

### الوجود الفاطمي في اليمن

كنت بلاد اليمن من أهم المراكز و الولايات التي فتحها المسلمون، ولطالما كانت الملحاً الذي يلجأ إليه عند اشتداد الأوضاع في باقي للولايات الأخرى، من حروب وحفاف ومحاعات وغيرها من المآسي الطبيعية لذلك نرى أن علاقة المسلمين بهذه البلاد منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولقد حرص على أن تكون هذه البلاد على اتصال بالمدينة من خلال حث الدعوة على نشر الإسلام فيها، وحث الجيوش على أن تكون مرتبطة مع المدينة، لتوثيق الصلة فيما بين المسلمين فيها<sup>(1)</sup>.

الذين تربطهم مع شعوب الحريرة وبلاد الشام علاقات وثيقة عن طريق الولاة الذين يبعثون إليهم، تلك المناطق ليحكموها نيابة عن الخلفاء، فيظل الارتباط متواصلاً مع بلادهم، وذلك يؤثر في بقية الرعية الموجودين في اليمن، فتولد عندهم نوع من الارتباط مع تلك المناطق، خصوصاً مع تجار القوافل التي كان لهم تبادل تجاري معهم<sup>(2)</sup> كما ظلت القبائل اليمنية على المدى الطويل تغذي الجيوش الإسلامية الفاتحة، الذين كان لهم دور كبير في انتشار الدعوة الإسلامية وإرساء مبادئها في اليمن، خصوصاً في عهد الخلافة العباسية، فعندما دخلت اليمن في نطاق العباسيين سعوا لنشر الإسلام بين قبائلها على المذهب السني، الذي انتشر في كفة مناطقها وخصوصاً حاضرتها صنعاء، التي أصبحت مقصد للتلاء والعلماء<sup>(3)</sup>.

غير أن أشهر من عاش في هذه البلاد الصليحيون، وهم المنسوبون إلى كامل بن محمد الصليحي حيث قطروا في صنعاء وأصبحت مركزاً لسلطنتهم.

وتعتبر بلاد اليمن مطمع كافة الخلفاء، والدول على مر التاريخ، لما لب من رقعة واسعة تميزت بها عن كفة المناطق الأخرى، حيث تنقسم اليمن إلى خمس أولاياتها مهمة وما حاورها، ومنظمة الحال التي لها اتساع أكثر من الأخرى<sup>(4)</sup>، كما لا يمكن أن نسي مدى تقدم اليمن في المجال الحضري والعمراني والزراعي، وتحتل لها

(1) إختلاني: بعد الحي، نظام الحكومة النبوية المعسمى التراتيب الإدارية، ص 281، 282.

(2) حمد مختار العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص 244.

(3) محمد سرور: سفود الفاطمي في جزيرة العرب ص 61.

(4) عمارة اليمني: بو الحسن نجم الدين: تاريخ اليمن، دار النباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1957، ط 1، ص 148.

في عظمة سد مأرب و عرش بلقيس ، كما تعتبر الزراعة في اليمن من أهم مصادرها وجميع أراضيها زراعية، بل خصبة، وأهم منتجاتها القمح، الشعير، اللوز، العنب<sup>(1)</sup>. وهذه الحبة الحصراء أصبحت هدفاً للمسلمين، وعلى مر التاريخ حكمها عدة دول، من بينها بنو زياد الذين حكموها منذ عام 204هـ/819م، كذلك بنو يعفر الذين حكموها في سنة 247هـ/، وغيرهما من الدويلات الصغيرة التي لم تستمر وحوادث صويلاً<sup>(2)</sup>.

وظلت كذلك حتى استولت الخلافة العباسية عليها، وضممتها إلى ولايتها واستمر هذا الوضع يتعاقب عليها الولاة، غير أن الفاطميين أدركوا أهمية هذه البلاد. ومنذ عهد عبيد الله المهدي مؤسس دولة الفاطميين، حاول هو وأتباعه دس الدعوة الإسماعيلية بين القبائل اليمنية، غير أنه فشل في نشر الدعوة بسبب قوة أنصار العباسيين، حيث أن الدولة العباسية كانت في أوج قوتها آنذاك، ومع ذلك ظلت هناك عدة محاولات من قبل أنصار عبيد الله يحتفظون بالمذهب الإسماعيلي، متمثلاً في أبي الحسن بن حوش<sup>(3)</sup>، وأن طبيعة بلاد اليمن ساعدت كثيراً على استقرار العرب فيها، وذلك لاشتغالهم بالزراعة حيث برعوا في أعمال الزراعة ومشاريع الري حتى سميت هذه المنطقة ببلاد العرب.

وكان ابن حوش يدعو للإسماعيليين في بلاد اليمن وقد بذل مجهوداً كبيراً في نشره وقد أوصى عند مماته في سنة 302هـ/914م ابنه أبا الحسن وأتباعه عبد الله الشاوري أن يستمروا في إقامة الدعوة للمهدي<sup>(4)</sup>، وبعد أن نفذ أمر والد، استمر في ذلك، حتى اتصل عباس الشاوري بعبيد الله في المغرب بيلعه بأنه سيقب الدعوة له في بلاد اليمن، مستشياً إلى ابن الحوش من الحكم، والذي كان بداية نزاع يما بينيما، ولكي ينتقم من الشاوري، عمّن ابن الحسن إلى الانقلاب على المذهب الإسماعيلي، ودون أن يستمع لمصالح أخيه جعفر قام بقتل الشاوري والاستيلاء على ثلثه، وحرض على مناصرة أنصار الفاطميين والقضاء عليهم<sup>(5)</sup>.

(1) شرف الدين أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ دراسات جغرافية، تاريخية، سياسية، ب.د. القاهرة 1964، ص 22-102.

(2) أحمد مختار العدوي: التاريخ العنسي والفاطمي، ص 344.

(3) محمد سرور: الملوك الفاطميون في جزيرة العرب - ص 61-70-72.

(4) محمد سرور: الملوك الفاطميون في جزيرة العرب، ص 68.

(5) زكار يسهيل: حملات القرامطة باليمن دار حسان، بيروت، 1982، ط 2، ص 150-151-152.

مما أدى إلى إخفاء الدعوة الفاطمية لفترة طويلة، وأخطر الفاطميين في المغرب ومصر بعد ذلك أن يغزوا الدعوة سرا خوفاً من الأعمال التي تقام صدهم<sup>(1)</sup>

وفي سنة 429هـ/عرف مقاتل منتقل يدعى علي بن محمد الصليحي بالاستيلاء على صنعاء وأعلن مناطق اليمن وأطلق عليها الدولة الصليحية<sup>(2)</sup> وبذلك استقر الصليحي في اليمن بعد أن رحل من مكة متخوفاً من الأشراف فيها للذين منعه لمدة طويلة من الحج<sup>(3)</sup>. لذلك منذ البداية حاول الصليحي أن يتوجه بسياسته نحو المغرب ومصر خصوصاً وأنهم كانوا يعانون مشاكل مع أشراف مكة الذين بدأوا يهددون الخليفة الفاطمي بقطع الدعوة له<sup>(4)</sup>.

وبعد أن أحس الصليحي في اليمن بخطر الاندثار ما بين الأطراف المتطاحنة و الحكايات والأساطير في نظر البعض أراد الاتصال بالأطراف المساعدة والداعمة وراى الصليحي أن يتوجه بسياسته نحو المغرب ومصر ، وأراد الاتصال بالخليفة الفاطمي لمساعدته ودعمه ، صد أعدائه في الحجاز واليمن ووجد تجاوباً من الخليفة المستنصر بالله ، الذي بدأ يهيئ الظروف والجو السياسي لنشر المذهب والمعتقدات الفاطمية في اليمن قبل دعمه المادي والسياسي للصليحيين<sup>(5)</sup>.

فما كان من الصليحي بعد أن قوي أمره وتوطد نفوذه في بلاد اليمن إلا أن يتصل رسمياً بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وكتب له في سنة 453هـ/1061م يستأذنه في إظهار دعوته، ولكي يطهر للمستنصر طاعته، أرسل إليه هدية ثمينة تشمل على سبعين سيفاً، مقبض كل واحد منها مصنوع من الأحجار الكريمة وأرسل إليه أثواباً وأحجاراً كريمة، ومسكاً وعنبراً، ولما وصلت الهدايا قبلها المستنصر وأمر له برباطات كتب عليها الألقاب، وعهد إليه بالولاية بكونه خليفة الدولة، وسطع سمح له بنشر دعوته<sup>(6)</sup>.

وبذلك اتخذ الصليحي طريقاً شرعياً في سياسته، معلناً بذلك ولاءه لضمير في مصر واتحد بذلك من مدينة صنعاء عاصمة لنولته، وبدأ يدعو للمستنصر على ما سار

<sup>1</sup> أحمد محتر لعبادي - التاريخ العباسي و الفاطمي ، ص 345

<sup>2</sup> لهنداني حسير بن قيس الله ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، مكتبة مصر للنشر ، القاهرة 1969 ، ط 1 ، ص 200

<sup>3</sup> لعلي النعماني في تاريخ بيت الامين ، نفس المصدر ، ص 440

<sup>4</sup> علي النعماني - حكايات واساطير بمنية . من مجلة العربي ، العدد 247 ، يونيو 1979 ، دار العودة . ص 40

<sup>5</sup> عمرة لمسي - تاريخ اليمن ، ص 106 ، الحادي : التاريخ العباسي و الفاطمي ، ص 345

<sup>6</sup> محمد سرور البعوي الفاطمي في جزيرة العرب ، ص 77

بلاده ويشيد به وبكرمه، محاولاً كسب ود العناصر المختلفة، عن طريق إسنده وصعه للفاطميين، الذين كان لهم صيت في الجزيرة<sup>(1)</sup>.

وبذلك التف حول الصليحي العديد من الزعماء ومنهم عمران بن الفضل الياشي، وعباس بن الكرم، كما دأب له جميع اليمانيين، مما جعله يركز على بناء عاصمته صنعاء، فملأها بالقصور، واسكنها الملوك والولاة تحت رعايته وفي صديقه<sup>(2)</sup>.

وباعتباره يحكم البلاد نائباً عن الخليفة المستنصر، فقد حرص على الولاء والإخلاص للفاطميين، من خلال تبادل الرسائل المستمرة لإطلاعه على المستجدات في بلاد اليمن<sup>(3)</sup>، وعندما نوى الصليحي الحج استأذن المستنصر في ذلك وكان ذلك في سنة 456هـ/1063م حيث أدى فريضة الحج، والتي كانت ممنوعة عليه من قبل أشرف مكة، فما كان من الصليحي باسم الفاطميين إلا أن استغل أمر الحج، ونقض على الحجاز واستولى عليه، ودعا للفاطميين على منابر جوامعها، وعندما سمع المستنصر بهذا الأمر سر قلبه لذلك حيث أن الصليحي أثبت له أنه ولي للفاطميين وما كان من الخليفة الفاطمي إلا أن كافأ فأرسل خطاباً يطلعه بأنه خلع عليه لقب (عمدة الخلافة)، وذلك لما قدمه للخلافة الفاطمية في بلاد الحجاز، التي كانت مصدر قلق الفاطميين<sup>(4)</sup>، واستمر الخليفة المستنصر يذكر في رسائله لليمن مخاطباً الصليحي — (السلطان الأجل، الملك الأوحى، أمير الأمراء، عمدة الخلافة، نازح الدولة، ذو المجد، سيف الإمام، المظفر في الدين، نظام المؤمنين، شرف المعالي)<sup>(5)</sup>.

وبعد أن استقر الوضع في بلاد اليمن، أراد الصليحي السفر إلى مصر للانقاء بالخليفة الفاطمي المستنصر<sup>(6)</sup>، وبعد أن جاء الخبر على الخليفة الفاطمي المستنصر من قبل الداعي لمك بن مذك، أرسل إليه خطاباً في جمادى الآخر من سنة 459هـ/1066م يستأذن منه بالمحى، إلى مصر<sup>(7)</sup>، والتي كانت في هذه السنة في حالة من الإصلاح من قبل الفاطميين، سواء من الخليفة المستنصر أو ورثته، والإصلاح شمل الناحية السياسية، من خلال تغيير القوانين في تولي المنصب، أو من

<sup>(1)</sup> الهمداني، المصنفون والحركة الختمية في اليمن، ص 200.

<sup>(2)</sup> الهمداني، المصنفون والحركة الختمية في اليمن، ص 106.

<sup>(3)</sup> حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، ص 240.

<sup>(4)</sup> أحمد مختار العبادي، التاريخ العباسي والفاطمي، ص 345 - الحكي: العقد الثمين في تاريخ اليمن، ص 440.

<sup>(5)</sup> الهمداني، نفس المصنف، ص 213.

<sup>(6)</sup> محمد سرور: سقوط الفاطميين في جريد العرب، ص 79.

<sup>(7)</sup> حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص 242.

الناحية الاقتصادية من خلال تغيير قوانين الضرائب والجباية، سواء في مصر أو الولايات المتبقية لدولته<sup>(1)</sup>، وما أن وصل الخطاب إلى الصليحي حتى توجه إلى مصر، هو وحاشيته وعساكره عن طريق معتمد مع ساحل اليمن من الحبوب إلى الشمال، في طول اثني عشر ميلاً فيضيق للبحر حتى يصبح في عرض ثلاثة أميال أو نحوها، ويسمى باب المنكب ومنها تمر مراكب اليمن إلى ساحل السويس قريباً من مصر<sup>(2)</sup>.

ولقد رأى الصليحي أن يستغل سفرته هذه بالخروج إلى مكة لزيارتها، ولكي يستخلف هناك نائباً عنه فيها، ألا وهو محمد بن أبي هاشم الذي التفت حوله القبائل البدوية مؤيدة لدعوته، وعهد الصليحي والفاطميون من جديد<sup>(3)</sup>، والتي انقطعت عنهم لفترة بسبب تغير الحلفاء والظروف السياسية والاجتماعية في مصر، مما أثر على بعض الولايات، وكانت الحجاز أهمها لما تتمتع به هذه المنطقة من تميز من الناحية الدينية لدولة الفاطميين.

وبالطبع لم يكن الصليحي مشغول البال على بلاد اليمن، فقد استخلف فيها ابنه المكرم أحمد في صنعاء، ولكي يطمئن على ابنه اصطحب معه أغلب الأمراء، وشيوخ القبائل خوفاً من تأمرهم عليه، وإقصائه من الحكم<sup>(4)</sup>.

وبالقرب من مكة تأمر عليه سعيد الأحول بن نجاح، واغتاله لما كان يشك عليه من خطر وشدة في الحرب، فلم يستطع مواجهته، فما كان منه إلا أن يدير له بعض معاونيه في جند الصليحي الدين ساعدوه في القضاء عليه<sup>(5)</sup>.

وبذكر لنا الشيخ نجم الدين عمارة اليمني، أن المتهاونين الأساس هم الأمراء اليمنيون وأهميم وائل بن عيسى الوحاظي، الذين شوا التفرد في مسير الأنبياء فارس، الذين اصطحبهم الصليحي الذي قطع سعيد رأسه، واستولى على ملك الصليحيين وذخائرهم وأموالهم، كما قام سعيد بصف بنبي الصليحيين السيد حنيس محمد الصليحي معه، والذين كان عندهم مائة وستون في صف واحد، ورممهم الحزاب،

(1) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص 195.

(2) ابن خلدون: مقدمة، ص 45.

(3) المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، المصدر السابق، ص 440.

(4) محمد سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص 80.

(5) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص 242. الثعدي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص 345.

ولم يكتف بذلك، بل قام بسبي أسماء بنت شهاب أم المكرم، والتي هربت فيما بعد، وكان ذلك في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة 459هـ/1066م<sup>(1)</sup>.

وفي نفس السنة التي توفي فيها والده تولى المكرم أحمد الخلافة بعد والده، وفي اليمن<sup>(2)</sup>، وبوفاة الصليحي لم تنقطع العلاقات بين الصليحيين والفاطميين بل توثقت أكثر وأقوى في عهد ابنه المكرم أحمد، حيث سار على مسيرة أبيه في الولاء للفاطميين، وتشجع من خلال رسالة الخليفة الفاطمي المستنصر، الذي مجرد سماعه بمقتل محمد الصليحي، حتى كاتبه يعزبه، ويشد من أزره، ويثبته على الحكم في اليمن، يعهد إليه الشئون في الدولة والدعوة الفاطمية فيها، وأن يكون حاكماً عادلاً حسن السيرة مع الرعية، ولا يتبع أهواء الدنيا من المذاذ والكفر، وهو ما سار عليه المكرم أحمد<sup>(3)</sup>.

وأهم الرسائل المبعوثة للمكرم من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر، التي يذكرها لنا حسن إبراهيم حسن في كتابه الدولة الفاطمية ويقول فيها (كان والدك الأمير الأجل الأواحد أمير الأمراء عمدة الإمامة تاج الدولة شرف المعالي سيف الإسم المظفر في الدين نظم المؤمنين علي ابن محمد الصليحي ممن خدم الدين فأخدمه الله سبحانه وتعالى الدنيا... هذا لما عرف أمير المؤمنين أنك نجيب وابن نجيب وورع من شجرة سقي من ماء تذيب برأى وبالله توفيقه أن يمد إليه الاصطناع يدأبوهي باسطة ليد أبيك، ويطمح نحوك بحميل الإردراع عينا يقر الله بها عينه فيك وأن يجمعك خليفة لدينه ودينه وحلفاً صالحاً في يومي مماته ومحياء وأن يشرفك من خاص مدسه ما تباهي بمفاخرة... فعليك بتقوى الله سبحانه وطاعته في سرلمرك وجهره)<sup>(4)</sup>.

والخليفة الفاطمي المستنصر لم يكتف بتبادل الرسائل مع أحمد المكرم، بل بعث إليه التثارييف والأعلام وملابسه الخاصة، ونرى المستنصر يلقب بني رسائله -الأمير، الأحن، شرف الأمراء، وعز الملك وغيرها من الألقاب<sup>(5)</sup> -واسم المستنصر في تشجيع المكرم أحمد، ومحاولة كسب رضاه خوفاً من ميله إلى أصحاب أخرى، معادية لدولة الفاطميين، وأهم هذه الأطراف الدولة العباسية، لذلك بدأ المستنصر في

(1) عبارة اليمني تاريخ اليمن، ص 126، 127.

(2) أحمد مختار العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص 345.

(3) محمد مروز: المرحع السابق، ص 80، 81.

(4) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية في مصر، ص 242.

(5) عبدالمعتمد بن عباد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص 201.

مراسلة المكرم، ومحاولة توثيق الصلة معه، مثلما فعل سابقاً مع أثراف مكة عما أحس بالخطر من انفصالهم عن الدولة الفاطمية<sup>(1)</sup>.

وهذه السياسة تسعها نتيجة استغلال العباسيين للأوضاع المتغيرة في الولايات التابعة للفاطميين في محاولة منهم لقطع الخطبة للفاطميين وخلقائهم.

ولقد سح الخليفة المستنصر في جذب المكرم، والذي حرص على توطيد علاقته بالمستنصر بالله الفاطمي، والذي ظل يرد عليه بالخطابات التي تؤكد ارتباطه بالفاطميين، وسعيه المستمر على نشر الدعوة الإسماعيلية في كافة بلاد اليم، خصوصاً في المناطق التي ما زالت وثنية، وتؤمن بالملك والنجوم في محاولة منه لاستغلال أوضاعهم، ونشر الإسلام فيها وعلى المذهب الإسماعيلي الفاطمي، ولقد نجح المكرم في ذلك في عدة نواحي، حيث بدأ في نشر دعائه الصليحيين في المناطق المأهولة بالسكان اليميين، وأشهر هؤلاء الدعاة الداعي المطهر الذي خضع له أغلب اليميين، والذي كان من أقرب الدعاة لقلب الخليفة المستنصر بالله الفاطمي<sup>(2)</sup>.

فبعد أن تولى المكرم أحمد ولاية البلاد، وتوطيد نفوذه على جند اليم وتوثيق علاقته مع الدولة الفاطمية وكسب رضا الخليفة<sup>(3)</sup>، أراد الانتقام من قاتل أبيه، وهو سعيد الأحول ولم يلبث أن جمع حوله المقاتلين، وشيوخ القبائل الذين كانوا يذونه النصيح في هذه الحرب، لما يعلموه من دهاء ومكر سعيد الأحول، أخذ الاستعداد الكامل للتوجه إلى زبير مقر الأحول، وسار المكرم أحمد كفاك الجيوش، وأمرهم برفع السيوف بعد الفتح، كما أمر كل مقاتل باللباس الأسود. وهو ما اعتاد عليه الفاطميون في حروبهم، وكان سعيد بن الأحول لا يأمن به كمقاتل فقد قاوم بدة المقاتلين اليميين، وبمساعدة مقاتليه تمكن من الفرار من المعركة، غير أنه بمساعدة السيدة بنت أحمد روحة المكرم، تمكن المكرم من قتل سعيد، عندما بعثت إلى سعيد أحد الحنود لكي يخبره بإصابة المكرم بمرض، فما كان من سعيد إلا القدوم إلى الماكين اليميين، الذين أطبقوا عليه وقطعوا رأسه الذي علق في مكانه<sup>(4)</sup>، وكان الخليفة الفاطمي

<sup>(1)</sup> المكي: العهد النقيب، المصنف السبق، ص 441.

<sup>(2)</sup> عبدالمعتمد ساجد: المرجع السابق، ص 198.

<sup>(3)</sup> أحمد مختار الجبدي: التكوين العنسي والفاطمي، ص 345.

<sup>(4)</sup> تمارة اليم، تاريخ اليم، ص 56، 59، 60، 62، 63.

المستنصر على متابعة بأحوال اليمن و للصليحيين، فعندما سمع بما حدث للمكرم وانتصاره على سعيد الأحول، كتب إليه يبلغه بسعادته بذلك<sup>(1)</sup>.

ومما لاشك فيه أن حرب المكرم ضد الأحول أظهرت عدة حواف في الولاية، أهمها بروز شخصية السيدة الحرة زوجة المكرم لما لها من شخصية قوية وبارزة، وتتمتع بحكمة سياسية واضحة، فلم يهملها المستنصر في كونه للمكرم فكان يخصها بالسلام والتحية لتقته بإخلاصها للدعوة الإسماعيلية، كذلك برز ضعف العسكر في القتال<sup>(2)</sup>.

وهذا الأمر أقلق المستنصر فبعث للصليحيين مقاتلين من الجيش الفاطمي، الذي كان يستخدم كل أساليب الحرب المعروفة في عصره، وكذلك لما يتميز به من مهارة فائقة في استعمال أسلحة الحرب من المجانيق والدبابات النفلدية، والسرعة التي كانت مطلوبة من قبل العساكر، وذلك لسرعة الالتفاف على العدو، لذلك أدرك الصليحيون ما كان ينقصهم عندما وصلت إليهم طلائع الجيوش الفاطمية المساندة للصليحيين<sup>(3)</sup>.

وبعد أن اطمان المستنصر على أحوال دعوته في بلاد اليمن، قام في سنة 469هـ/1076م بتولية المكرم أحمد ولاية عمان، وبعث له أن يسلك ويؤيد الأمير عبد الله بن علي العلوي أمير الإحساء، وبعد ذلك بسنة أي في 29 ذي الحجة سنة 470هـ/1077م بعث المستنصر إلى المكرم أنه ولي بدر الجمالي رسمياً منصب الوزارة، وأن عليه أن يضع أوامره وإرشاداته فهي خير للدولة الفاطمية<sup>(4)</sup>. وكان الخليفة الفاطمي قد قلد بدر الجمالي وزارة السيف، لما أثبتته من وفاء وخبرة لحل المشاكل الداخلية لدولة الفاطميين<sup>(5)</sup>.

وفي سنة 484هـ/1091م فقد الخليفة الفاطمي أهم دعائه في بلاد اليمن، وهو المكرم أحمد حيث توفي بعد أن وصى بخلافته إلى الداعية ابن عمه أبو حميد سداً بن أحمد المطهر الصليحي<sup>(6)</sup>، والذي كان جواداً كريماً وشاعراً أدبياً فاضلاً عالماً بالمدح.

<sup>(1)</sup> الحسن بن سعيد حسن، الدولة الفاطمية، ص 244.

<sup>(2)</sup> محمد سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص 81.

<sup>(3)</sup> جلال الممر بن عبد الله الفاطمي، ص 216-217.

<sup>(4)</sup> حسن بن سعيد حسن، الدولة الفاطمية، ص 244.

<sup>(5)</sup> محمد سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 86-87.

<sup>(6)</sup> أحمد مختار لعبادي، التاريخ العباسي والفاطمي، ص 346.



وكان من المقربين للمكرم لما يتمتع من رشد ديني وحربي، ودائم لآلته فأسس من حوله<sup>(1)</sup>.

غير أن السيدة الحرة زوجة المكرم لم ترضَ بهذه الوصية تعد موت زوجها، لذلك استعملت حكيماً ورأست الدولة الفاطمية، فوجهت برسالة إلى الخليفة المستنصر تحبره بوفاء المكرم وتروحه أن يوافق على تعيين ابنها عبد المستنصر مكانه، فأقره المستنصر حلفاً على أبيه، وعهد إليه بشئون الدعوة، وأمر أن تكون جميع المراسلات الصادرة منه إلى بلاد اليمن تكون باسم المستنصر الصليحي، وأراد الخليفة الفاطمي من ذلك الحرص على استقرار الأمور في بلاد اليمن لكي يضمن سيده عليها، وأمر السيدة الحرة بحل النزاع ما بين ابن حميد سبأ وأبي ربيع سلمان بن الأمير، وطلب إليها لكي تسعى في الصلح، ولكي يؤكد سيطرته أرسل المستنصر في ربيع الأول من سنة 480هـ/1087م إلى الصليحيين بأن يطيعوا السيدة الحرة وابنها عبد المستنصر، وناشدهم لكي يتحدوا في سبيل نشر الدعوة، وأنه سعيد للخدمات التي قدموا بها في سبيل نشر سلطته في اليمن<sup>(2)</sup>، والتي ساعدت على نشر الدعوة الفاطمية في كافة بلاد اليمن والمناطق المحيطة بها بالإضافة إلى ذلك التعاون المحلي للفاطميين، من خلال تيسير الطرق التجارية باعتبار اليمن حلقة وصل ما بين المحيط الهندي والبحر الأحمر، وهو معبر التجار القادمين من مصر.

وفي هذا الوقت أصبحت الدولة الفاطمية تعالج أمورها بالسياسة قبل الحرب، التي اعتبرها لفترات طويلة جزءاً من الواجب الديني، بتحويل الناس وقيادتهم نحو الدين الصحيح، غير أنه مع تقدم الدولة واتساعها أصبحت لدى الخليفة المستنصر أدلة الحلول المطروحة، خصوصاً في عهد السيدة الحرة أروى<sup>(3)</sup>، التي كانت على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، قارئة وتحفظ الأشعار وتؤرخ العرب. - إضافة إلى التقوى وما تتمتع به من خبرة واسعة، ساعدها على إدارة شئون بلادها في ظروف متقلبة مرت على كافة بلاد اليمن<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص 64، 65.

<sup>(2)</sup> محمد سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص 88، 89.

<sup>(3)</sup> جلال -انعم لدير الله الفاطمي، المرجع السابق، ص 206، 207.

<sup>(4)</sup> الهمداني، صليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص 143، 144.

ولقد تدخل الخليفة الفاطمي المستنصر في شئون السيدة الحرة، عندما أرسل الداعي ساس أحمد من أجل إقناعها من أجل الزواج به، خصوصاً بعد وفاة أبيها عند المستنصر، واحتراماً للإمام الفاطمي قبلت بالزواج الذي ساعد على احترام الساس لانس حمير. الذي على الرغم من زواجه بالسيدة الحرة لم يتمكن من السيطرة على شئون الدولة اليمنية واستمرت في سياستها الموالية للفاطميين، ووثقت صداقتها معهم، خصوصاً مع والدته المستنصر في مصر، وعلى الرغم من ضعف الدولة الفاطمية في أواخر عهد المستنصر، إلا أنها لم تتأثر هذه العلاقة، بل وقعت مع الفاطميين وسادتهم وأظهرت بذلك شخصية المرأة العربية النبوية فيها المخلصة، على الرغم من وسائل عدة كان بالإمكان استغلالها<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 487هـ/1094م وبعد ستين سنة من ولايته للحكم، توفي الخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله يوم الجمعة المبارك، بعد أن نشر الدعوة الإسماعيلية والنفوذ الفاطمي في أغلب الولايات، التي انقطعت الخطبة للفاطميين فيها. فأعدها للنفوذ السياسي للدولة الفاطمية.

ولم يتأثر الدعاة الإسماعيليون في اليمن بما حدث للفاطميين في مصر. وبوفاة الخليفة المستنصر الذي خلف ابنه القاسم أحمد المستعلي وظلت السيدة الحرة تقيم الدعوة للخليفة الجديد المستعلي واستمرت تدين بالوفاء له<sup>(2)</sup>.

على الرغم مما كان يحدث في اليمن من تطورات انقسامات إسماعيلية. ونكي يوطد علاقته في بلاد اليمن، أرسل خطاباً إلى السيدة الحرة، وذلك في 8 صفر سنة 489هـ. يطمئن فيها السيدة الحرة عن الأوضاع في مصر، وأن الوزير بدر الحسالي يتولى شئون الدولة الإدارية. وأن البيعة أحدثت نه من قبل رجال الدولة. ونيت لأخيه الأكبر نزار، كذلك حاولت والدته الخليفة المستعلي حثب الدعاة في اليمن من أجل إيمان. وتأييدهم إليه. فقامت بنعت رسالة إلى السيدة الحرة تحثها على عبد الخليفة المستنصر. ومحبيه لأنه المستعلي. ومفاضلته عن نية أبنائه لما له من حرة وقصة سياسية<sup>(3)</sup> وهذا يدل على قوة المرأة العربية في عصور الخلفاء. وتبرز في توضيح

(1) محمد سرور اسفود الفاطمي في بلاد جزيرة العرب. ص 86، 88.

(2) حسام إبراهيم حس. الدولة الفاطمية. ص 264.

(3) محمد سرور: سياسة الفاطميين الخارجية. ص 93، 94.

الأمر إلى محاربا للمراد سياقها عليه، سواء كانت والدة المستنصر، أو السيدة الحرة، أو حتى زوجة المستنصر ووالدة الخليفة المستعلي.

وعلى الرغم من أن اليمن لم يتأثر من الناحية السياسية بما حصل في مصر للفاطميين إلا أنه كان هناك تأثير بسيط من الناحية الدينية حيث ظهرت فرقان الأولى عرفت بالراوية وهي تؤيد ابن المستنصر نزار والثانية تؤيد الخليفة المستعلي وتؤيد دعاة الإسماعيلية في اليمن<sup>(1)</sup>.

وان دل هذا على شيء فهو يدل على أن الاتصالات الشخصية بين الأمراء و الحلفاء الفاطميين أنت بثمارها، فقد تركت أثراً في نفوس الناس من محبة للإمامين، وما يؤمنون به، بل كسب الفاطميون أنصاراً لطلالما كانوا عوناً لهم في بلاد اليمن<sup>(2)</sup> وتجدر الإشارة إلى أن نجاح الخلافة الفاطمية في بلاد اليمن، يعتبر من أهم الانتصارات للدولة، لما لها من أهمية كبيرة، باعتبارها حلقة وصل ما بين الشعوب في آسيا وجزيرة العرب، وبلاد الشام وشمال أفريقيا.

ولقد كان لضعف الدولة الزيدية أثر كبير في نجاح دعوة الفاطميين في بلاد اليمن، حيث استغل الفاطميون أحوال البلاد لتعزيز وجودهم البسيط فيها، كذات التجهيزات العسكرية التي أعدها الفاطميون في مصر، لكي يزودوا الصليبيين، لها دور في استقرارهم في هذه البلاد.

ولا يمكن أن ننسى الصليبيين، الذين رحبوا بوجود الدعاة الفاطميين في بلادهم، كما حرص الفاطميون بعد أن استقروا في اليمن، على نشر دعوتهم في المناطق الموجودة بالقرب من اليمن، ساعد على توطيد علاقتهم مع سكان المنطقة، وعزز مركزهم في الجزء الجنوبي من جزيرة العرب .

كما أن الصلاحيات التي اتبعتها المستنصر في بلاد اليمن، ساهمت في اكتساب الاحترام له والفاطميين من قبل أمراء اليمن، حيث نراد يسرع في حل شراعات التي كانت تقوم ما بين القبائل بقبائل الجيوش.

<sup>(1)</sup> محمد سرور، دعوات الفاطميين في جزيرة العرب، ص 93  
<sup>(2)</sup> الهيداني، صليبيون والحركة الفاطمية في اليمن، ص 14، 15

وعلى الرغم من مظاهر الصعف التي أصابت الخلافة الفاطمية في مصر ، في أواخر عهد المستنصر ، لم تتأثر بلاد اليمن بذلك الصعف حيث أظهر ولاية اليمن مدى إخلاصهم للفاطميين ، ورادت الثقة بينهم وبين الخلافة الفاصمية في مصر .

وسرى السيدة الحرة عند وفاة المستنصر بالله ، وحلفه ابنه المستعلي أيدت خلافته ، بل براها تدعو له على منابر المساحد في بلاد اليمن ، وهذا هو السبب الذي جعل الحليفة الجديد يتشجع في مواصلة الدعوة لدى الصليحيين دون الحشية من الصراعات التي قد تحول دونه ودون سياسته الدينية والسياسية في اليمن .

ولم تنقطع الدعوة في اليمن إلا بعد زوال السيادة الصليحية فيها ، حيث أن الزوال الحقيقي للفاطميين ونفوذهم في اليمن جاء من ولاية الأيوبيين في هذه البلاد .

## المبحث الثاني

### انتشار النفوذ الفاطمي في عمان والشند

تشتهر عمان بموقعها الاستراتيجي الهام، وهي من المناطق التي لا يستقر لها وضع سياسي لفترة طويلة، باعتبارها منطقة مرتبطة مع المناطق المحيطة بها، ولأن أغلب الأمراء يطمعون بالسيطرة عليها، باعتبارها منفذاً لأغلب طرق القوافل المارة بالجزيرة، لذلك نرى عمان دائمة التغير من الناحية السياسية، ومنذ أوائل القرن الرابع، اعتبرت حاضرة للقرامطة الذين بسطوا سلطانهم عليها، موقع عمان الإستراتيجي هو الذي جذب إليها الأقوام فهي تلك المنطقة التي تقع على ساحل الجزيرة، واعتبرت مرسى للسفن المغادرة والقادمة من بلاد فارس والهند، وهي قلعة كبيرة ومدينها مسقط، أهم ما فيها من مدن لتحصنها واختلاط أعداد كبيرة من الأجناس، سواء من الشام ومصر أو اليمن أو بلاد فارس<sup>(1)</sup>.

وأهمية منطقة عمان توازي المناطق المجاورة لها من البحرين وعين واليمن والحجاز وغيرها من المناطق المتميزة والتي تمتد حولها.

ومن المرجح أن ذلك ساعد على قدوم هؤلاء الأقوام وبالأخص القرامطة الذين وجدوا بلاد عمان ملجأ لهم بعد انقسام أمرتهم في الخلافة، حيث قدم أبو الطاهر إلى هذه المنطقة مع مقاتليه فاستولوا على الحكم وقتل أميرها محمد الشامي الذي تم تعيينه من قبل الخليفة العباسي المعتضد والذي كان يقيم الحظنة للعباسيين في<sup>(2)</sup>، كما أنها مجال واسع النفوذ لديهم حيث ارتبط العباسيون به بعلاقات مباشرة وغير مباشرة في العديد من المجالات منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهو الأمر الذي ساهم في تطور وحدتهم في هذه المنطقة<sup>(3)</sup>.

ولقد انتشر القرامطة الوضع المتقلب في عمان وسطوا نفوذهم عليها وتعلعنوا في كافة مسطقتها، كذلك كانت عمان مقصد معز الدولة بن بويه، بعد أن شرف بالفتن والاضطرابات التي شاعت فيها، وعلى الرغم من وجودهم فيها إلا أن عود المعز لم يتوحد في عمان بسبب الحوارج الذين ارتدوا عليه<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> يقول الحموي معجم البلدان، ج 1، ص 159

<sup>2</sup> محمد سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 111

<sup>3</sup> عبد دادم، حبيب صانع، العلاقات الخارجية للدولة الفاطمية خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية الآداب والتربية، جامعة شند، 2006، ص 113

<sup>4</sup> محمد سرور، سياسة الخارجية فاطميين، ص 57، 58، 59

وعلى الرغم من أن أسرة بني مكرم اليمانية استطاعت تدبير شئونها في عمان بعد أن أقاموا الحطنة للعباسيين، وما لبث أن انقلب عليهم كثيرهم بسبب صراع الوراثة على السلطة والانشقاق فيما بينهم، لاستغلال الأطراف الأخرى للأمر، والمستفاد الأكبر لذلك أبو كالحجار أمير بويه في العراق، الذي أخذ البيعة له من أبناء بني مكرم في سنة 431هـ/، واستمرت حالة الصراع في بلاد عمان على الرغم من وجود بنسب بويه فيها.<sup>(1)</sup> إلا أن هذا لم يمنع من عودة الخوارج، حيث زادت حالة الانشقاق والفساد فيها، ما بين معارض ومؤيد لهم دون الاهتمام بالوضع الاقتصادي للبلاد في عمان.

وبما أن الدولة الفاطمية كانت في حالة سياسية جديدة، من حيث البحث عن موطن قدم جديد، كانت أمامها عمان وما يحيط بها من دويلات. لكي تبسط نفوذها عليها خصوصاً وأن عمان كان يوجد بها المذهب الإسماعيلي، الذي انتشر فيها منذ أواخر القرن الثالث الهجري، عن طريق الفراسطة الذين فروا من الشام، بعد أن طاردهم بنو العباس لولائهم للفاطميين.

ولذا يتضح أن الدولة الفاطمية لم تغض النظر منذ البداية عن بلاد عمان، وأدرك الخليفة الفاطمي المستنصر ضعف النفوذ العبلي، هو ما أدى إلى عدم استقرارها لذلك نراه يستغل الوضع، ويبعث إلى المكرم أحمد في سنة 469هـ/1076م، وإلى اليمن بخطاب يحثه فيه إلى إدارة شئون عمان، وأن يزرع الأمن والاستقرار السياسي فيها وأن يعتبرها جزءاً غير مستقل عن بلاد اليمن<sup>(2)</sup>.

وكان من خلال ما ذكره لنا اليمداني في كتابه الصليحيون في بلاد اليمن، عندما طرح لنا رسالة الخليفة الفاطمي يحث المكرم على التصدي لأعداء المذهب الإسماعيلي في كافة المنطق المحيطة باليمن، خصوصاً نيامة وعمان التي يريه حالها وصعها سبحة شئت أهابها ومذاهبهم، كما نفيه بكونها الأقرب لليمن فهي أولى له من غيره، وأمره بأن يذهب إليها مع خيرة رجاله، لكي يضعوا فيها قوانين دولة الفاطميين ومذهبهم، ويرى المستنصر يحتم خطاه بتذكيره بولائه لأجداد الفاطميين وأبناء علي بن أبي طالب<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> ابن الأثير، مكرم في التاريخ، ج 4، ص 162، 163.

<sup>2</sup> محمد سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 61.

<sup>3</sup> اليمداني، الصليحيون في اليمن، ص 319.

وهو الأمر الذي كان له الأثر في نفسية المكرم، والذي اعتبرها نصحاً أكثر منها أمراً. موحية إلى منطقة لطالما كانت منفذ أعداء اليمن إليها، ومقر اللصوص للاستيلاء على قوافل التجار للمارين عليها، باعتبار عمان تتوسط المناطق سواء اليمن أو الحجاز، لذلك كان لابد من وضع حاجز لذلك المنفذ الساحلي.

وقد قام المكرم بتجميع مقاتليه لفتح وسط نفوذه على المناطق المحاذرة لليمن بعد أن تعلق الدعاة فيها بما فيها، تهامة وعمان اللتان سرعان ما دخلها جنوده تحت قيادته الحكيمة، التي ساعدت على القضاء على كافة المعارضين لمذهبه، ودعوته الجديدة، وهكذا أصبحت تهامة وعمان حاضرة تابعة للفاطميين في مصر شأنها شأن أغلب مناطق الجزيرة تحت رعاية الصليحيين في بلاد اليمن<sup>(1)</sup>.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت بلاد اليمن ترسل إلى عمان دعاة لكي ينشروا الدعوة الفاطمية فيها، وذلك لكي يدعموا باقي الدعاة المتوغلين في مناطقها، مما زاد أنصار الفاطميين فيها، لدرجة أنه أصبح هناك خطابات من المناطق التي لم يصل إليها الدعاة الفاطميون لكي يزودهم بالدعاة للدعوة الإسماعيلية. ورد الخليفة الفاطمي المستنصر على ذلك بإرسال الداعية إسماعيل بن إبراهيم بن جابر والذي كان رجلاً حكماً عادلاً يتكلم باسم الدين لا باسم الفاطميين مما زاد إقبال الناس عليه لكي يغرفوا من منهلته وبذلكانه حبيب الأهالي بالدعوة الفاطمية ونشرها في أغلب المناطق الدنية وإرساء أركانها في عمان كافة<sup>(2)</sup>.

أما هؤلاء الدعاة هم الأساس الأول للدولة الفاطمية في نشر وبسط نفوذها في هذه المسطوق والسبب في ذلك هو قيمة الأعمال التي قدموها، والحاجة الماسة إليها في تلك المسطوق والتي لا يستطيع الإيفاء بها عامة الخلق، وإنما تحتاج إلى من عندهم الخواص ممن أقبل على دينه، وشرفه في معاملاتهم مع الناس، فهم لا يحضرون لأهل الحاشية، حتى يستدرون به الرزق الرعية، بل لا يسعون ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا، فهم معزول عن ذلك، لذلك لا تراهم تعظم ثروتهم في الغالب، وهم الذين أحلوا المذهب الإسماعيلي في كافة الأمير الدينية من قضاء وقوى والتكرير والإمامة والخصامة والأذان<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> همداني، الصليحيون في اليمن، ص 122، 123.

<sup>(2)</sup> محمد سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص 62، 63.

<sup>(3)</sup> بن خندوب، المقدمة، ص 209، 310.

ومن خلال ذلك يتضح لنا أن سياسة الفاطميين كانت مبنية على أساسين، أولاهما: سياسة القتال والحروب، وهو ما رأيناه في أغلب فتوحاتهم في بداية الدولة الفاطمية، وثانيهما سياسة الفلم والكتاب، واتضح لنا في فتوح اليمن وعمان، التي بث فيها أنصار الدولة، ثم الدعاة للذين نجحوا في بسط سلطان الدولة الفاطمية فيها، مكملاً لدويلات الجزيرة العربية<sup>(1)</sup>.

ويرى مند البداية أن منطقة عمان كانت وجهة الفاطميين ودعاتهم، باعتبارها منطقة مكملة للحجاز واليمن والعراق ومنه وحدود حلب، لذا بعد أن تم الفاطميون من بث دعائهم في تلك المناطق كانت عمان محط أنظارهم، لكي تكون منارة لهم على السواحل الشرقية للجزيرة العربية.

### الهند

عندما نتحدث عن نفوذ الدولة الفاطمية السياسي الخارجي لابد لنا أن نتطرق لمقاطعة الهند إن صح التعبير بكونها ولاية فهي أكبر الولايات والوحيدة التي تعتبر خارج نفوذ المسلمين على الرغم من تغلغل الإسلام فيها عن طريق تجار المسلمين المتعاملين مع سكانها والتي فتحت عن طريق القائد محمد بن القاسم الثقافي في سنة 89هـ/707م. ومنذ ذلك العهد أصبحت الهند إقليماً إسلامياً وعلى الرغم من دخول الإسلام إليها لا يمكننا أن نلغي كيان بلاد الهند، والتي لها حضارة قديمة تعاصر في حضارتها حضارات مصر، وبابل وآشور، واليونان، والتي يتفق الأغلب أن هذه الحضارة بدأت قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف سنة. كما استمدت هذه البلاد اسمها من كلمة "سندھو" وهو الاسم الهندي لنهر الأنندوس، بمعنى الأرض التي تقع فيما وراء نهر الأنندوس<sup>(2)</sup>. ومهما يكن من معنى فإن بلاد الهند هي تلك الأرض الشاسعة، تحدها الصين وبلاد التوقاز، وخليج البحر، الذي يحد أغلب بلاد الهند لدرجة أنه يطلق عليها أغلب المؤرخين القارة الهندية لما يحيط بها من بحر. أما من حيث الكرى والتي كان لها دور في جذب التجار المسلمين القادمين من حرر نحرير وعمر والتي انتشرت فيها دعوة المسلمين هي سندان، قنبل، كسانة سواردة، والتي كانت مقصداً لأغلب ملوك الهند.

<sup>(1)</sup> محمد سرور سياسة الفاطميين الخارجية، ص 64

<sup>(2)</sup> اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ج 1 ص 84



ويمكننا أن نقول إن الفتح الأول لهذه الأرض كان على عهد عثمان بن عفان تحت قيادة عدد منهم بن عامر كزي<sup>(1)</sup>.

ومن الناحية الجغرافية لبلاد الهند فقد اشتهرت هذه المنطقة بكثرة المياه فيها، فقد أحاطت بها كميات وفيرة من المياه، مثل المحيط الهندي والذي يحيط بها من جهة الشرق والغرب والجنوب، وهو الذي جعلها من أهم الأراضي التي تنسب بالمياه طوال فترات السنة.

كما تميزت بلاد الهند عن غيرها من المناطق المحاورة، وبعض الجبال على السواحل العربية لها والتي أصبحت مركزاً لمسلمي البلاد، أما من ناحية سواحلها فمعرف بصعوبتها، والذي أدى إلى عدم وجود أي مراسي بحرية فيها، اللهم بعض الصخور والتي كانت تساعد المراكب لاستقرارها على شواطئها، وبذلك لم تكن فيها أي قوة بحرية على الرغم من كبر سواحلها، والذي جعلها في عزلة جغرافية لصعوبة الوصول إليها، كذلك انقسام مناطقها الداخلية ساعدت في هذه العزلة، حيث توجد سلاسل جبال ونديا windia والتي شكلت حاجزاً بين شمال الهند وجنوبها، كما توجد صحراء راجبوت والتي اعتبرت وسيلة دفاع ضد أي هجوم للهنود قادم من الشمال<sup>(2)</sup>.

ولقد كانت هذه العزلة التي أحاطت ببلاد الهند ساعدت في تطور العلاقات مع المسلمين، وذلك سواء كانت هذه العلاقات من الناحية الاجتماعية، من حيث المحافظة والالتزام، أو من الناحية الاقتصادية من خلال تدفق التاجر فيما بينها، أو من الناحية السياسية حيث أسس الهنود أغلب مدنهم من برون وهيمور .

وبما أن الهند في ذلك الوقت لم تخضع لكيان سياسي واحد، بل انقسمت إلى العديد من الكيانات السياسية والتي تباينت في الحجم والقوة، فمن ناحية الشمال الذي خضع إلى مملكة كشمير، التي امتدت إلى مملكة الهند كوش في كابل شمالاً، ومملكة فنوج جنوباً، التي امتدت نفوذها إلى شمال الهند، من سواحلها الشرقية حتى سواحل تحريت ، وهذا لم يصعب مهمة المسلمين في بلاد الهند .

وتراجع سيرة مملكة فنوج إلى نزعمها المقاومة القتالية ضد المسلمين، الذين وصلوا إلى الهند منذ بداية العهد الأموي . حيث حاولوا الوصول إلى الحية العربية للبلاد .

(1) الاصطوري - نيكيت والمميش - ص 102

(2) الميش - الم - لاسر الجغرافية والاجتماعية للهند مجلة ثقافت الهند - المجلد السابع - مارس - يونيو - 1956 ص 122  
تعريف من هند وتحريرها - مجلة تصور - المجلد الثاني - الربيع - 1987 ص 139

غير أن الهنود من مملكة قنوج، ومملكة الراشتراكوت كانوا السد المنيع، حال دون ذلك الذهب وكان ملوك الراشتراكوت يطلق عليهم ملوك الجزر، لامتلاكهم تلك الأراضي<sup>(1)</sup>.

وفي المنطقة الشرقية في البنغال تعتبر مملكة بالاس polas والتي أسست على يد جوبالا في سنة 132 هـ/750 م حيث كان هناك تصادم مع ملكة الراشتراكوت المتزعمة على مناطق الهند<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ أن الممالك الهندية كان لها السلطة الأولى في تلك المناطق، حيث تكونت كيانات سياسية داخلية اقوى العظمى للمملكة التي تمتلك الأراضي الأكبر والأموال الأكثر وإذا ترجمنا الأحداث نجد أن مملكة الراشتراكوت وقنوج هما المملكتان الأقوى في المناطق الساحلية خصوصا من الناحية الغربية والجنوبية<sup>(3)</sup>.

وهو الأمر الذي جعل هذه المملكة، أي الراشتراكوت مستهدفة من قبل أغلب الممالك الصغيرة مثل ملكة جيرا التي سيطرت على ساحل مليبار، ومملكة بانديا التي بسطت سيطرتها على ساحل الهند الجنوبي، ومملكة حوبا التي بسطت نفوذها على السواحل الجنوبية والشرقية، وعلى الرغم من هذه المناوشات إلا أن السلطة في النهاية سادت لمملكة الراشتراكوت بفصل تنصيبها السياسي والحربي<sup>(4)</sup>.

وكان المسلمون في ذلك الوقت في طور الانتقال السياسي، والبحث من أجل نشر الدين الإسلامي في المناطق المحاورة. وبما أن المسلمين زاروا سابقاً القارة الهندية، كانوا على دراية بخصوبتها ووفرة مياهها، ومن خلال العلاقة مع أهل المسند كان الدخول الأول للعباسيين، الذين واجهوا في البداية صعوبة شديدة في الدخول إلى الهند غير أن القائد مصور بن حمبور شق طريقه في هذه المنطقة، والذي سعى كثيراً من أجل أن يكون للمسلمين موطئ قدم للعباسيين في الهند. خصوصاً بعد أن كثر عدد القبائل العربية هناك وكثرت منازعاتهم من أجل الأراضي والتجارة، الأمر الذي جعل بن حمبور يركز على توحيد كلمة المسلمين ونشر دعوة الإسلام<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن : محمد نصر : العلاقات السياسية والحصارية بين الدولة العباسية والهند، مكتبة الادب ، (عده 2001) ص 55 67

<sup>2</sup> سحر ، سمان ، أخبار الصين والهند ، نشره موقاحيه ( باريس 1948 ) ص 12.

نمسعودي : أبو الحسن علي : روح الذهب ومعادن الجواهر ، ب . د . القاهرة ، 1967 ، ط 12 ، ص 70

<sup>3</sup> نقاسمي : خالد محمد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ب . د . بيروت ، ص 54.

<sup>4</sup> مرفع مجهول : عيون والحدايق في أخبار الحقائق، مكتبة تحفي ، ج 3، بغداد ، 1969 ، ص 182 ..

لذلك نحد أن العباسيين لقوا صعوبة كبرى، فكانت مهم أي مسلم الحراسي استعادة أملاك الأمويين، لذلك رأى أنه كانت هالك حملات كبيرة لبلاد ما وراء النهرين، التي اسلحت عن الدولة الأموية، وبالفعل استطاع أن يستولي على أغلب المناطق، التي نزل بها الحراساني بعد فصل السد عن الهند، وعلى الرغم من الاحتياط الذي اتبعه العباسيون، لقي الأسطول العباسي هزيمة مفاعنة بعد النجاحات التي لقيها حيث هاجمهم بعض الممالك الهندية، مما اضطر أغلب الحيوث إلى الانسحاب والعودة إلى البصرة..

ومن ذلك نلاحظ أن العباسيين لم يكن دخولهم القوي منظمأ حسب ما اعتقدوا بالإضافة إلى النزاع القبلي بين العرب المستقرين في الهند حيث كان له التأثير الكبير من خلال عدم اهتمامهم بالمسلمين القدامير بل كانوا منشغلين في كسب حروبهم الخاصة، وما كان بعد ذلك لم يكن ذي شأن في محاولتهم لدخول الهند عنوة، خصوصاً أن العباسيين كنوا في حالة من الانهيار السياسي وخشية من قوى أخرى متمثلة في الدولة الفاطمية الصاعدة على مسرح الأحداث الإسلامي.

ولقد استخدمت الدولة الفاطمية بلاد اليمر لكي تتصل ببلاد الهند، فقد كانت جميع العون والمراسلات تمر على اليمن والاطلاق إلى الهند، كذلك لم يثن، الخليفة الفاطمي المستنصر الدعاة فحين بلغه أن الدعاة توفوا في الهند، وأن هناك بعض الأنصار للمذهب الإسماعيلي في تلك البلاد يطالبون بدعاة للدعوة، أرسل في سنة 476هـ/1083م إلى المكرم والي اليمن بخطاب يعين فيه الداعية النشيط مرزوبان بن إسحاق داعياً في الهند، وعليه مساعدته للوصول إلى هناك دون مشقة وبأمان<sup>(1)</sup>.

وكان مقصد الخليفة هو حماية الدعاة من الأخطار التي قد يتعرضون لها أثناء عبورهم للولايات، أو في أثناء تأدية واجبهم الديني. سواء كانت هذه الأخطار تتمثل في قطاع الطريق واللصوص، أو أعداء الدولة الفاطمية وبالأخص أنصارها المتواجدين في الولايات الفاطمية، لذلك حرص أن يعبر دعاة بلاد اليمر مراً باليمن، ثم عمان ومنها يعزروا في سفن بحر فارس حتى يصلوا إلى البحر الهندي في الحوب، وهي داية الأر حسي الهندية<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> محمد سرور سباسة فاطميين حارحية ص 63

<sup>(2)</sup> ابن خلدون، مقدمة، ص ص 47، 46.

ومن البداية كان الفاطميون ودعاتهم مدركين خطورة الأمر، في تدخلهم في بلاد لها ثقافة ولغة وديانات خاصة بها، على الرغم من وجود بعض التيارات الإسلامية فيها، ومدركين لقوة هذه الديانات التي اتحت أشكالاً وطبائعاً مختلفة حيث أن بلاد الهند والسند كانت فيها أقوى ديانات وثنية . لذلك سرعان ما تحرك الدعاة الإسلاميون فيها محرضين على نبذ وترك عبادة الأوثان ومعرفة بعقائد الدين الإسلامي وأهدافه وسرعان ما استجاب الأهالي، بمساعدة الأنصار للتولية الفاطمية بكسر وحرق الأوثان، والنداء في الناس بالتراجع عن عبادتها، والإقبال على الدين الإسلامي

وعلى الرغم من نجاح الفاطميين ودعاتهم في الهند ، لا يمكننا أن نفلح حجم نجاح الدعاة العباسيون في البلاد، والذين كان لهم دور في نجاح مساعي دعاة الدولة الفاطمية ، فكان هناك دعاة عباسيين استقروا في بلاد الهند جمعوا حولهم جماعة من المسلمين وأهم هؤلاء الدعاة هم أبي القاسم البصري والداعية معتز بن أحمد وعلى الرغم من اختلاف خلفائهم إلا أنهم ساهموا كثيراً في نشر الدين الإسلامي في الهند ومناطقها المحيطة بها ، جاعلين عبدة الوثن والكفر يتفقهون في مناطق ومدن معينة متخذين من مدينة مكران في الشرق مقراً لهم ، وهي المدينة التي فتحها العرب منذ أيام معاوية بن سفيان، الذي وضع فيها أنصار الدعاة له على منابر مساجدها التي بناها للمسلمين فيها. <sup>(1)</sup> كذلك لا يمكننا أن ننسى مدينة بلهوا، وهي منطقة كبيرة، والتي كانت مقصد الدعوة الإسماعيلية، حيث كانت فيها مساجد تجتمع فيها الجماعات الإسلامية ، فاستغل الدعاة ذلك لكي ينشروا دعوتهم، وخطبهم للفاطمية، ومركز خلافتهم في مصر، وباعتبارهم الحلفاء الوحيدون في العالم الإسلامي ، ونرى أن الفاطميين لم يفصلوا عن دعاتهم من حلق دعمهم مادياً ومعنوياً، والإشراف عليهم، والحرص على سلامتهم في هذا البلد الكبير ، ولقد نجحوا في ذلك من خلال النتيجة التي توصل إليها دعاة الفاطميين ، حيث بدعوا يتدخلون في فتاواهم على الناس، حتى الأسعار في النسيج في الهند أصبحت تقاس بالأسعار الموجودة في مصر، وكافة الرذائل الفاطمية، كذلك النقود الهندية أصبحت تحسب بالنقود الفاطمية، والمسماء بالنقود القاهرية نسبة للعاصمة القاهرة <sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن حوقل : صور الأرض ، ص 279 - 280 .  
<sup>(2)</sup> الأصبغري : المسالك والممالك ، ص 102 ، 103 .

وبعد وفاة أكبر دعاة الدولة الفاطمية في الهند وهو الداعي مرزبان بن إسحاق ، شعر الفاطميون في مصر بالقلق والخوف على مصير دعوتهم في أكبر البلاد الإسلامية ، والتي بحسب دعوتهم ، لذلك قام الخليفة المستنصر لدين الله بإرسال خطاب إلى السيدة الحرة ، بعد أن آل إليها الحكم في سنة 481 هـ ببلاد اليمن ، يطعها بموافقة على تعيين الداعية أحمد بن مرزبان نكي يتولى منصب والده في الدعوة في الهند . ولأنه يندى ارتياحه لاختيار الداعي حمزة بن بسط حميد الدين لكي يكون معاوناً لأحمد في نشر الدعوة الفاطمية في الهند ، ولأن يكون تحت إمرته ، وذلك لصالح الدعوة والمسلمين كافة ، وذكر المستنصر في خطابه بمجهودات السيدة الحرة ، وما تقوم به في سبيل إنجاح الدعوة الفاطمية في كل من اليمن وعمان والهند ، فحثها على الاستمرار والتقدم في نصرة هذا الدين الإسلامي . ومعتبراً لها علامة بارزة للدولة الفاطمية ونجاحاتها<sup>(1)</sup>.

ونرى أن هذه المساعدات التي تلقاها الفاطميون من بلاد اليمن ساهمت بشكل كبير في نشر الدعوة الفاطمية في الهند ، كذلك لا يمكننا أن ننسى الظروف التي كانت تحيط ببلاد الهند حيث تواترت عليهم المجاعات والأمراض ، فاستفحل عليهم الموت حتى ذهب أغلب علمائهم وضعف ملكهم وهو الأمر الذي ساهم في تقدم الدعوة الفاطمية في الهند مستغنين حالة الاضطراب والتشتت الديني لديهم<sup>(2)</sup> ، خصوصاً مدينة مكران ، والتي اشتهرت بأراضيها الواسعة ، والتي تتميز أيضاً بالقطر والجوع والفراغ الديني ، لذلك وجد فيها أنصار الفاطميين منفذاً لدعوتهم ونشرها في هذا المكان الذي عرفوا أنه مركز أغلب المسلمين ، والتجمع لكافة النصارى وناقلي البضائع<sup>(3)</sup>.

بالإضافة إلى مناخ بلاد الهند والذي يعتبر من العوامل المساعدة للمسلمين في مناطقها ، فقد تتميز بمناخ معتدل كثير الأمطار ، مما ساهم في تكوين عدد أبناء عظيمة ينح بعضهم من الشمال ، حيث جبال الهمالايا وتصب في بحر العرب ، مثل نهر أندوس أو سند ، وغيرها من الأنهار والتي عبرها الدعوة للوصول إلى المناطق البعيدة دور مشقة كبيرة . وهذه الأنهار صمام الحياة لبلاد الهند ، لما تعاش عليها

محمد سرور ، السياسة الفاطمية خروجه ، ص 63

يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، ج 1 ص 89

الاضطراب مساك والمساكن ص 105

العديد من المدن والقرى بالاستفادة منها في الشرب والزراعة، التي تعتش منها أغلب القوميات في الهند، سواء إسلامية أو هندوسية أو بوذية، فالكُلُّ مهما اختلف ديه يعتمد على مبادئ هذه الأنهار، التي أفادت أغلب الدعاة و التجار في التنقل داخل بلاد الهند .  
ومما لا شك فيه أن الخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله، أراد توسيع نفوذ الدولة السياسي، من خلال غزو أنصاره ومؤيديه لهند القاطنين.

وعلى الرغم من الصعوبات التي كان يواجهها الفاطميون في مناطق أخرى مثل الحجاز، والاضطرابات السياسية الداخلية في مصر، إلا أن ذلك لم يقلل من مجهوداتهم وبذل من عزمهم، لمد نفوذهم في عمان والهند، والتي اعتبروها مركز الحماية لولاية الفاطميين في بلاد اليمن.

ولقد استغلت الدولة الفاطمية خصوصاً الخليفة المستنصر ووزيره الجمالي الأوضاع التي كانت تمر بها عمان، من تغيرات سياسية في الحكم، وظهور وزوال أسر حاكمة كثيرة، والتي لم تعمل شيئاً لعمان سوى أنها أنهكتها داخلياً وخارجياً، ومنذ أن استولى الفاطميون على بلاد اليمن ونشروا دعوتهم فيها، كانوا يراقبون الأوضاع السائدة في عمان، وكانوا أول المبتدئين لثورة الأهالي فيها على النفوذ العباسي وهنا نرى حكمة الخليفة الفاطمي المستنصر الذي لم يتدخل في هذا البلد غلباً بعد أن شعر هؤلاء فعلاً بحاجة إلى تغيير جذري للبلاد سواء أكان دينياً أو سياسياً، ولم يغامر المستنصر بجنوده في مصر بل أرشى أن يكون لولائه في المنطقة الدور الأول في مد نفوذه السياسي فيها، ألا هم الصليحيين الذين لطالما ساندوه في سياسته ودعونه، ويرجع عدم مساس جنده في مصر أو الشام ذلك، لما كانت الدولة في مصر تعاني من تطاحن عناصرها من أجل القيادة في المعركة وخشية من الفتنة الداخلية لم يسعين بهم المستنصر، بالإضافة إلى بلاد اليمن أقرب المناطق لعمان، وأكثرها من كل له صلة بالخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله.

أما بالنسبة لبلاد الهند فقد اختلف دخول المسلمين والإسلام إليها، ففي غزوة الأولى دخلها المسلمون فاتحين نيا، ومعرضين الأهالي فيها للقتال، أما ان تحول الثاني للمسلمين فهو الدخول الفاطمي السلمي عن طريق هؤلاء الدعاة، الذين سلوا محبوا كبيراً في نشر الدعوة الفاطمية فيها. سواء من حيث تحمل مصاعب السفر، أو التنقل داخل هذه القارة الصغيرة، ومما تعرضوا له من صد من قبل جماعات مختلفة في

الديانات للموحدة فيها والذين عاشوا قرونًا كثيرة، وهم يتعبدون على هذه الديانات، وكان من الصعب عليهم قدوم دين آخر يزاحم أديانهم ومعتقداتهم الدينية، غير أن الدعاة الفاطميين لقوا مساعدة من قِبَل التجار المسلمين المقيمين على شواطئ الهند، والذين أعطوا صورة حسنة للرجال المسلمين في الهند، واقتدى بهم الفقراء والمحتاجون الذين كانوا أول من دخل الدين الإسلامي، الذي وجدوه ملحقاً لهم، واستعمل الدعاة الاسماعيليون ذلك لكي يبنوا دعوتهم فيها ونجح هؤلاء الدعاة في ذلك، حيث ازدادت نسبة المسلمين في بلاد الهند على المذهب الفاطمي عما كانت عليه سابقاً، وازدياد أفواج الحجاج القادمين منها إلى الأراضي المقدسة في الحجاز، والذي بدأ يتكاثر عددهم بشكل كبير في بداية القرن الخامس، ومنها يكن النجاح الذي حققه الفاطميون في الهند، ومن تقدم دعوتهم فيها، لا يمكننا أن ننسى أن من وضع الأساس الأول للإسلام في هذا المكان هم العباسيون، أنداد الفاطميين الذين تسلموا المشعل منه في نشر دعوة جديدة تغلغت تدريجياً عبر السنين.

## المبحث الثالث

### جهود اليمن في عودة النفوذ الفاطمي للحجاز

لقد حرصت الدولة الفاطمية منذ بداية قيامها على ارتباط الولايات التي بسطت نفوذها عليها مع بعضها البعض بالإضافة إلى ارتباطها المباشر مع مركز الدولة في مصر، وذلك خشية من التمرد السياسي للولاة والقواد، ولخوف الحلفاء الفاطميين من الساسة العباسيين، ومطامعهم في الولايات الفاطمية، واستعادتها من جديد، لذلك اتخذ الفاطميون أساليب متعددة لتوطيد هذه الولايات منها الجانب الاقتصادي، والديني، أو من الناحية الدبلوماسية السياسية<sup>(1)</sup>.

ومن سير هذه السياسة نلاحظ أن الدولة الفاطمية نجحت نوعاً ما في ذلك خصوصاً في بداية الفتوحات، من خلال جعل السلطة في كيان شخص واحد ألا وهو الخليفة، الذي أحبط بهالة من اترهبة لدى الولاة والجنود والقواد<sup>(2)</sup>.

باعتبار أن الخليفة الفاطمي، هو يعلم بواطن الأشياء، وهو الذي يفهم القرآن الكريم والسنة والشريعة، كما كان الولاة وأهالي الولايات يعتبرون الخليفة مستودع العلم الشرعي للبلاد كافة<sup>(3)</sup>.

ونقلت الدولة الفاطمية هذا المبدأ في جميع الولايات التي فتحتها باسمها واسم الخليفة الفاطمي، فلذلك يرى توحد الولايات للفاطمية من حيث الشعور الإسلامية، والنواحي الاجتماعية التي تعارفوا عليها منذ قدوم الفاطميين إلى مصر، كذلك كانت هذه الولايات تتأثر بالأحوال السياسية مع بعضها البعض، كما تتأثر بأحوال مصر لدخولها سواء من حيث الازدهار الاقتصادي والسياسي، أو من حيث زلزال الأوضاع في مصر.

وكغيرها من الولايات الفاطمية تأثرت الحجاز بأحوال مصر الداخلية، وما كان يحيط بها من اضطرابات سياسية، في عيد للخليفة المستنصر، وصفت حلة العلاء، التي احتاحت للبلاد، انقطعت الأموان التي كانت ترد محمد بن جعفر في الأحبار، مما أضر

<sup>(1)</sup> البردوي يرشد، حالة مصر الاقتصادية في العصر الفاطمي، ج 1، القاهرة، 1948، ط 1، ص 153.

<sup>(2)</sup> أمين أحمد، صهي الإسلام، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ط 4، ص 220.

<sup>(3)</sup> مشرفة عطية مصطفى، نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 2، ص 61، 62.



ذلك سناً على الأوضاع فيها سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية، فاشتد العلاء فيها لدرجة أن فتاديل الكعبة الفاطمية وستورها وصفائح بابها والميزاب أخذت من قبل الوالي بن جعفر (1).

وبذلك انقطعت صلة مصر الاقتصادية بعد أن كانت المصدر الأول لها لإرسال العلال لمدة طويلة، وسبح عن ذلك من الناحية الاقتصادية التشدد من الناحية المعيشية على كافة الحجاز (2).

وفي سنة 457هـ/1064م وبعد أن أصبحت العلاقات بين الحجاز ومصر متوترة حج أحد نقباء أشراف مكة ببغداد، وهو أبو الغنائم فاستغل الوضع، وأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطبة للعباسيين، وهو ما حدث بالفعل مما أثار حفيظة الفاطميين، الذين قطعوا رسمياً جميع الأموال التي تورّد للحجاز، ومدنها فما كان من بن جعفر أن استمر في قطع الدعوة الفاطمية، والدعوة لبني العباس، غير أنه ترك الأذان يحي على خير العمل، فأخذ الناس على مقولتها وخشية من الانشقاق الديني استمروا في ذكرها على منابر المدينة ومكة، وأصبح بذلك كافة الناس يدعون لآل العباس في العراق، الذين كانوا راضين عن الأوضاع التي آلت إليهم دون مشقة (3).

وبذلك اجتمعت الآراء حول قطع الخطبة للفاطميين، الذين لم يكن لهم لا حول ولا قوة على إعادة تلك الدعوة في الحجاز، سواء المراقبة ومحاولة استغلال أي وضع فيها، بعد أن أدرك الفاطميون أن أميرها محمد بن جعفر كان داهية، بل لقب بالحديث من قبل قواد الفاطميين للذين اتيموه باستيلائه على كافة أموال محمد الصليحي فسي مكة، وسبها لنفسه ورعيته في الحجاز (4).

(والتي صمت قصة مكة ومن مدنها يثرب. ينبع وقرح وخيبر وأثروة وحدة والطائف بالإضافة إلى النحر والسقياء والعونيد والجحفة والعشيرية) هي أعضم مدنها التي توحدت مع بعضها بعد تغلغل النفوذ الفاطمي لنيل الحجاز

(1) محمد سرور: سياسة الفاطميين الحرجية، ص 29

(2) أحمد مختار النعادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص 341-342

(3) دحلان: خلاصة الكلام، ص 19

(4) عبد المسند ماحد: ظهور سياسة الفاطميين وسقوطها، ص 226

لذلك حاولوا منذ إعلان الخطبة لهم في مكة أن يدعموا أميرها معنوياً ومادياً، فقد أرسل الأمير السلجوقي في العراق ألب أرسلان في سنة 462هـ/1069م إلى الحجار نحو ثلاثين ألف دينار، والتي استقبلها محمد بن جعفر بحفاوة، والتي كان في أمس الحاجة إليها، لما كان يعاني من صعوبات مادية في كيفية تجهيز جيوش الحجار، وصرف رواتب الجند، وغيرها من الأمور في بلاد الحجاز. والتي اعتقر إليها ساحة قطع الحطبة للفاطميين في مصر<sup>(1)</sup> التي كانت تعاني قلب وصراع السوراء على السلطة مما أثر على سياساتها الخارجية وصع أغلب ولاياتها، ومما زاد الأمر تعقيداً عودة الغلاء والقحط إلى الأهالي البسطاء، واستمر الوضع كذلك حتى سنة 464هـ/1071م<sup>(2)</sup>.

وكان الخلفاء العباسيون والفاطميون منركين لجشع والي الحجاز محمد بن جعفر وحبه للعمال والجاه، والذي كان يهدف من وراء ميله وانحياز له لأحد الطرفين هو توطيد لملكه وسلطانه في الحجاز، ويقف هذا الميل على من يمدّه بالأموال والمؤن لبلاده ولقد تجاوب محمد بن جعفر مع رسالة المستنصر لدين الله، فقرأه بقطع الحطبة للعباسيين في مكة خصوصاً بعد وفاة القائم بأمر الله، وانقطاع الأموال والمؤن عنه، وفي سنة 467هـ/1074م تقام الدعوة الفاطمية من جديد<sup>(3)</sup>.

وبما أن المستنصر يعرف مفهوم محمد بن جعفر، لذلك قام بمخاطبة والي اليمن المكرم أحمد وأمره بأن يحمل عشرة آلاف دينار، وذلك كنقطة أولى إلى بلاد الحجار وأميرها محمد بن جعفر، وكان ذلك في سنة 468هـ/1075م، وحرص على التأكيد والوعد بأن يرسلوا له، المقرر له خلال إمدادات قادمة، دون تحديد المدة التي سيقام الدفع فيها من قبل الصليحيين في اليمن<sup>(4)</sup>.

ولقد كان دور اليمنيين كبيراً في رجوع الخطبة، واسترداد النفوذ الفاطمي في بلاد الحجار، خصوصاً أن الدور الفعلي يكمن في شخصية المكرم والي اليمن، الذي أظهر برعة وفطنة في التحكم في أمور الدولة الفاطمية في منطقة اليمن والحجار حسب أن المكرم اعتمد على قوة أنصاره وتنظيمهم، وبمساعدة المحلصين له في لمصطف

<sup>1</sup> دحلان خلاصة بسلام، ص 19

<sup>(2)</sup> حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص 171

<sup>(3)</sup> محمد سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص 30

<sup>(4)</sup> عبدالمعتمد مجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص 227

المحاورة والتي كسب احترام وتقدير شيوخها، الذين أمروه بما يستطيعون، ومن خلال سياسته وإخلاصه للفاطميين، أظهر المكرم مدى قوة شخصيته، وأحلافه وشجاعته التي ساعدت أوليائه الفاطميين لكي يستعيدوا أهم مركز إسلامي في الدولة الفاطمية والإسلامية كفة، ألا وهي الحجاز بما فيها المدينة مكة<sup>(١)</sup>.

ولقد ردت محبة المكرم في نفس المستنصر لدين الله لمساعدته للدولة الفاطمية في استعادة الحجاز، وترويضه بالأموال والمؤن، والتي كانت مصر في ذلك الوقت في حالة من الاضطراب، ونقص في المخزون العام للدولة، لذلك كان المستنصر ممتناً لهذا الوالي الذي عبر عن سياسته كما فعل قبلاً والده، وقد قام المستنصر بزيادة الألقاب عليه، لذلك عندما وصلت إلى المكرم قام بقراءتها أمام الناس، فجاءه الشعراء والشيوخ مهنيين له على نصره<sup>(٢)</sup>.

ومنذ أن أرسله المستنصر وضع المكرم والي اليمن نفسه حامي منطقة الحجاز، ولذلك قام بتنظيم أحوال اليمن أولاً لكي يتفرغ لبلاد الحجاز، فقام بضرب الدينار الملكي وهو الدينار اليمني، وكتب عليه الملك ابن المكرم وساطن أمير المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

وبما أن سواحل اليمن تمتد أواخرها في منطقة الحجاز، ولمعرفته بأحوال وتضاريس الحجاز، عرف المكرم مدى أهمية المدينة المنورة، وبعدد عن مكة المكرمة وهذا يعرضها لهجمات لأنصار بني العباس، لذلك توجه في سنة 469هـ/1076م للمدينة واستولى عليها، وخطب فيها للمستنصر، وذلك عادت السيطرة الفاطمية على الحرمين، وأصبح بذلك للفاطميين نفوذ جديد لبلاد الحجاز، بفضل الصليحيين في اليمن، وما بذلوه في سبيل عودة النفوذ السياسي للخليفة المستنصر، الذي عادت إليه السلطة من جديد، والذي أصدر في سنة 4٧٥هـ/1076م مرسوماً عاماً لكافة الولايات الفاطمية يبلغها عن توحيد الأعمال الحجازية واليمينية وإدماجها إدماجاً كاملاً<sup>(٤)</sup>.

(١) إلهامي، الصيحيون، ص 113-116.

(٢) إلهامي، الصيحيون، ص 132.

(٣) عمارة اليمن، تاريخ اليمن، ص 61.

عبد مسعود ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص 228.

واستمر الحجاز يدعو في خطبته للخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله ، إلا أن هذه الدعوة لم تستمر طويلاً حيث أرسل الخليفة العباسي المعتدي بأمر الله العباسي الأموال إلى والي الحجاز محمد بن جعفر ، وذلك لكي يدعو له على سائر الحوامع في مكة ، ويقطع الخطبة للفاطميين ، وهو الأمر الذي فعله بن جعفر ، الذي قام بقطع الدعوة للمستنصر ، وأصبح بدلاً منه الخليفة العباسي المعتدي ، وكان ذلك في سنة 470هـ / 1077م<sup>(1)</sup> .

وبذلك يكون محمد بن جعفر قد عاد إلى سياسة التلون والمماطلة والمساومة ، من حيث إقامة الدعوة لمن يدفع أكثر من الأموال ، ونراه بعد ذلك بأمر بجلع الصفائح التي كانت باسم الخليفة المستنصر على باب الكعبة ، وكتب عليها اسم المعتدي بالله العباسي ، وبعد هذا أصبحت الحجاز في حالة من التغيير السياسي ، حسب مصالح محمد بن جعفر ، حيث أعاد من جديد الخطبة للمستنصر ، حين بعث له الأموال من مصر ، ومثل ما كانت الإعادة للخطبة سريعة ، كان القطع سريعاً ، وأعلنت الخطبة من جديد للعباسيين ، وخليفتهم المعتدي الذي توفي ، وخلفه ابنه المستنصر ، وأصبحت الخطبة تقام له في مكة والمدينة<sup>(2)</sup> .

وبهذه السياسة المنفعية التي كان يستخدمها أمراء الحجاز خصوصاً محمد بن جعفر الذي أدخل على بلاد الحجاز الكثير من الأموال والهدايا ، غير ناك أن لها تأثير سلبي على الأهالي فيها ، وعلى الحجاج القادمين إليها من كافة الولايات الإسلامية ، وذلك لأن عند الدعاء لخلفاء مصر الفاطميين كان يصطحبه عداء على حجاج العراق ، وأيضاً عند الدعاء لخلفاء العباسيين يصطحبه مجاعات أهالي مكة والمدينة ، بسبب امتناع الفاطميين عن إرسال الغلال ، على الرغم من كثرة الأموال التي يبعثها العباسيون للحجاز<sup>(3)</sup> .

وبذلك نعود الخطبة للعباسيين في الحجاز بعد انقطاع دام نحو مائة عام وتقطع لك الخطبة للفاطميين نهائياً<sup>(4)</sup> .

<sup>(1)</sup> محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 30

<sup>(2)</sup> عبد الحليم ماجد : ظهور سياسة الفاطميين ، ص 228

<sup>(3)</sup> أحمد مختار العبدوي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 343

<sup>(4)</sup> تمكي : العهد الثمين ، ص 440

وبلاحظ أن تغيير سياسة بن جعفر جاءت لمعرفته بضعف الصليحيين في اليمن،  
لأسيما لوفاة المكرم أحمد، ومع ذلك فإن شيوخ اليمن لم يقفوا مكتوفي الأيدي فقررُوا  
مناحمة الحجاز لمعصيتها الدعوة الفاطمية في مصر، فجمع أميرها عبد المستنصر  
الذي تولى الخلافة بعد أبيه المكرم، وعلى الرغم من صغر سنه فقد شارك في هذه  
الحرب أعداد كبيرة من المقاتلين، الذين توجهوا إلى الحجاز وهاجموا بن جعفر، غير  
أن الصليحيين لم يستطيعوا أن يستولوا على الحجاز بعد أن تصدى لهم محمد بن  
جعفر (1).

وانتفى بذلك أواخر محاولات الفاطميين لاسترداد بلاد الحجاز، التي خرجت من  
أيدي الفاطميين، واستمر محمد بن جعفر ينادي للعباسيين في مكة، إلى أن توفي سنة  
484هـ/1091م، وبعد أن تولى ابنه القاسم بن جعفر، استمر بدعوة العباسيين في  
الحجاز (2).

ويمكننا أن نقول إن خروج الحجاز جاء نتيجة سياسة الفاطميين في بلاد مصر، وما  
كان يحدث فيها من اضطرابات، وصراعات الوزراء والجيوش، لذلك أثرت هذه  
الأحداث على سياستهم الخارجية، وكانت بداية بالحجاز الذي اجتهد الأمر أول الخلفاء  
الفاطميين في كيفية دخول هذه الأراضي المقدسة، والتي عرف جيداً أن الأساس الأول  
لدولته، هي السيطرة والاستيلاء على الحجاز، غير أن أحفاده لم يستطيعوا أن يستمروا  
في هذا النهج السياسي خصوصاً وأن هناك دولة مثل الدولة العباسية كنت تراقب من  
الداخل والخارج الفاطميين لكي تنقض على النفوذ الفاطمي الذي استحوذ على دويلاتها  
السابقة.

<sup>1</sup> عبد الله بن ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص 228

<sup>2</sup> بحالي، خلاصة الكلام، ص 19

## الخاتمة

وبعد هذا الجيد المتواضع الذي بذل في إعداد هذا البحث ، والوصول إلي وضع لبداته الأخيرة ، فإنه ينبغي أن نسلط الضوء على أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها وجاءت ضمن اعتبارات هامة وهي على الشكل التالي :

- إن الموقع الجغرافي لبلاد مصر ساهم بشكل كبير في تكوين وتأسيس الدولة الفاطمية واعتبار مصر جسراً يربط المشرق بالمغرب ، لذلك نرى أن الفاطميين أدركوا هذه الحقيقة منذ بداية مشروعهم الحربي ، حيث إن حصوة التربة ووفرة المياه والقرب من البحر المتوسط وازدهار الصناعة كل هذه العوامل ساعدت على إنعاش الدولة في أول ظهورها .

- أن إعداد الجيش لمهمة الفتح في مصر، له دور في إرساء قواعد الدولة الفاطمية وتسهيل مهمتهم دون صعوبة ، من حيث إعداد هذا الجيش بعناية وثقة من ناحية العدة والعتاد والاختبار المحكم لقائد هذه الجيوش وهو القائد جوهر الصقلي الذي له خبرة في هذا المجال فقد شارك في حروب المسلمين ضد لأسبان ، أيضاً تنظيم فئات الجيوش المكون من عناصر مغربية وبربرية وأفريقية ، بالإضافة إلى العدة من الناحية النفسية عن طريق الرعاية السياسية المنظمة التي مهد لها الفاطميون للقيام بهذا الحدث .

- بالإضافة إلى أن الفاطميين قد تلقوا ضربة موحدة في مواحيب حيث استعجل عليهم فتح الشام وفلسطين اللتين كانا سيكونان مركز الانطلاق نحو شيم إلي عداد والحجاز فقد استغرقت محاولاتهم لإخضاع البويهيين والمدانة العباسية وقت طويلاً ، عندما أخضعوهما لم يكن الشاميون من المحالين للفاطميين وكان النيزطيون شوكة في جنب الدولة الفاطمية تزعمهم في حطيم شمال الشام .

- ومهما أحرز الفاطميون من نجاح مهم في العراق والشام ، لم يكن ليؤدي لهم سهولة لولا تزعزع السلطة في الدولة العباسية المتهالكة والتي كانت في أواخر عيدها ، والاستغلال للوضع الذي طبقته الدولة الفاطمية في العراق أسهم بشكل كبير في بسط نفوذهم ورايتهم فيه ، من تأييد للقواد المستقلين وإمدادهم بالمال والعتاد وتنظيم في السلطة والقيادة وأيضاً من أم الدعاة العظميين في الولايات العباسية سواء في الشام والعراق كان لهم نصيب كبير في دعم الحشوش الفاطمية . كذلك الإستراتيجية التي اتبعها الفاطميون حيث مدوا نفوذهم على جنوب وشرق الجزيرة العربية ( اليمن . عمان ) وعملوا على نشر دعوتهم في كافة الطرق التي تخلى عنها العباسيون .

- ومن الأمور التي ساعدت على استمرار دولتهم في المشرق الاتصال المباشر مع الولايات التي بسطوا نفوذهم عليها ، وسياسة الفاطميين الاقتصادية من حيث تحكمهم في موارد الولايات ونظمهم الضريبية ، أدى إلي تحكم تام في تلك الشعوب وولاياتها بالإضافة إلي مبدأ الهدايا التي كانت تخصص للولاة والأشراف فيها . كما لا يمكننا أن نغفل عن السياسة التي اتبعها الخلفاء الفاطميون فقد كان كل خليفة قد وضع الكثير من الأسس التي سارت عليها الدولة في سياستها الداخلية والخارجية خصوصاً في الفواحي السياسية والاقتصادية فنرى المعز لدين الله الفاطمي أمر بتنظيم الحراسة المالية من أجل الصرف الخاص لحشوش ، كذلك تنظيم الدواوين ونقلها إلي بيته ليشراف عليها بنفسه ، وجعل على كل ديوان منياً رئيساً مسائلاً . واتبع في سياسته الشدة العسكرية وسار على نبيه من بعده بقية الخلفاء على الرغم من تفاوت أدوار كل منهم حسب الظروف المحيطة بسياساتهم .

- وأكثر إنجازات الفاطميين هو عندما حكموا مصر ، حيث لغتوا السيف الأضمار من قبل المسلمين كدفة واعتار مصر قلب العالم الإسلامي وإبر . دور مصر السياسي في الحكم بعد بغداد والشام كمركز للخلافة الإسلامية

تم بعون الله

راجية من الله السداد والتوفيق

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر المخطوطة

- ابن حيّون: القاضي النعمان ت(363هـ / 973 م ، المجالس والمسايرات ، مخطوط جامعة القاهرة ، رقم (26060) ، ص 26 .

### ثانياً: المصادر العربية المطبوعة :

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمود ، ت(630هـ / 1233 م ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف ، دار الكتب الوطنية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1980 ، ج 6 .
- ابن ثغري بري : جمال الدين أبو المحاسن ت(874هـ / 1469م ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة . ت. د . ج 3 ، 1933 م .
- الإدريسي : الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس لحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي ت(560هـ / 1165 م ) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، د. ط ، 1989 ، ج 2 .
- الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت(350هـ / 981 م ) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد حابر ، مراجعة محمد شفيق تراثنا ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ط 1 ، 1961 م .
- الإنطاكلي : يحيى بن سعيد بن إنطاكلي ، ت(458هـ / 1066م ) ، تاريخ الإنطاكلي ، نشره نوبل شيخوا ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، د. ط ، 1980 م .
- أيّاس : أبو البركات محمد بن أحمد بن أيّاس الحنفي ، ت(930هـ / 1524 م ) ، ندائع الزهور في وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى ، دار المعارف ، القاهرة مصر ط 1 . د. ت .
- ابن بطوطة: شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد ت(779هـ / 1377 م ) ، رحلة ابن بطوطة . المسمدة بحقة النظر في عرب الأمصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1988 م .



- ابن الجوزي : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي النعدي ت(597هـ/1201 م ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، د ت ، 1955 ط1، ج6.
- الحصني : محمد تقي الدين بن حصن ، (تاريخ الوفاء غير معزوف) .  
منتحات التاريخ لدمشق ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1980 م .
- الحموي : ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ،  
ت(626هـ/1229 م )، معجم البلدان ، دار للصادر ، بيروت لبنان ، د.ط ،  
د.ت ، ج3 .
- الحنبلي : محمد الدين بن حنبل ، الأونس الجليل بتاريخ القدس والخليل ،  
المكتب التجاري لطباعة والنشر ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
- ابن حوقل : محمد بن أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي ت(367هـ/988م)  
، صورة الأرض . منشورات مكتبة الحياة بيروت ، د.ط، 1979 م .
- ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد ت(808هـ/1406م ) ، المقدمة ،  
منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000 م .
- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ت(681هـ/1282 م ) ،  
وفيات الأعيان وأبناء الأبناء الزمان ، دار الصادر ، بيروت ، ط2 ، 1948م ،  
ج1 .
- دحلان : أحمد بن زيني ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة  
الكلية الأزهرية . القاهرة ط2 ، 1977 م .
- ابن أبي دينار : محمد بن أبي القاسم الزعيني القيرواني  
ت(1110هـ/1698م) المونس في إخبار إفريقية وتونس ، د.ر ، تونس ، ط3  
، 1967 م .
- ابن رجب الحنبلي : أبي الفرج عبدالرحمن بن حمد ، شذرات الذهب في أخبار  
من ذهب ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ج2 .
- السبتي . القاسم بن يوسف التجيبي ت(730هـ/1329م ) ، مفاد الرحالة  
والاعترا ب حقه عبد الحفيظ مصور ، الدار لعربية للكتاب ، ليبيا - تونس ،  
د.ط ، د.ت .

- السيوطي : حلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر محمد ت(911هـ/1505م) ، تاريخ الخلفاء حققه محمد أبو الفضل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 5 ، 1964 .
- ابن الصيرفي : أبو القاسم بن سليمان ت(542هـ/1148م) ، القابون في ديوان الرسائل والإشارة إلي من نال الوزارة . دار المصرية اللبنانية ، ط 1990 .
- ابن عذاري : أبو العباس أحمد ، البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب تحقيق ليفي بروفنسال ، ج 1 - كولان ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 1 ، ج 1 .
- عمارة اليمني : نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي ت(569هـ/1174م) ، تاريخ اليمن ، نشره حسن سليمان محمود ، القاهرة ، ط 1 ، 1957 .
- أبو الغداء : عماد إسماعيل بن عمر ت(726هـ/1374م) ، المختصر في إخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 1 ، ج 1 ، 1948 .
- النفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد المكب(832هـ/1429م) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مؤسسة الزمالة للنشر ، ط 2 ، ج 1 .
- المقرئزي : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ت(845هـ/1441م) ، انعاض لحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، د. ط ، القاهرة ، ج 2 ، 1971 م .
- المواعظ والاعتبار لذكر الحطط والآثار ، مؤسسة حلب وشركاء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ج 1 ، 1967 م .
- مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في إخبار الحقائق . تحقيق عمر السعدي ، مكتبة المثنى بغداد ، 1969 .
- الناصري : الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاني . الاستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، د. ط ، ج 1 ، 1964 م .
- اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح بن جعفر ت(282هـ/897م) . كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، ج 1 ، 1988 .

### ثالثاً: المراجع العربية المطبوعة :

- ارشيبالد : لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط .  
ترجمة احمد محمد عيسى ، مراجعة شفيق عربال ، مكتبة النهضة المصرية ،  
القاهرة ، د.ط ، 1960 م .
- الاحاقي : محمد عبدالمعطي . أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب  
الدول ، دار المكتب الوطنية ، القاهرة ، ط1 ، 1993 م .
- أيمن : احمد ، ضحى الإسلام ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4 ،  
د.ت .
- البراوي : راشد ، حالة مصر الاقتصادية في العصر الفاطمي ، د.ن ، القاهرة  
، ط1 ، 1948 م .
- البرغوثي : عبد اللطيف ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، منشورات الجامعة اللبنانية  
، بيروت ، ط1 ، 1971 م .
- بروكلمان : كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، حققه نبيه فارس ، دار العلم  
للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1965 م .
- تامر : عارف ، المعز لدين الله الفاطمي ، دار الكتب الوطنية ، بيروت ، ط2 ،  
1982 م .
- الجميلي : رشيد عبد الله ، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، مكتبة  
المعارف ، الرباط ، ط1 ، 1984 م .
- جمال الدين : عبد الله محمد ، في تاريخ مصر الإسلامية ، دار الثقافة للنشر  
والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1991 م .
- حسن : إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلامي السياسي والديني ، مكتبة النهضة  
العربية ، بيروت ، ط1 ، 1972 م .
- الدولة الفاطمية في مصر وفي المغرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،  
ط3 ، 1964 م .
- حسن : ركي محمد ، أثر الإسلام في مصر ، دار الانار العربية ، القاهرة  
، د.ط ، 1935 م .

- حسن: علي إبراهيم ، مصر في العصور الوسطى ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ط 5 ، 1964م.
- حسن: محمد عواد ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها ، دن ، الإسكندرية ، ط 1 ، 1963م.
- حسن : محمد كامل ، الهمّة في إتباع الأئمة، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1949م .
- حمادة: محمد ماهر ، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1980م .
- الحميري : محمد عبد المنعم ، معجم الجغرافي الروض المعطار في خبر الاقتصار ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1975م .
- الخربوطلي : علي حسني ، العزيز بالله الفاطمي ، وزارة الثقافة للنشر ، القاهرة ، ط 1 ، 1986م .
- رزق الله : إبراهيم ، التاريخ السياسي والفاطمي ، منشورات جامعة سبها ، سبها ، ط 1 ، 1996م .
- الزاوي: الطاهر احمد ، ولاية طرابلس ، مؤسسة الفرجاني للنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1970م .
- زكار : سهيل ، أخبار القرامطة باليمن ، دار حسان ، بيروت ، ط 2 ، 1970م .
- زيدان : خرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، دار الهلال ، القاهرة ، ج 4 ، 1960م .
- سالم : السيد عبد العزيز ، تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، مؤسسة سباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2003م .
- سرور : محمد جمال الدين ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، ز.ت.
- النفوذ الفاطمي في الجزيرة العرب ، دار الفكر لعربي ، القاهرة ، د.ط . 1993م .
- الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، 1970م .
- مصر في عصور الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، د.ت.

- سليمان : التاجر ، أخبار الصين والهند ، نشر وترجمة سوفاجية ، باريس ، ط 1 ، 1948م .
- سليم : محسن ، الطبري وتاريخ مكة ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط 1 ، د.ت ، ج 1 .
- السيد : أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، الدار المصرية اللبنانية للنشر ، القاهرة ، ط 1 ، د.ن . ج 1 .
- شافعي : فريد ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، جامعة القاهرة ، ج 1 ، 1970م .
- الشربيسي : إبراهيم ، التاريخ الإسلامي خلال 14 قرناً ، مؤسسة الجامعة للنشر ، القاهرة ، ط 2 ، 1971 م .
- شرف الدين : أحمد حسين ، اليمن عبر التاريخ دراسات القاهرة ، د.ن ط 2 ، 1964 .
- شلبي : أحمد ، تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية ، القاهرة د.ن ط 1 ، 1967م .
- الصوري : ولیم ، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، بيروت ، دار الهلال للنشر ، ج 1 ، د.ن .
- الطقوس : محمد سبيل ، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر ، بيروت دار النفائس ، ط 2 ، 2005 م .
- العبادي : أحمد مختار ، التاريخ العباسي والفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ط 1 ، 1972 م .
- عبد الجبار ناجي وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، مركز الإسكندرية للكتاب والنشر ، الإسكندرية ، ط 1 . 2003 .
- عبد الله : أبو محمد ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دار الكتب الوطنية ، بيروت ، ط 2 ، 1970 م .
- عبد الحميد : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، منشور المعارف ، الإسكندرية ، ط 1 ، ج 3 ، 1997 م .

- عبد الرحمن : محمد نصر ، العلاقات السياسية والحضارة بين الدولة العباسية والهند ، ومكتبه الآداب ، القاهرة ، 2001 م .
- عبد المولى : محمد أحمد ، مغربيات ومشرقيات ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط1 ، 1990 م .
- العدوى : أحمد إبراهيم ، الأساطيل العربية في البحر ، دار المعارف القاهرة ، د. ط ، 1957 م .
- العث : يوسف ، تاريخ الخلافة العباسية ، دار الفكر دمشق ، ط 1 ، 1982 م .
- العوفي : محمد سالم ، العلاقات السياسية للدولة الفرنسية ، والدولة العباسية ، منشورات جامعة الإمام محمد بن الرياض ، ط 1 ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض ، ط 1 ، 1982 م .
- عطا الله : خضر أحمد ، الحياة الفكرية في مصر ، دار الفكر بيروت ، ط1 ، 1997 م .
- على : وفاء محمد ، الخلافة العباسية في عهد سلطة المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ط 1 ، 1991 م .
- فيت : غاستون ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ونيويورك ، ط 1 .
- القاسمي : خالد محمد ، العلاقات بين الأشرقة والغرب دن بيروت ، ط2 دن .
- قبال : مرسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، دن .
- الكاشف : سيدة . مصر في عصر الطولونى والاختيدين دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط 1 ، 1970 م .
- لومبارد : موريس الإسلام في مجدة الأول من الثاني إلى القرن الخامس ، منشورات دار الأفق الجديدة ، ط3 .
- ماجد : عبد المنعم ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر دار الإسكندرية ، ط2 ، 1968 م .
- المحامي : محمد فديك ، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، مطبعة التقدم للنشر القاهرة ، ط3 ، 1912 .

— مشرفة : عطية مصطفى ، نظم الحكم في عصر الفاطميين ، دين ، بيروت ، ط1 ، 1948 م .

— منيمة : حسن ، تاريخ الدولة البويهية ، دن فارس ، ط1 ، 1987 م .

— الهاشمي : عبد المنعم ، موسوعة تاريخ العرب العصر العباسية والفاطمي ، دار البحار ، بيروت ، ط1 ، 1969 م .

— يونس : إبراهيم الموجز الواضح في تاريخ العرب دار الكتب العربي ، القاهرة ، ط1 1969 م .

#### رابعاً : الرسائل العلمية

— عبد الدايم : نجيب صالح ، العلاقات الخارجية للدولة العباسية خلال العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة التحدي ، سرت 2006 م .

— عطية : ونيس عمر ، الجزية والخراج في المغرب العربي من الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، ورسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الفاتح ، طرابلس .

— يوسف : محمد حسين ، الإدارة الفاطمية في بلاد المغرب رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، 1987 م .

#### خامساً : المجلات العلمية :

— الدبوجي : سعيد ، رسول ملك بيزنطة ، مجلة العربي ، العدد 166 ، 1972 م .

— زيود : محمد ، التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي ، مجلة علمية ، تصدر عن جامعة دمشق ، دمشق ، العددان 57-58 ، 1996 م .

— السعيد : عمر ، محاولات الفاطميين للاستيلاء على مصر والإبعاد الدولية والإستراتيجية ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7 ، 1982 م .

— سميت : آدم ، الأسس الجغرافية والاجتماعية للمند ، مجلة ثقافة نيند ، المجلد السابع ، شير مارن ، 1956 م .

— الغيطاني : جمال . مجلة العربي ، العدد 242 ، 1979 .